

مكتبة دار الحديث العامة - القاهرة

(١٧٦)

المغربي

في

شرح العقيدة القيروانية

(مقدمة الرسالة لابن أبي شربة القيرواني المرقوم ت ٢٨٦ م)

وهو تأليف القيرواني من قول مالك ، ولما لم يكن من مذهبه
وسأله أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والمذهب

تأليف

عبد العزيز بن مرقوق القطراني

عقد الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مكتبة دار الحديث العامة

مكتبة دار الحديث العامة

القاهرة - مصر

المغربية

في
شرح العقيدة الفخرية

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار المنهج بالرياض

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ

مكتبة دار المنهج للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية، الرياض

الطبعة الأولى: ١٤٢٨ هـ - ١٤٢٩ هـ - ١٤٣٠ هـ - ١٤٣١ هـ - ١٤٣٢ هـ

الطبعة الثانية: ١٤٣٣ هـ - ١٤٣٤ هـ - ١٤٣٥ هـ - ١٤٣٦ هـ - ١٤٣٧ هـ

الطبعة الثالثة: ١٤٣٨ هـ - ١٤٣٩ هـ - ١٤٤٠ هـ - ١٤٤١ هـ - ١٤٤٢ هـ

الطبعة الرابعة: ١٤٤٣ هـ - ١٤٤٤ هـ - ١٤٤٥ هـ - ١٤٤٦ هـ - ١٤٤٧ هـ

جميع الحقوق محفوظة لدار المنهج
www.daralmanhaj.org

الملخص في

في

شرح العقيدة القديروانية

(مقدمة الرسالة لنبينا أبي نعيم القدير والي الطريق ص ٢٨٦ هـ)

وهو ما نقله القدير والي من قول مالك ، ولما علم من مذهبه
وما عليه أهل الشافعية وأهل المالكية في الفقه والحديث

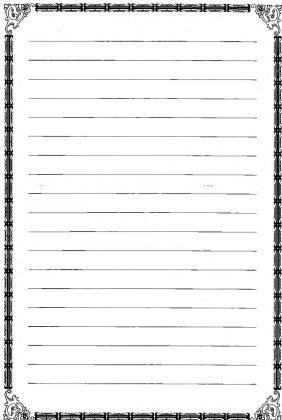
تأليف

عبد العزيز بن مرزوق القطري

عمر الله وتوكل عليه والحمد لله

مكتبة دار الفقه

الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلْقَدِیْمَةِ الْعَقْدِیَّةِ، لِلرَّیْسَالَةِ الْفَقْهِیَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْنَبٍ الْقَمَرَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
(ت ۴۸۶هـ):

الْحَمْدُ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ،
وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقَةٍ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقَةٍ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا.

وَتَبَّهَهُ بِأَنَارِ صُنْعَتِهِ، وَأَعَدَّ لَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَةَ مِنْ
خَلْقِهِ، فَهَدَى مِنْ وَكْفَةٍ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ غَدَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَهَسَرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْيُسْرَى، وَفَرَحَ مُتَوَرِّعِيهِ لِلدُّخْرِ، فَاسْتَوْا بِاللَّهِ بِالسُّبُحَةِ نَاطِلِينَ،
وَبَقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَتَحْتَبُّهُ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا
عَلَّمَتْهُمْ، وَوَقَفُوا حَيْثُ مَا حُدَّ لَهُمْ، وَاسْتَمْتَعُوا بِمَا أُحِلَّ لَهُمْ عَمَّا حُرِّمَ
عَلَيْهِمْ.

أَمَّا بَعْدُ.

أَعَانَا اللَّهُ وَلِيَّكَ عَلَى رِعَايَةِ وَكَائِفَةِ، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ.
لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَنْ أَتُخَبِّرَكَ بِكَ جُمْلَةً مُخَفَّضَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدُّنْيَا؛

بِمَا تَنْتَلِظُ بِهِ الْآلِيَّةَ، وَتَعْتَقِدُ الْقُلُوبَ، وَتَعْمَلُ الْجَوَارِحَ، وَمَا يَتَّصِلُ
بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَتَوَائِلِهَا، وَزَعَائِلِهَا وَشُرُوبِهَا مِنْ
الْأَذَابِ بِهَا، وَجَعَلِ مِنْ أَصُولِ الْفَقْرِ وَثَرَةٍ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَا لَكَ مِنْ
أَنْسِ رِجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَيْهِ تَقِيَّةٌ.

مَعَ مَا سَهَلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاغِبِينَ، وَتَيَانِ
الْمُتَقَلِّبِينَ، إِنَّمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْمُؤَلَّدَانِ، جَمًّا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ
الْقُرْآنِ، يُنْسِبُونَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ: مَا تُرْجَى لَهُمْ
بِرَحْمَتِهِ، وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ، إِنَّمَا رِجَاؤُهُ يُنْفِصِلُ ذَلِكَ مِنْ
تَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَأَعْلَمْتُ: أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاظُ الْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ:
مَا لَمْ يَتَّبِعِ الشَّرَّ إِلَّا.

وَأَوَّلَى مَا غَضِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِ الرَّاغِبِينَ: إِهْضَالُ
الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَتَرَسَّخَ فِيهَا، وَتَتَبَيَّنَ لَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ
الدِّينِ، وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ لِيَرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَ مِنَ الدِّينِ
لِقُلُوبِهِمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحَهُمْ، فَإِنَّهُ دَوِيٌّ أَنْ تَعْلِمَ الصِّغَارَ لِكِتَابِ اللَّهِ،
يُظَلِّمُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنْ تَعْلِمَ الشَّيْءَ فِي الصِّغَرِ: كَالْقَلْبِ فِي الْحَجَرِ.

وَلَمَّا مَلَّكَكَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَهِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ،
وَيَسْرُكُونَ بِحُلُمِهِ، وَتَسْتَعِينُونَ بِإِحْيَائِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَلَمَّا جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِيَسْبَحَ سَبِيحًا، وَيُحْمَدُوا عَلَيْهَا لِحَمْدِهَا،
وَيُتَرَفَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، فَكَمَلْتُكَ: بِتَبَيُّنِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى
الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ كُلِّ بَلَوْنِهِمْ، يَأْتِي عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، وَلَمَّا تَشَكَّلَ ذَلِكَ مِنْ
قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَرْسُلُهُمْ، وَأَبَسَتْ بِمَا يَتَعَلَّمُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحَهُمْ.

وَقَدْ فَرَمَنَ اللَّهُ مُبَحَّاثَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِغْيَافَاتِ، وَعَلَى
الْجَوَارِحِ الْكَلَامَةِ عَمَلًا مِنَ الْكَلَامَاتِ.

وَسَأَقْضِيْ لَكَ مَا شِئْتَ لَكَ وَتَحْرَهُ بَابًا بَابًا، لِيَقْرَبَ مِنْهُمْ مُتَعَلِّمِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَاءَ تَسْتَعِينُ، وَيَوْمَ تَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَمُلَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا عَجَبًا



بَابُ مَا تَنطَلِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالْعَقْلُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَيْءٌ لَهُ، وَلَا يُطِيرُ لَهُ، وَلَا وَلَدٌ لَهُ، وَلَا وَاِلِدٌ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةٌ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

لَيْسَ لِأَوَّلِيهِ انْتِهَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيِّهِ انْقِضَاءٌ.

لَا يَتَلَمَّحُ لَهُ جِهَتُهُ الْوَاضِعُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ.

يَتَغَيَّرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِإِلَاقَتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ طَائِفَةٌ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُنْذِرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْغَلِيُّ الْكَبِيرُ.

وَأَنَّ فَرْقَ غَرَضِهِ الْمَجِيدِ بِطَائِفَةٍ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِيَّةٍ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَتَعَلَّمَ مَا تُؤَسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ الْمَرْبُ إِلَهُ مِنْ خَلْقِ السُّورِيَّةِ، ﴿وَمَا تَسْأَلُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَمْلِكُهَا وَلَا حِجْرُ فِي ظُلُمَاتِهِ الْأَنْهَارِ وَلَا تَكُوبُ وَلَا كَيْبُ إِلَّا فِي كَيْفٍ لِيُخَوِّعَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

عَلَى الْمَرْغَبِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمَلِكِ اخْتَوَى.

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، تَعَالَى أَنْ تُكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُخْلَقَةً.

كَلَّمَ مُوسَىٰ بِكَلَامٍ مَّالِيٍّ هُوَ صِغَةُ دَائِمَةٍ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.

وَكَجَلَىٰ لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ.

وَأَنَّ الْفَرَّاقَ عِلَامٌ اللَّهُ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَهَيْبٌ، وَلَا صِغَةُ لِمَخْلُوقٍ

يَنْفَذُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقُدْرَةِ عَجَبٌ وَفَرَّةٌ، حُلُوبٌ وَمُرَّةٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قُدْرَةُ اللَّهِ

رَبِّكَ، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضَرُّهَا عَنْ قَضَائِهِ.

عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قُدْرَةٍ، لَا يَكُونُ مِنْ بَيَادِهِ قَوْلٌ

وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛ ﴿إِلَّا يَتْلُمَنَّ عَنْ حَقِّهِ وَهُوَ الْكَلِيمُ﴾

الْحَقُّ ﴿الْمَلِكُ: ١٤﴾.

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَفِّضُهُ بِخَلْقِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيَرْفَعُهُ بِفَضِيلَةٍ؛ فَكُلُّ

مَيْسَرٍ بِتَجْسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ جَلْوِهِ وَقُدْرَتِهِ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.

تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونُ لِأَعْدِي عِنْدَ غَنِيٍّ، أَوْ

يَكُونَ غَالِقٌ لِشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِزِّ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمَقْدَرُ لِحَرَكَاتِهِمْ

وَأَجْمَالِهِمْ.

الْبَاقِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنَّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ

الرُّسُلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَفَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِفَاتِهِ وَسِرَاجًا مُبِيرًا.

وَالزَّلَّ عَلَيْهِ كِتَابُهُ الْحَكِيمُ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَغَشَى بِهِ الصَّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ قَرِينَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا

يَبْعَثُهُمْ يَوْمَئِذٍ.

وَأَنَّ اللَّهَ شَبَّانَةٌ وَتَعَالَى شَاعَتْ لِيَمَانِهِ الْمُرْسِيْنَ الْحَسَنَاتِ، وَصَلَحَ لَهُمْ بِالْقُرْبَى عَنْ كِبَائِي السُّبُحَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ، بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَنْبُ مِنَ الْكِبَائِرِ حَاسِرًا إِلَى مَشِيئَةِ: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وَتَقَرَّرَ مَا مَكَدَ ذَلِكَ لِمَنْ يَكْفُلُ: ﴿النساء: ١٨٨﴾.

وَمَنْ عَابَهُ اللَّهُ بِنَافَةٍ، أَلْحَجَّهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ: ﴿مَنْ يَسْعَلْ يَنْفَعَالْ دُرُّهُ حَيْرًا بَرًّا﴾ [الزُّلْفَى: ١٧].

وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ.

وَأَنَّ اللَّهَ شَبَّانَةٌ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ قَاعًا كَانَتْ خُلُودُ الْأَوَّلِيَّةِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالْفَكْرِ إِلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أُعْطِيَ مِنْهَا آدَمُ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَقَى فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وَعَلَّقَ النَّارَ قَاعًا كَانَتْ خُلُودُ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْحَقُّ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُورِينَ عَنْ رُؤْيَاهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحِمِيَّةِ يَوْمِ الْفِتَانَةِ، ﴿وَاللَّكَّ سَكَا﴾ [النمر: ١٢٢] يُعْرِضِي الْأَسْمَ وَجَسَابَهَا، وَغُلُوبَهَا وَتَوَابَهَا.

وَتَوْضَعُ الْمَوَازِينَ لِیُوزَنَ أَهْمَالُ الْعِبَادِ: ﴿مَنْ فَكَّرَ فَكَلَّمَ نَفْسَهُ فَأُوتِيَتْهُمْ﴾ [الأمراء: ١٨].

وَلَيُؤْتُونَ صَحَابَتَهُمْ بِأَهْمَالِهِمْ: قَدْ: ﴿مَنْ أَرَادَ كِتَابَهُ يَسِيرُ﴾ ﴿سُورَةُ الْحَاشَةِ: ٢٦﴾ وَتَمَّنَّ أَرْضِي كِتَابَهُ وَرَأَى ظَهْرَهُ فَأُوتِيَتْهُمْ بِمَلَكُوتٍ سَوِيًّا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَلْبِ أَهْمَالِهِمْ، فَتُاجِدُونَ مُتَقَاتِلِينَ فِي سُرْعَةِ النَّجَا عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَوْ أَنَّ أَوْفَقَهُمْ فِيهَا أَهْمَالَهُمْ.

وَالْإِيمَانُ بِكُتُوبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرْكُهُ أَثْمَةٌ، لَا يَنْقُصُ مَنْ شَرِبَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَيُنَادُّ عَنْهُ مَنْ يَدُنْ وَغَيْرِ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلُ بِاللَّسَانِ، وَإِخْلَاصُ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ، يُزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَقْصُرُ بِقِلَّةِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا التَّقْصُرُ، وَفِيهَا الزَّيَادَةُ. وَلَا يَحْتَمِلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْمُتَمَلِّ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ إِلَّا بِمَبْنُوءٍ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٌ وَبِنَاءٌ إِلَّا بِمُؤَلَّفَةِ الشُّكْرِ.

وَأَنَّهُ لَا يَتَخَفَّرُ أَحَدٌ بِغَلَبٍ مِنْ أَهْلِ الْفِتْلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَخْيَاءَ جَنَّةٍ رَتَّبَهُمُ يَرْزُقُونَ، وَأَزْوَاجُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ، وَأَزْوَاجُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَلَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَفْتَحُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيَسْأَلُونَ: ﴿يَحْيَيْتُكَ اللَّهُ الْيَوْمَ﴾ مَسْأَلًا بِالْقَوْلِ الْكَاتِبِ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَفِي الْأَخْبَرَةِ ﴿إِبْرَاهِيمَ: ٤٢٧﴾.

وَأَنَّ عَلَى الْمَوْتِ حَقَقَةً يَحْتَسِبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ.

وَأَنَّ مَلَكَ الْقَوْبِ يَلْبِصُ الْأَزْوَاجَ بِأَدْنَى رَأْيِهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقُرُونُ الَّتِي رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَاتَّعَمَّوْا بِهِ، ثُمَّ الَّتِي يَلُوكُهُمْ، ثُمَّ الَّتِي يَلُوكُهُمْ.

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمُتَهَدِّثُونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَلَّا يُذْخَرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِنْسَانُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَاللَّهُمَّ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْقَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ التَّحَارِجِ، وَيُنْظَرُ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَنَاجِبِ.

وَالْقَاعَةُ لِأَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ، مِنْ وَلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَاتِهِمْ.
وَأَتَابُ السَّلْبِ الصَّالِحِ، وَالْفَضَاءِ أَثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.
وَتَرَكُ الْجَوَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرَكُ مَا أَخَذَتْهُ الْمُحِبُّونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَوَرَثَتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا





المُقَدِّمَة

الحمد لله؛ له الحمد كله، أوَّلُهُ وآخِرُهُ، ظَاهِرُهُ وبَاطِنُهُ، وله الشُّكْرُ
 كُلُّهُ على ما أفاضَ به وتكرَّم، وتفضَّلَ به على عباده وأنعم.
 ونشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورسولُهُ.
 وصلى الله وسلَّم على النبيِّ الأُمِيِّين، مُحَمَّدٍ بنِ عبدِ اللهِ وعلى آله
 وصحبِهِ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.
 آمَنَّا بِكَ

فإنَّ أعظمَ الواجباتِ على الإنسان: معرفةُ مُوجِبِهِ، وغايةُ وجودِهِ،
 وحَقُّ مُوجِبِهِ - وهو الله - عليه؛ وذلك أنَّ هذا هو دعوةُ جميعِ الرسل؛
 قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِنَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنَا فَاتَّبِعْنِي﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونِي﴾ [الشورى: ٥٦].

وبيانُ الحقِّ يكونُ بأخيه من أصولِهِ والتفصيلُ عليه به، وبيانُهُ يكونُ
 بلا جدالٍ ولا مرأى؛ فإنَّ الجدالَ والمرأى الزائدَ عن اليقِنة يُوْثِرُ العنادَ
 والمكابرةَ، ويُحْدِثُ في نفوسِ المخالِفينَ العِزَّةَ بالإثمِ حتى وإن استبانوا
 الحقَّ.

فإنَّ الناسَ من يقولُ الخطأَ بلا فتَاةٍ، فإذا جادَلَهُ أحدٌ عاندَ
 وكابرَ؛ فيكونُ جدالُهُ قُبْحًا للخطأِ في نفسه؛ ويثُلُ هذا يبيِّنُ له الصوابَ
 ويُزَكِّى بلا جدالٍ.

ولقد نهج الأئمة من السلف بيان الحق والبعث عن الجدال الزائد فيه، وقد قيل لمالك: الرجل له علم بالشئ يجادل عنها؟ قال: «لا، ولكن يُخبر بالشئ» فإن قيل منه، وإلا سكته^(١).

وليس أخ الحق بلا جدال ولا مراو زائد عن الحجة، يُبقي في قلب المخاليف قسماً منه وإن لم يظهر قبوله، وربما حمله ذلك على المراجعة في السرّ نهياً من الرجوع في العلن؛ فللنفس سلطانٌ وعزّة لا تغلبها بالحق إلا القدرة من أصفاء الناس.

والواجب على المتكلم: بيان الحق بحججه بما يفهمه السامع والقارئ بلا تكلف، مع الأخذ في الحسبان: المعانيذ، وضعيف الفهم، والضيقت بينهما؛ فإن بعض من يعجز عن الفهم، يظن أن القائل يعجز عن التعبير؛ وهذا يمكن تفرقة بالرفق، ويمكن أن يُبعد فيصنع منه الإبعاد معانداً بالشدة.

ولم يزل العلماء يعرفون الإنسان ويذكرونه بذلك، ويعرفونه بحق ربّه عليه، وذلك في كل بلد، وفي كل زمن، ولم تخل بلد من بلدان الإسلام شرقاً وغرباً من مبلغ عن الله تقيّم للحجج على الخلق؛ وهذا يقتضي حفظ الله لدينه أن سحر له حفظه يحفظونه ويبلغونه.

وفي المغرب اثنتان على آثار من سلف؛ فقد تركها صحابة وتابعون، وأئمة مهتدون، وأخذ عنهم أهلها، ومنهم أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وله كتب على آثار من السلف في الأصول والفروع، ومنها كتاباته: «الرسالة»، «الجامع»، وقد أبان فيهما اعتقاد السلف في

معرفة الله وحقه على صباه، وقد تعدى نفع كتبه أهل بلده؛ فانتفع بها أهل المشرق والمغرب.

هذا؛ وقد زوّدت القيروانَ عامَ ثلاثٍ وثلاثين وأربع مئة وألف، وكان في أهلها حبٌّ للعلم وحرصٌ على تلقّيه فيما كان من مجالس في جامع القيروان: (عُقبَةُ بنِ نافع)، وغيره.

وقد رَجِبَ إليَّ بعضُ مَنْ لُفِيَتْ: شرح معتقد ابن أبي زيد، وبيان ما عليه أسلافه من الأئمّة المهديين من الصحابة والتابعين، وما عليه الإمام مالك وأصحابه؛ خاصة من أهل المغرب الذين لا يختلفون عن طبقهم من الأئمّة في شيء من الأصول إلا باختلاف الأرض، ونبأ عبد القادر. وقد كان التعليق على مقلعة «الرّسالة» من غير إطلالة مُبِلٍّ، ولا اختصار يُجِلّ، حتى يتحقّق المقصود، ومن الله التوفيق والسند.

وصلّى الله وسلّم على النبي وعلى آله وصحبه أجمعين

عبد العزيز الطريفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، مستوجب كمال الشكر لتفريده بالشعير،
والصلاة والسلام على سيّد ولد آدم المبعوث لجميع الأنام؛
آمين.

فإن توفيق الإنسان يكون بمقدار علمه وصدق فيه؛ فلا ينال التوفيق
إلا بالعلم بالحق، وكمال التوفيق إصابة الحق عن علم به، وذلك أنه قد
يُصيب الإنسان الحق وهو جاهل؛ وذلك بالصدفة والتقليد، ومن أصاب
الحق بالصدفة والتقليد لا يثبت عليه، وإنما يتغير بحسب عوامل الصدفة
وسير المتبرعين وما يُلحظه من خوف أو طمع في طريقه.

وقد ينشأ الإنسان في بلد أو مجتمع ويكون على ما كان عليه
منشؤه، وقد يُصيب الحق وقد لا يُصيبه، وقد يُصيبة عن علم، وقد يُصيبة
من جهل، كما أنه قد يُخطئه عن علم، وقد يُخطئه من جهل.

فَضْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلُ:

ولا يختلف الناس على فضل العلم، وأن زيادة اليقين تكون - من
بين ما تكون - بمقدار زيادة العلم، وأعظم مراتب اليقين اليقين بالله،
لفضل العلوم بفضل المعلوم، والفضل العلوم نوحان:

الأول: العلم بالمعبود؛ وهو الله تعالى.

الثاني: العلم بحق المعبود، وحقه؛ أن يُعبَد وحده بما شرع؛

فالعبادَةُ هي الصَّلَاةُ التي تَكُونُ بين العايدِ ومعبودِهِ، والمخلوقِ وخالِقِهِ.

وَأَدْنَى مَرَكَاتِ الْجَهْلِ: الْجَهْلُ بِالْمَعْبُودِ، ثُمَّ الْجَهْلُ بِعِبَادَتِهِ؛ فَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِاللَّهِ، صَرَفَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَمَنْ كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ، وَجَاهِلًا بِالْعِبَادَةِ، عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ مَا شَرَعَ، وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِالْعِبَادَةِ وَالْمَعْبُودِ، وَقَعَ فِي الشِّرْكِ وَالْبِدْعِ كِلَيْهِمَا.

وَقَدْ أَوْجَدَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ لَهُ عَقْلًا لِيَتَّبِعَ بِهِ دِينَهُ، وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ الثَّقَلَ (الْوَحْيَ) لِيَتَّبِعَ بِهِ دِينَهُ؛ فَمَنْ عَقَلَ الْعَقْلَ، فَسَدَّتْ دِينُهُ؛ كَمَا تَفْسُدُ دِينُ الْمَجْنُونِ، وَمَنْ عَقَلَ الثَّقَلَ، فَسَدَّ دِينُهُ؛ كَمَا يَفْسُدُ دِينُ الْمَحْرُومِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَمَنْ أَبْصَرَ فسادَ دِينِ طَائِفَةِ الْعَقْلِ، عَرَفَ كَيْفَ يَكُونُ فسادُ دِينِ طَائِفَةِ الثَّقَلِ.

❦ حِفْظُ الْعَقْلِ وَالثَّقَلِ:

وَقَدْ نَظَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى الْأَحْتِرَازِ مِمَّا يُفْسِدُ عَقْلَهُ مِنَ الْأَسْرَاطِ وَالْعِلَالِ؛ حَتَّى لَا تَوَثَّرَ عَلَى دِينِهِ، وَيُمِثِّلَ ذَلِكَ جِثَاظُهُ الثَّقَلَ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبَذَعِ؛ حَتَّى لَا تَوَثَّرَ عَلَى الْقِيَمِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ لَدُنَّ الدُّنْيَا عَاجِلَةٌ، وَمَتَعَةٌ الْآخِرَةُ أَجَلَةٌ، غَلَبَ عَلَى النَّاسِ حِمَاةُ الدُّنْيَا أَكْثَرَ مِنْ حِمَاةِ الدِّينِ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ قَبِيلَ الْإِنْسَانِ وَحِيَهُ لِلدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ فِي مَوَاضِعَ؛ قَالَ نَعَالِي: ﴿لَا يَكُنْ تِلْكَ الْقَبِيلَةُ﴾ (النِّسَاءُ: ٢٠)، وَقَالَ: ﴿إِنَّكَ كَوَلَاةٌ يَحْسَبُوكَ الْكَافِرَةُ﴾ (الْإِنْسَانُ: ٢٧)، وَقَالَ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْفَاسِيَةَ فَاجْلِدْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا تَكُنْ﴾ (الْأَسْرَاءُ: ٦٨).

فَالنَّفْسُ مِيَالَةٌ لِلْمَتَعَةِ الْعَاجِلَةِ؛ فَإِنَّ الْمَتَعَةَ الْعَاجِلَةَ تَسْلُبُ الْحَوَاسَّ وَتَجْلِبِبُهَا إِلَيْهَا؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ بِعِلْمٍ مَدِّ الْبَصَرِ إِلَيْهَا حَتَّى لَا تَجْلِبِبَهُ وَتُحْرِقَهُ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ الْمَعْصُومِ: ﴿لَا تَمْلِكُ عَلَيْكَ إِلٌ مَا تَشَاءُ بِهِ

أَرْزَاكَ بِتَمَنٍّ مِّمَّا لَمْ يَكُنْ أَتَى بِقِيَمَتِهِمْ يَوْمَ ذِيكَ خَيْرٌ وَلَكِنَّهُ ﴿طه: ١٣٩﴾
والتوسُّعُ بالمتمعة العاجلة يُسبِي النعيمَ الأجلَّ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّهُ
كَفَعْتُهُمْ وَكَفَىٰ كَثُورًا وَكَفَىٰ كَثُورًا﴾ [الفرقان: ١٨].

وسبَّحُ الإنسان لتحقيقِ المتمعة الدنيوية والاكتفاء بذلك، فبُذِرَ مُشارِكَةُ
فيه الحيوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَصَّوْنَ وَأَكْثُ الْكَاذِبِينَ﴾
﴿وَلَكِنَّهُ مَتَّوْنٌ﴾ [محمد: ١٢]، بل إنَّ الحيوانَ أَكْثَلُ في تحقيقِ كمالِ متعبه
من الإنسان، ولكنَّ الله احتصَّ الإنسانَ بالعبودية له؛ وهي التي يُعارَفُ
الإنسانُ بها الحيوانَ، ولهذا فإنَّ الله إذا ذَكَرَ الإنسانَ في القرآن ذَكَرَهُ
مذمومًا، وإذا وصفَهُ بالإيمانِ مَدَحَهُ.

وقد أنزَلَ الله الوحيَ ليحفظَ العقولَ مِن سطوةِ النفوسِ واستبدادِها
على الإنسان.

❦ فضلُ قُرْبِ الزمانِ والمكانِ الأولِ:

وأصحُّ الناسِ اعتقادًا وأسلمُهم فهمًا: أصحابُ القرونِ الثلاثةِ
الأولى؛ لقوله ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قُرْبِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ)، وقد أنزَلَ الله الوحيَ على نبيِّه ﷺ بلسانِ قُرْبِي مُبِين، وكان
وضيئُهُ على وضعِ قُرَيْشٍ ولسانِهِمْ، ولقُرْبِ الناسِ إلى الحقِّ وفهيو: مَنْ
نَحَلَّقَ فِيهِ الْقُرْآنُ مِنَ الْوَحْيِ:

القُرْبُ الْأَوَّلُ: قُرْبُ الزمانِ.

والقُرْبُ الثَّانِي: قُرْبُ المكانِ.

وقد كانَ مُتَلَابَ الحقِّ في القرونِ الأولى بِعَظُمُونِ أَهْلِ الفقهِ في
الحجازِ، وبِقَدَمُونِ قُرْبِهِمْ:

فَكُلَّمَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَسْبَقَ زَمَنًا وَأَقْرَبَ مَكَانًا، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ نَزَلَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَيَلْسَانِهِمْ أَوْ لِسَانِ مَنْ حَوَّلَهُمْ.

وَكُلَّمَا تَقَادَمَ الزَّمَانُ، وَتَبَاعَدَ الْمَكَانُ، ضَعُفَ اللِّسَانُ.

وَقَدْ يُوجَدُ صَحِيحُ الْاعْتِقَادِ بَعِيدَ الْمَنْزِلِ، وَقَرِيبَ الْمَنْزِلِ فَاسِدُ الْاعْتِقَادِ.

❦ الْمَغْرِبُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ:

دَخَلَ الْإِسْلَامُ الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِي خِلَافَةِ مَنْ بَعْدَهُ؛ كَعُثْمَانَ، ثُمَّ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ، وَبَنِيهِ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ عُمَرُو بْنَ الْعَاصِي، وَعُثْمَانُ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ، وَمُعَاوِيَةُ بَعَثَ زُوَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْفٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَعُقَيْبَةُ بْنُ نَافِعٍ، وَجَاءَ يَزِيدُ وَأَتَمَّ أَمْرَ عُقَيْبَةَ بْنُ نَافِعٍ.

وَكُلُّ أُولَئِكَ الْمَبْعُوثِينَ صَحَابَةً؛ إِلَّا عُقَيْبَةَ، فَمَوْلُودُ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِهِ دَخَلَ الْإِسْلَامَ عَائِلَةُ الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ، حَتَّى يَلْتَمِسَ مَحِيطُهُ الْأَطْلَسِيَّ، وَمِمَّا اشْتَهَرَ عَنْهُ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ أَنِّي لَمْ يَلْعَنُ الْمُشْجُودَ، وَلَوْلَا هَذَا الْبَحْرُ، لَمَضَيْتُ فِي الْبِلَادِ أَفَانِيلُ مَنْ تَفَرَّ بِكَ، عَنِّي لَا يُغْنِدُ أَحَدٌ قَوْلَكَ»^(١).

ثُمَّ اتَّسَعَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ بَنِي زُوَيْدٍ وَبَنِي قَيْسٍ، وَمُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ؛ حَتَّى جَاوَزَتْ الْأَنْدَلُسُ إِلَى جَنُوبِ قُرْتَسَا.

(١) «رياض الطوس» (١/٣٩).

وكل هذا قبل تمام الفتنة من الهجرة.

وقد دخل بلدان المغرب جماعة من الصحابة فاتحين، وقد سعى أهل الشتر خلقاً منهم متفرقين: يفرّيون أو يزبدون على خمسين نفساً، وقد أخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن يسار قال: «لَمَزْنَا إفریقیة مع معاوية بن حذّج، ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار»^(١).

وأما التابعون: فخلق كثير لا يُحصون، وقد ارتحل إلى المغرب جماعة من فقهاء التابعين ممن سمع أو أدرك جماعة من أصحاب النبي ﷺ - كإبي عيسى، وإبي عمر، وعبد الله بن عمرو، وطبقتهم - لشرح العلم في المغرب: كحمي بن موقب السعدي، وجبان بن أبي جبلة القرشي، وإسماعيل بن عبيد الله القرشي، وبكر بن سودة الخداسي، وعبد الرحمن بن رافع التميمي، وعبد الله بن يزيد السعدي، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، وجعفل بن عاهد الرعيني، وسعد بن مسعود النخعي، وعلق بن جعبان الفارسي.

وهؤلاء أرسلهم عمر بن عبد العزيز لتعليم أهل المغرب.

وكذلك في المغرب من التابعين: عبد الله بن أبي بريدة القرشي، وعلي بن زياد النخعي.

وعائلة هؤلاء سكن القيروان بلد إبي أبي زيد، وأكثرهم توفّي فيها، وخلّفتهم في ذلك تلاميذهم، وكان السلف يسكن القيروان بإفريقية، وقد قال مالك: «تَوَفَّيْتُ حَفْصَةَ حَامٍ فَبَعَثْتُ إفریقیة»^(٢)؛ يريد: القيروان،

(١) «توضيح مصر» (ص ٢٢٠).

(٢) «تاريخ أبي زبدة» (٤٨٩ و ٤٩٠).

وعكدا في «المدونة» إذا أُطلقَ إفريقيا، فالمراد بها: القيروان؛ لأنها أظهرُ تماثيلها وغوايرها^(١).

§ السُّنة والآخر وعلم الكلام في المغرب:

وكان الناس في إفريقيا والمغرب على السُّنة والآخر، ولم تظهرَ فيهم البدعُ متمكنة، ولا علمُ الكلام والفلسفة. وقد كان الفيلسوف أبو بكر محمد بن الطُّفَيْل القُتَيْبِي في القرن السادس يصفُ نُذرة الفلسفة في المغرب بأنها أهدمُ من الكبريت الأحمر^(٢)، وكانت المغرب أخصرَ بلدان الإسلام ينظمُ فيها علمُ الكلام، وقد كانت بلدانُ الإسلام على جهات ثلاث:

الأولى: بلادُ المشرق؛ وهي: من جِزْاقِ المَجْمَع إلى حُرَّاسَانَ وما وراءها، وهي موضعُ الفلاسفة في الإسلام، وفيها ظهرَ علمُ الكلام، ودخلَ في تقريرِ مسائل الدين؛ كأقوالِ الجَهْم بنِ صَفْوَانَ، والجَعْدِ بنِ دُرَّعَم، وهي موطنُ الفارابي، وابنِ سينا، وابنِ مِسْكُونَو، وهي موطنُ الأئمة المتكلمين؛ كابن مُوَزَّك، وأبي إسحاق الإسفراييني، وأبي القاسم القشيري، والجُونَيْي، والفَرَّائِي.

الثانية: بلادُ المغرب؛ وهي: المغرب الأدنى؛ وتُسمى إفريقيا، وهي القيروان وما حولها، والمغرب الأقصى؛ وهي الأندلس وما وراءها.

الثالثة: ما بينهما؛ وهي: جزيرة العرب وما اتصل بها مما بين

(١) «حاشية المنوي يهاشم شرح مختصر خليل» (١٨٦/٣).

(٢) «هي من يقطانه» (ص ٢٠).

المشريق والمغرب، وما يربط بهما من عراق العرب والشام، وإن كان العراق يعلّم أهل الحجاز شرقاً، والشام يعلّمون غرباً.

✽ أثر المشرق على المغرب:

والمذاهب الإسلامية في المغرب في الأصول والفروع، إنما أتت من المشرق؛ حتى مذهب أهل الظاهر لم ينشأ في المغرب، وإنما نشط فيه، ونشأته مشرقيّة.

ومن نظر في حائض متكلّمي الأشاعرة في المشرق، وجد أنهم لا يكادون يذكرون متكلّميهم في المغرب؛ بخلاف المغاربة مع متكلّميهم في المشرق، حتى القرن التاسع.

✽ فلسفة اليونان وأثرها على المتكلّمين:

وبعض العلوم كالفلسفة أصلها في الغرب؛ فقد كان زوروس الفلاسفة يونانيين، ولكن لم تؤسّس فلسفتهم إلا في المشرق أول الأمر، ثم أخذها المغاربة بعد أسكتها من المشرق، ولم يؤسّسوها بأنفسهم.

وقد ذكر الفيلسوف اليهودي ابن قتيوب القرطبي^(١): أن كل ما فائدة المعتزلة والأشاعرة في علم الكلام مبني على مقدمات مأخوذة كلها من كتب اليونانيين والشريانيين، الذين راموا مخالفة آراء الفلاسفة الذين يلقنون في دينهم الضرائق، ودعتهم ملوك يريدون منهم حماية دينهم من تلك الآراء الفلسفية التي تهدد قواعد شريعتهم؛ فنشأ فيهم علم الكلام، وعندهم أخذ المعتزلة، ثم الأشاعرة، وطبقوا برغبتهم حماية للدين من تلك الآراء، واختاروا من آراء الفلاسفة ما رأوه مستقيماً على طريقتهم؛

حتى قال ابن تيمون: «إنه نظر في كتب المتكلمين والفلاسيقة كلهم حسب طاقته - من اليهود والنصارى والمسلمين - فوجد أن طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالنوع، وإن اختلفت أصنافه، وأنهم في مواضع كثيرة يتفقون الكلام، ويسمونه عقلاً»^(١).

❦ اعتقاد أهل المغرب:

ولم يكن الناس في المغرب أهل بحد، بل أهل سنة وأثر، حتى في المغرب الأقصى الأندلس، وكما قال الباجي: «كانوا عن سنن المجادلة عابدين»^(٢)، وقلة الجدال في متقني أهل المغرب لا تعني عذمة فيهم؛ فلا ينسخون كتاب في «أدب المتأخرين»، وكانوا على معتقد السلف، فقل إليهم اعتقاد مالك، كما قل إليهم فقهه، وقل إليهم اعتقاد أحمد بن حنبل؛ فقد أدخله المغرب الأقصى والأندلس: أسلم بن عبد العزيز قاضي قضاة الأندلس، وقد ارتحل ولقي أصحاب أحمد، وأصحاب الشافعي؛ كالمزني، والربيع، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم، كما أسند عقيدة أحمد بن حنبل برواية أسلم وسننوه: محمد بن الحارث الحشني القيرواني في كتابه: «أخبار المشاهير والمحدثين بالأندلس»، وفيها عقيدته بصفات الله؛ كالاستواء، وكلام الله، وعلوه، ومعبود، ومسائل الإيمان والبعث، وابن الحارث نقل عقيدة ابن حنبل تلك، هو شيخ ابن أبي نيكو القيرواني.

والاعتزال لم يكن منتشراً في المغرب في القرن الثاني والثالث والرابع لدى العلماء؛ يعتقدون له المجالس، ويصفون فيه الكتب؛ فلم

(٢) «المهاجر» (ص ٧).

(١) «دلالة الحائرين» (ص ١٨٢).

يَبْقَى عالِمٌ معْتَبَرٌ، ولا رَأْسٌ في الشريعة؛ وهذا في المغرب عامةً الأقصى والأدنى، وخاصةً من المالكية أتباع مالك، حتى قيل: «إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مالِكِيٌّ معْتَزِلٌ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيَّ»؛ كما قاله أَبُو الْعِيَّاسِ أَحْمَدُ الْمَقْرِي فِي «التَّحْقِيقِ»^(١).

وقد قال ابنُ حَزْمٍ فِي «مَسَائِلِهِ»^(٢): «وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ: فَإِنَّ بِلَادَنَا وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَتَجَادَبْ فِيهَا الْمَذَاهِبُ، وَلَا اخْتَلَفَتْ فِيهَا السُّلُكُ، فَقُلْ لَئِكَ نَصَرْتَهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ؛ فَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ ضَرْبٍ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ يَلْتَمِزُونَ إِلَى الْاِعْتِزَالِ».

وينحوي قال ابنُ تَيْمِيَّةٍ صَاحِبُ «الرُّخْلَةِ»^(٣): أَنَّ الْمَغْرِبَ عَلَى جَانِبٍ وَاضِحَةٍ، لَا بُشَايَاتَ لَهَا، وَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْجِهَاتِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَبِدَعٍ، وَفَرْقٍ ضَالِّوٍ وَشَبِيعٍ.

❦ وجود الاعتزال في المغرب، وموقف العلماء منه:

والاعتزال في المغرب موجود، ووجوده لا يعني أَنَّ لَهُ شَوْكَةً وَرَأْسًا فِي عِلْمٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِيهِمْ: «لَا يُعْتَلُونَ عِنْدَ الْجَمِيعِ فِي جَمِيعِ الْأُمُصَارِ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ»؛ كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ»^(٤)، وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ لَا يَرْتَدُّونَ عَلَيْهِمُ بِالتَّصْنِيفِ وَدَا ظَاهِرًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُعْتَلُونَ خِلَافَهُمْ خِلَافًا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْاِسْتِزْكَارِ»^(٥).

ووجودهم في تلك القرون في طبقتين:

الطبقة الأولى: حنلة من العامة وأوابط المتعلمين، لَا يُسْتَبْرَأُونَ إِلَى

(٢) مسائل ابن حزم (١٨٦/٢).

(٤) جامع بيان العلم (٩١٢/٢).

(١) فتح الطيب (٦٠٤/٢ - ٦٠٥).

(٣) رحلة ابن جبير (ص ٥٥ - ٥٦).

(٥) الاستزكار (٥٢/٢٤).

العلم بالشريعة والفهم فيها؛ وهذا وجد في أول ظهور الاعتزالي في المشرق؛ فقد ارتحل بعض أصحاب أصل بن عطاء إلى المغرب؛ كعبد الله بن الحارث، وتأثر بهم بعض عوام المغرب وجهايلهم؛ خاصة من البربر في تأخرت في المغرب الأوسط الجزائر اليوم.

الطبقة الثانية: بعض أمراء المغرب؛ ككثير من الأهالي؛ فقد كانوا على الاعتزالي؛ اقتداء ببعض أمراء المشرق من بني العبّاس؛ كالأموي، والمعتصم، والواثق، وبعض قضائهم؛ وذلك لما جعله الله من تأثير الخوس بالعلية والكبراء؛ فيقتدي الأدنى بالأعلى فيحاكيه، فحاكى بعض أمراء المغرب أمراء المشرق، وحاكى بعض قضائ المغرب قضاء المشرق؛ فحمل بعض أمراء الأهالي - وهم أولاد الأغلب بن سالم التميمي، قائد بني العبّاس في غزو المغرب - الناس على الاعتزالي؛ كمحمد وأحمد ابني الأغلب، ومن القضاء والمنسوسين إلى العلم المطاوعة؛ ابن أبي الجوّاد، ومحمد بن الأسود الصفيّ، وسليمان بن حمزة البرافقي القيرواني، ومن أشهرهم: سليمان بن أبي عصفور الحنفي شيخ الاعتزالي بالقيروان، وتعرف بالفراء؛ فقد كتب في خلق القرآن، وكان مقامه قريباً من مقام بشر الترميضي عند المشارقة؛ فهو من أصحاب بشر، وأبي الهيثمي، ومن الراجلين إليهم.

وقد امتحن في المغرب العلماء والعامة؛ كسحنون بن سعيد، وموسى بن معاوية، وكان سحنون بن سعيد عصرهما لأحمد بن حنبل؛ وقام وثبت في فتنة خلق القرآن في المغرب؛ كما قام ابن حنبل وثبت في المشرق.

وكان العلماء والعامة يهجرُونَ أهل الكلام ومن يقول بقولهم؛ فقد

كان يُهْلَوْنَ بِنُ رَاشِدٍ، وَشُحُنُونُ بِنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بِنُ زِيَادٍ: لَا يَسْلَمُونَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ شُحُنُونُ بِنُ سَعِيدٍ لَا يَصَلِّي غُلَقَهُمْ، بَلْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بِنُ قُرُوحٍ، وَابْنُ غَانِمٍ، وَفُهْلَوْنَ بِنُ رَاشِدٍ، لَا يَصَلُّونَ عَلَى جَنَائِزِهِمْ، وَقَدْ حَكَى بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ اتِّفَاقَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَغَارِبَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا نَحْوُ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِعْتِرَافِ.

❦ **بَدَايَةُ رَدِّ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الْمَشَارِقَةِ فِي الْفُرُوعِ لَا فِي الْأَصُولِ:**
وَالْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ - وَمِنْهَا: الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ الْمَشْهُورَةُ - مَذَاهِبُ فُقَهَاءِ، وَلَيْسَتْ طَرِيقًا حَقِيقِيَّةً؛ فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ اتَّصَبَ إِلَى إِمَامٍ فِي الْفُرُوعِ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَلَا يُنْسَبُ لِلْإِمَامِ اعْتِقَادُ قُرُوءِ بَعْضِ أَتَابِعِهِ فِي الْفُرُوعِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ رُؤُوسِ الْإِعْتِرَافِ، وَجَدَهُمْ حَنِفَةً فِي الْفُرُوعِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ بَرِيَّةً مِنْ اعْتِرَافِهِمْ، وَهَكَذَا فِي بَعْضٍ مَنِ يَنْتَسِبُ لِمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ؛ فَتَوَخَّذْ مَذَاهِبَ الْفُرُوعِ بِمَآخِذِ غَيْرِ طَرِيقِ الْعَقَائِدِ.

وَلَمْ تَطْهَرِ الْأَهْوَاءُ فِي الْمَغْرِبِ مِنْتَظِمَةً سَهْجَةً؛ كَمَا ظَهَرَتْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَقَدْ كَانَتْ غَايَةُ الْبِدْعِ الْكَلَامِيَّةِ يَحِيلُهَا أَفْرَادُ، وَرُبَّمَا يَنْتَهَبُونَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَالْكِتَابَةِ بِهَا، وَكَانَ عَامَّةُ رَدِّهِ الْمَغَارِبَةِ وَمَنَظَرَاتِهِمْ فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ - خَاصَّةً الْمَالِكِيَّةُ - فِي الْفُرُوعِ، وَدِفَاقًا عَنْ مَالِكٍ وَمَذْهَبِهِ مِنْ رَدِّهِ بَعْضَ الْمَشَارِقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِ؛ خَاصَّةً مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِمَا، وَخَاصَّةً فِي كِتَابِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ «الْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، وَكِتَابِ الشَّافِعِيِّ «الْإِخْلَافُ مَالِكَ»، وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ رَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الشَّافِعِيِّ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ شُحُنُونٍ فِي كِتَابِهِ «الْجَوَابَاتُ»، وَيَحْيَى بْنُ حَمَرٍ الْكِنَانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ

القيرواني في كتابه «الحجة في الرد على الشافعي»، ورّد على الشافعي: **يُوسُفُ الشَّافِعِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ**، وأبو عثمان سعيد الحنّاد، ورّد محمد بن سُحُتُونُ على أبي حنيفة وأصحابه في كتابه «الرد على أهل العراق». وهذه الردود كلّها في القرن الثالث.

وقد كانوا يردّون الاحتجاج بكتب داود الظاهري وأقواله قبل دخول بعض رجال المغرب في مذهبهم، وقبل ولادة ابن حزم، وأوّل من أدخل كتب داود الأندلسيّ تلامذته: عبد الله بن قاسم بن هلال القرطبي، ومثله بن سعيد البلوطي، ثم أدخل كتب داود مغرب إفريقيا: محمد بن خَيْرُونُ القيرواني في «رحلته إلى العراق»، التي لقي فيها أصحاب أحمد، وابن مَعِين، وابن المديني، وهو أوّل من أدخلها القيروان، وهذا قبل ولادة ابن حزم بنحو قرنين.

وقد تكلم أبو عثمان سعيد بن الحنّاد في مسألة، فقليل له: إن داود قال فيها كذا وكذا، فقال: «لو كان يؤمّي كَيَقُولُ داود، ما تكلمت في العلم»^(١).

وابن الحنّاد شيخ شيخ ابن أبي زَيْد.

ورّد ابن أبي زَيْد نفسه على الظاهريّ وخلافهم لمالك في كتابه «الذّب عن مذهب مالك»، وكان كتابه ردّاً على كتاب لأحد الظاهريّين سَمَاء: «التبّة والبيان»، عن مسائل اختلفت فيها مالك والشافعي، حيث ذكر صاحب «التبّة» مخالفة مالك للمسألة في بعض أصول فقهاء، وسبقاً وثلاثين مسألة من فروجه، وكان المتغاربة يسمّون داود بالقياسي، لأنه يفتي القياس.

وإنما قويت شوكة أهل الظاهر في المغرب الأقصى بعد ابن حزم، وانتشر مذهبهم حتى القرن السابع، فضموا حتى كأن لم يكن لهم فيها أثر.

وكتب الأئمة المشارقة السابقين في العقائد معروفة، ولم يكن أهل المغرب يرون على شيء منها، ومن ذلك: كتب أبي جعفر الطحاوي الحنفي، فقد كتب رسالته في معتقديه ومعتقد أئمة ملعيه أبي حنيفة وأصحابه، وكتب في فروعهم وأدلتها: «مشكل الآثار»، ومعاني الآثار، وغيرهما.

ولم يزد عليه المالكيون إلا في الفروع، كما زد عليه شيخ ابن أبي زيد القيرواني: أبو الفضل العباس المصفي في تحريم المسكر.

وكثرة ردودهم في الفروع في تلك العليقة دليل اتفاقهم في الأصول؛ لأنهم لم يكونوا يختلفون مع الشافعي ولا أصحابه في عقائدهم، ولا لهم في القرن الثالث كبير شيء من كتب في أصول الدين؛ لاستقرار الأمر على السنة، وتجريته على القطرة.

أسباب تأخر ذبوع علم الكلام في المغرب:

وقد كان ما بين المشرق والمغرب من البلدان - كجزيرة العرب وما علاها من علماء العراق والشام - حائلاً عن وصول علم الفلسفة والكلام إلى المغرب؛ فاشغلوا فلاسفة المشرق الأقصى ومتكلميهم بالرد والنقض والتحذير، ونازعوهم بالحجة والبرهان؛ فحيست تلك البدعة في العراق والشام، ولم تنتقل إلى المغرب إلا بعد نحو مئتي سنة من ظهورها في المشرق؛ على يد الجحد بن يرقم، فالجهم بن صفوان، فيشر المريسي، فأحمد بن أبي ذؤاد، وطلبتهم وأصحابهم من المعتزلة، وكذلك: من

أَخَذَ بِعِلْمِ الْكَلَامِ مَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَجْرَى الْمَعْتَزِلَةِ، وَإِنَّمَا رَدُّ عَلَيْهِمْ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، فَضْلًا عَنِ الْفَلَسَفَةِ الْمُشَائِيْنَ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الشَّارِقَةِ؛ كِيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ.

وَأِنْ كَانَ فِي الْمَغْرِبِ فِلَاسِفَةٌ كَأَبِي مَسْرُةَ الْجَلِّي بِقُرْبَةِ بَنِ أَتْبَاعِ أَتْبَادُوفِيلِسَ أَحَدِ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ السُّبْعَةِ، وَكَانَ يَزْعُمُ الْإِتْسَابَ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَاعْتَصَرَ «الْمَدُونَةَ»، وَكَانَ يَحْفَظُ مَسَائِلَهَا وَيُسَرِّدُهَا، وَهُوَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَثَبَتَهُ تِلَامِذُهُ نُدْرَةً عَلَى مَلْفِيهِ؛ كَمَحْمُودِ الْخَوْلَانِيِّ ابْنِ الْإِمَامِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَكِيمٍ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَهُ بِالْحَسَنِ وَالنَّفِي.

وَقَدْ رَدَّ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ عَلَى ابْنِ مَسْرُةَ فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى ابْنِ مَسْرُةَ الْحَارِثِيِّ»، وَيَقِي مَذْهَبَ ابْنِ مَسْرُةَ فِي الْمَغْرِبِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ إِلَيْهِ ابْنُ عَرَبٍ فِي الْقُرُونِ السَّادِسَةِ بِالْأَنْتَلَسِ.

وكَذَلِكَ؛ لِأَنَّ فِيهِمْ مَعْتَزِلَةً قَلِيلِينَ؛ كَخَلِيلِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ ثَلَيْبِ الْقُرْطُبِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِخَلِيلِ الْعُقْلَةِ، وَقَدْ شَدَّ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ؛ كَبُيُوتِ بْنِ مَحْلُودٍ، وَابْنِ وَشَّاحٍ.

وَمِنَ الْمَعْتَزِلَةِ؛ أَبُو طَالِبٍ شَيْخُ الْمَعْتَزِلَةِ وَلِسَانُهُمْ، وَفِيهِمْ أَهْلُ حُرَافَةِ فِي الْكُرَامَاتِ؛ كَأَبِي الْقَاسِمِ الْبُخَرِيِّ الصُّفِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ بِكَتَابِهِ: «الرَّدُّ عَلَى الْبُخَرِيِّ».

وَلَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الْمَبْتَدِعَةُ كُتُبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ تَقُولُهَا بَهَا.

وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ إِلَى الْبَاقِلَانِيِّ - مَعَ كَوْنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ أَسْرًا مِنْهُ - بِسْأَلَهُ عَنِ الْكُرَامَاتِ لِيَعْلَمُو بِأَقْوَالِ الْمَعْتَزِلَةِ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ نُسِبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «رَدِّهِ عَلَى الْبُخَرِيِّ» بِمِثَابَةِ قَوْلِ الْمَعْتَزِلَةِ

بفي الخرائط، فانتصر الباطلاني لابن أبي زيد، وبين قوله^(١)، وقد قال في ابن أبي زيد: «شبهنا»^(٢).

❦ أسباب انتشار علم الكلام في المغرب:

وقد كانت غالب البقع الكلامية في المغرب يحولها أفراد، وربما يهيمون الدعوة إليها، والكتابة بها، حتى إذا كان القرن الرابع والخامس، حملها بعض المغاربة إلى بلدانهم من بعض شيوخ المشرق، وبدأ الخوض في الكلام والفلسفة، وبذلت رياح المشرق الكلامية تصل وتؤثر في المغرب، بأسباب ثلاثة:

أولها: ارتحال المغاربة إلى المشرق الأدنى والأقصى، والأخذ والسماع من علمائهم، فسمعوا منهم القرآن والسنة والأثر، والفقه والكلام، ودخل فرج بن سلام القرطبي، ولقي الجاحظ، وأخذ ثنية، ودخل عبد الله بن عسرة بن نجيج، وأبو بكر يحيى بن السبيعي، وإبراهيم الفلاسي، وقراس بن إسماعيل القيروانيون، وغيرهم.

ولم يأخذ - فيما أعلم - أحد من أعيان المغاربة المعتمدين من أبي الحسن الأشعري، علم الكلام مباشرة، وإنما كان هناك من التقى ببعض أصحابه، كابي مجاهد الطائي، فقد ارتحل إلى العراق: أبو بكر إسماعيل بن إسحاق بن عذرة، ومحمد بن مخلوق، وكلاهما من تلامذة ابن أبي زيد القيرواني، والتقيا ابن مجاهد بن جمل من النفاة بالعراق، وقد استجاز ابن مجاهد كتاب «المختصر» لابن أبي زيد القيرواني، وأرسل إليه مع تلاميذه بطلبه، ودخل إلى المشرق: أبو بكر محمد بن مؤهب، وهو جد أبي الوليد الباجي، وحكم بن ثعلب البلوطي.

(٢) في نفس الموضع السابق.

(١) «البيان» (ص ٥).

وأكثر المتكلمين أثرًا في المغرب: أبو بكر الباقلاني، وصاحبه أبو ذر الهروي، ثم الجويني:

الأول: أخذ عنه المغاربة في العراق، وبلغت بعض كتبه المغرب، كالتمهيد؛ فقد شرحه أبو القاسم عبد الجليل الرعي القيرواني، وشرّحه: «التشديد» في شرح التمهيد، وكان مشغف القرن الخامس.

والثاني: أخذوا عنه في مكة؛ لأنه جاوز فيها، وأسنع البخاري والغفة والكلام أزيد من ثلاثين عامًا، وكان يميل إلى مذهب مالك، وكان يُعجب من مذهبوه، وهو هروي، وكان يسأل: من أين تمذهبت بمذهب مالك وراي الأشعري، مع أنك هروي؟^{١٩} وأما الثالث: فقد انتشرت كتبه وتلاميذه في المغرب وغيره.

وقد سنع بين الباقلاني جماعة من أهل المغرب وساتنيتها: كابي جبران الفاسي، وأبي طاهر البغدادي، والحسين بن حاتم الأندلسي، والفريوان، وأبي عمرو الداني.

وسنع من تلاميذه الباقلاني جماعة من المغاربة: كعبد الجليل الرعي القيرواني.

وسنع من أبي ذر الهروي - وقد سكن مكة عفوًا - وأخذ عنه جماعة كثيرة من أهل المغرب، وكان يُنصّد لرواييه للبخاري، وصحة ضبطه له، وكان أكثر من أدخل أهل الحديث المغاربة في علم الكلام؛ فقد أخذ عنه أبو جبران الفاسي، وأبو الوليد الباجي، ومكي بن أبي طالب، وجماعة.

وسنع من الجويني جماعة من المغاربة: كابن أبي حفرة الأندلسي، ومحمّد القيرواني، وأبي القاسم الحفاري، ودخل بعض أصحابه المشاركة إلى المغرب معلّمين؛ كماي نصير سهل بن عثمان الكسابوري، ثم

لَقَبِي أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ الْمَغْرِبِيِّ أَصْحَابِ الْجَوْنِيِّ فِي الْمَشْرِقِ؛ كَالْقَزَالِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلَقِ الْجَوْنِيَّ نَفْسَهُ؛ فَأَخَذَ عَلَمَهُ وَنَشَرَهُ فِي الْمَغْرِبِ وَاتَّسَعَ.

وَلَمْ يَكُنْ مَذْهَبُ الْمُتَكَلِّمِينَ - التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيضُ التَّامُّ - مُنْتَظِمًا فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَلَا زَوَاجٌ لَهُ مُسْتَوْرًا، وَإِنَّمَا فِي أَفْرَادٍ وَزَوَايَا، حَتَّى آخِرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ قَامَتْ لَهُمْ سَوَقٌ بِبَيْفَلِيَّةٍ وَالْقَزَّيْرَانِ، ثُمَّ رَفَى أَمْرَهُمْ»^(١).

وَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِمْ وَإِدْخَالُهُمْ عِلْمَ الْكَلَامِ فِي الْإِعْتِقَادِ بِسُكْرَةِ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ، وَرُبَّمَا هَالَعُوا فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْقُشَطَانِيُّ يَصِفُهُمْ فِي «قَصِيدَتِهِ» بِـ «الزَّانَاقَةِ»، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مُنْتَهَبِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ^(٢)، وَبَيْنَ بَعْدِهِ وَقَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ، وَسُمِّيَ مُقَاتِلُهُمْ بِـ «الْمُطْعُونَةِ»^(٣)، حَتَّى ذَكَرَ الْمَرَاكِشِيُّ فِي «الْمُعْجِبَةِ»: أَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ كَفَرُوا كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ^(٤)، وَكَانَ بَعْضُ الْأَثَوِّ يُسْأَلُ عَنْ حُكْمِ لَعْنِ مَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَسَمَّاهُمْ؛ كَمَا سَطَّلَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، وَابْنُ رَشْدٍ^(٥).

وَالْإِشَارَاتُ فِي تَفْوِيضِ الْحَقِيقَةِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ أَثَنَةِ الْمَغَارِبَةِ، لَا تَعْنِي: أَنَّهُمْ يَوْضَعُونَ لِلذَّكَاءِ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقْرِيرَاتٌ عَارِضَةٌ يَفْرُودُونَ فِي نَظَائِرِهَا خِلَافَهَا؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى أَصُولِ الْكَلَامِ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّفْوِيضِ التَّامِّ، وَإِشَارَاتُ التَّفْوِيضِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ نَظِيرُ إِشَارَاتِ التَّشْبِيهِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ الْمَشَارِقَةِ الَّتِي لَيْسَتْ أَصْلًا لَدَيْهِمْ؛ يَفْرُودُونَ خِلَافَهَا فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنَ النِّظَائِرِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى إِثَابِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ وَإِمْرَارِ

(١) «الفصل» (١٥٥/٤).

(٢) «التوبة» (١٨٧).

(٣) «الفصل» (٣٤/٤).

(٤) «المعجبة» (ص ١٣١).

(٥) مسائل ابن رشد (١٥٣ و ٢١٥).

نصوبها؛ بلا تكبير ولا تفسير ولا تشبيه؛ حتى كانوا يُسمَوْنَ مِن حُشُوبِهِمْ بِـ: «الْحَشُوبِيَّة»؛ كما قال أبو القاسم بن خُوَازِمٍ في أهل السُوسِ: «والمالِكِيَّةُ مِن قُطَاظِ الْحَشُوبِيَّة»^(١).

وكلما تقدَّم الزَّمَنُ في المغرب، اتَّسع القولُ بالكلامِ مع الأعمام، حتى نفرَّروا ونبَّهتْ ورسَّختْ أصولُهُ في مجالسِ العلمِ والكتبِ بأيدي المغاربة أنفسهم، بعدما كان بأيدي غيرهم.

وثانيها: انتقالُ كتبِ المشارقةِ إلى المغربِ مع الرُّسُلِ والنُّشَاخ، وقد كان بعضُ المعتزلةِ مَن يَزْعُمُ اتباعَ مذهبِ مالِكٍ في العراقِ، يُكاتبُ أصحابَ مالِكٍ بالمغربِ بالاعتزالِ ويدعوهم إليه؛ فقد كتبَ عليُّ بنُ أَحْمَدَ البغداديَّ رسالةً إلى أهلِ المغربِ بالقيروانِ يدعوهم إلى الاعتزالِ، ونَفَى القَدْرَ، وخالَى القَرَائِي، ويزْعُمُ أنَّ هذا مذهبُ مالِكِ بنِ أَنَسٍ؛ لأنَّه يَعْلَمُ إجلالَهُم لمالِكٍ وقوله، وقد رَدَّ عليه جماعةٌ من المغاربة، ومنهم ابنُ أَبِي زَيْدٍ في رسالتهِ «الرَّدُّ على القدرية»^(٢).

وكانت بعضُ كتبِ ابنِ مجاهدٍ صاحبِ أبي الحسنِ قد أُدخِلَتِ المغربَ؛ ككتابه: «عُقُودُ أَهْلِ السُّنَّة»، ورسالتهِ فيما التَمَسَهُ أَهْلُ الثُّغَرِ مِن شرحِ أصولِ مذاهبِ المعتزدين.

وثالثها: انتقالُ بعضِ المشارقةِ إلى المغربِ مَن له نظرٌ في الفلسفةِ والكلامِ، وهذا قليلٌ؛ كالحَسَنِ بنِ حَاتِمِ الأَنْدَلُويِّ نزيلِ القيروانِ، صاحبِ أبي بكرٍ البافِلَانِي^(٣)، ولكن الأَنْدَلُويِّ موصوفٌ بالضَّعْفِ في علمِ الكلامِ، وكان أبو مُحَمَّدٍ بنُ عَطِيَّةِ الأَنْدَلُوسِيَّ في فُهْرِهِ بِصِفَةِ بِلَادَةِ الدُّهْنِ في علمِ

(١) «صورة الأعراس» (١/١٩١).

(٢) انظر: «ترتيب المطاوع» (٦/٢١٨)، و«شجرة الثَّوَر» (ص ٩٦).

(٣) تاريخ مشيخة (١١/١٧١).

الأصول، وكان نحوياً يأنف له شيعته الباقلاني أن يصحح كتبه من جهة النحو، ونهاه عما عدا ذلك^(١).

❦ أثر الاعتزال في قبول علم الكلام على طريقة الأشاعرة:

وقد بلغت المعتزلة المغرب بالكلام والنظر، وحائت أهل المغرب لعل حديث وأثر، وكان دخول علم الكلام على طريقة الأشاعرة مؤثراً في تلقى المغاربة له؛ لأنه الحجة التي يرفعون بها على المعتزلة؛ فيردون عليهم بأنهم، ولو دخل علم الكلام المغرب على طريقة الأشاعرة أول الأمر، لم يكن له قبول ولا نظر ولا تمكّن، ولكن سبقه شر الاعتزال وفتنة، فرفض علم الكلام بعضه بعضاً.

وقد ذكر الفيلسوف ابن قيمون القرطبي في القرون السادس^(٢): أن علم الكلام على طريقة المعتزلة نشأ في سبيلي المغرب قبل دخوله على طريقة الأشاعرة فيهم، حتى أخذ يهود الأنلس علم الكلام من المعتزلة.

❦ مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللين معه:

ومن هذا الباب: مدح جماعة من الأئمة بعض المنظرين من المتكلمين على طريقة الأشاعرة؛ لأن غالبه كان مقترباً بزمان شدة النزاع بين المعتزلة والأشاعرة، وكان لهم فضل في صد عادية المعتزلة، وكان ابن أبي زئب يفتي على الأشعري، مع كونه ليس من أهل الكلام ولا النظر فيه، بل كان محللاً منه.

وتنازع على الأشعري وأصحابه إنما كان لأنهم على أهل البدع، وردهم على المعتزلة والجهمية، وقد قال في أبي الحسن الأشعري لما وقع فيه المعتزلة: «هو رجل مشهور؛ أنه يرد على أهل البدع وعلى

(١) «فهرس ابن خلدون» (ص ٥٥).

(٢) «دلالة الحائرين» (١/ ١٨٠ - ١٨١).

القدري والجهمي، متمسك بالسنة^(١).

ومثل هذا قاله في الذب عن ابن كلاب^(٢).

وهذا من قزو ابن أبي رزق ودراجه، أن من انبرى من المخالفين لضد عادية الزناوة ومن هم أشد منهم مخالفة، ليس من القو دفعه بذاته، لأنه باب لو غير، لفتح على السنة بعده شر أعظم لا يقوم به غيره، وبعض المتسكين بالسنة والأثر يعاين كل مخالف بالنظر إلى مخالفته، ولا ينظر إلى ما وراءه من شروط مدفوعة به، وكان يسعه بيان السنة من البذعة، وعدم كسر باب بذعة يدخل على الإسلام منه بذعة أكثر منها.

وهذه طريقة الأئمة في التعامل مع المخالفين؛ يحفظون السنة من البذعة، ومن حفظها: تقدير مراتب المخالفين وأحوالهم؛ ففرق بين مخالف وجهه إلى بذعة أشد من بدعيه يحاربها، وبين مخالف وجهه إلى سنة يحاربها، ولو كانت مخالفة الثاني أخف، فرمما شدوا على الثاني، وعفوا في الأول.

وقد كان أبو عثمان الصابوني يثني على أبي منصور البغدادي، ويعظمه؛ لمداويه في الرد على المعتزلة، مع كونه من أهل الكلام^(٣).

وقد كان ابن أبي زيد على هذا النهج، ومعتقده بيته ما كتبه وقاله، ولا يؤخذ من مضامين الشاء والمدح للأعلام.

وقد كان ابن أبي زيد على طريقة مالك وأحمد، وكان معقلاً لأحمد، وكان يقول: «أحمد بن محمد بن حنبل به يقتدى، وقد أنكر هذا، وما أنكر أبو عبد الله أنكرناه»^(٤).

(٢) تبين كذب المفري (ص ١٠٥).

(٤) تبين كذب المفري (ص ١٠٨).

(١) تبين كذب المفري (ص ١٢٢).

(٣) تبين كذب المفري (ص ٢٥٢).

ونسبة ابن أبي زيد في المغرب لطريقة الأشعري قديمة؛ بسبب ما تقدم ذكره من نصرة الأشعري وأصحابه في سباني ضد المعتزلة والجهمية.

وقد بين أبو نصر عبيد الله السجزي وهو في أوائل القرن الخامس - في رساليته «الرّد على من أنكر الحرف والصوت» - خطأ ظن بعض المغاربة أشعرية ابن أبي زيد، وأبي الحسني القاسبي؛ فرسالته على طريقة السلف؛ كما في «رساليته»، و«جايجه»، وبقية كتبه، ومثله القاسبي كما في كتابه في «الأعضاء».

وابن أبي زيد يُثبت الصفات لله على ظاهر يليق بالخالق، لا بالمخلوق، بلا تكليف؛ وهذا ظاهر في إثباته لصفة اليدين، والرضا والشحط والغضب، والنزول والمجيء، والضجك وغيرها.

❦ كتابة أهل المغرب في العقائد:

وبهذا بدأ علم الكلام يظهر في المغرب وينشأ في تقرير بعض علمائهم؛ على سبيل الاستطراد، لا على سبيل التأسيس؛ فيكون متوزناً في تنايا بعض كلامهم وفتاويهم، ورثما جرى في كلام بعض أئمتهم في أواخر القرن الرابع والخامس من هو على طريقة السلف، ويحدّر من علم الكلام؛ فأدركه بعضه في فروع تقريراته، لا في تأسيساته.

ولهذا بدأ المغاربة بالكتابة في العقائد وأصول الدين وبيان الحق فيما اعتقد خلافاً من الباطلي، من غير تخصيص القائل بتلك البدعة، وهذه عادة العلماء عند بدء ظهور البدع من المنعوي: تقرير السنّة وإبطال البدعة، من غير ذكر صاحبها؛ حتى لا يترك عليه:

فمنهم: من كتب بأعيان البدع؛ كمحمّد بن سحنون في كتابه «الحجة على القدرية»، وكيع بن عمر الكتفاني السوسي في كتبه: «الرّد

على المُرَجِّحة، والثَّوَلِيَّة، والهِزَان، وكأبي عُثْمَانَ الحَدَّاد في كتابه: «الاستواء»، وأبي عبد الله محمد بن محبوب الزناني، وابن أبي زَيْد لهما كُتُبٌ في: الرد على الثَّوَلِيَّة.

ومنهم: مَنْ أَجْمَلَ بَيَانُ مَعْتَقِدِ السَّلَف، وكان من أوائلِ الْمُتَقَارِبِ الذين كَثُرُوا في تقريرِ أصولِ العقائدِ عَائِدَةً: أبو القاسمِ شَلَعَةُ بْنُ القاسمِ الطُّرَيْحِيُّ في كتابه: «تبيين أصولِ الشُّعْوَ»، وحَفِظَ مَا لَا بُدَّ لِلْمُعَلِّمِ مِنْه بِشَاهِدِ القُرْآنِ والحديثِ^(١)، وقد تُوَفِّيَ مُنْتَصَفَ القَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ بِثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ عَامًا، وَضَمَّنَ كِتَابَهُ رِفْقًا عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَاشْتَكَى مِنْ شُحُوِّ الْبِدْعَةِ، وَبَيَّنَ قَوْلَ السَّلَفِ فِي كَلَامِ اللَّهِ، وَالتَّعْظِيمِ إِلَيْهِ، وَصَلَوِهِ وَاسْتَوَائِهِ عَلَى عَرِيقِهِ، وَنَزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْفَنَاءِ، وَإِثْبَاتِ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ، وَفَضْلِ الصَّحَابَةِ وَتَفَاضُلِهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ.

❦ أصولُ مالِكٍ وفروعه، وأحوالُ أصحابِهِ في المَغْرِبِ:

وقد كانت عَائِدَةُ أَهْلِ المَغْرِبِ فِي القَرْنِ الثَّالِثِ والرَّابِعِ عَلَى مَذْهَبِ مالِكٍ فِي الْأَصُولِ والفروعِ، فِي الْإِعْتِقَادِ والفَقْهِ، وقد شَاعَ مَذْهَبُ مالِكٍ فِي المَغْرِبِ فِي حَيَاتِهِ، وَكَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَى مَذْهَبِهِ وَأَصُولِهِ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ زَمَانًا وَمَكَانًا، وَأَقْرَبُ أَهْلِ المَغْرِبِ إِلَى أَصُولِهِ وفُرُوعِهِ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ زَمَانًا، وَقد كَانَ أَصْحَابُ مالِكٍ مِنَ المَغْرِبِ عَلَى طَائِفَتَيْنِ:

• الطَّائِفَةُ الْأُولَى: الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ سَمِيعِ مالِكًا وَآخِذٌ عَنْهُ، وَمَنْ انْتَهَجَ نَهْجَهُمْ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرُوحٍ الْفَارِسِيُّ الشَّيْزَوَانِيُّ، وَقد كَانَ مالِكٌ يُجِلُّهُ وَيُعَظِّمُهُ، وَقِيلَ: «إِنَّهُ كَانَ يَسْمِيهِ لِقَبَةِ أَهْلِ المَغْرِبِ»^(٢).

(١) مطبوع بتحقيق: وضوان بن صالح الحصري.

(٢) «رياض النفوس» (١/١٧٧).

وكنهه لول بن راشد القيرواني، وأبي الحسن علي بن زياد التونسي، وقد قال أبو سعيد بن مؤنس: «إنه أوّل من أدخل المغرباً»، و«جامع سفيان» المغربي^(١)، وفسّر لهم قول مالك، ولم يكونوا يعرفونه، وكان قد دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلّم سحنون الفقه.

وكان سحنون لا يقفم عليه أحداً من أهل إفريقيا، ويقول: «وما أنجبت إفريقيا مثل علي بن زياد»^(٢)، وقد نقله على المصريّين.

ومن هذه الطائفة: عبد الله بن غانم الإفريقي القيرواني، وكان مالك يمجّه ويحمله، وإذا التقى، اشتغل به عن أصحابه؛ حتى قيل: «إنه عرض عليه ابتداءً، وفيهم عتقه، فأبى»^(٣)، وكان أصحاب مالك إذا رأوه، قالوا: «اشتغل بالمغربيّ هنا»^(٤)، ولما ولي قضاء المغرب، أحلّم مالك بذلك أصحابه، وسرّ به، وكان مالك يكاية وهو في القيروان؛ كما جاء في «المطوّقة»^(٥).

ومتهم: أبو محمد الغازي بن قيس الأموي القرطبي، وصيلاً بن زياد الهذلي القيرواني، وأبو جعفر موسى بن معاوية الصنّاوي، وأسد بن الفرات الحراني القيرواني قاضي القيروان، وعيسى بن دينار القرطبي، وعباس بن أبي الوليد الفارسي التونسي، وأبو مسعود بن أشرم التونسي، وأبو خارجة حنّاسة بن خارجة الغافقي، وأحمد بن أبي سحر، وعبد الله بن أبي حسان الخصبي، ويحيى بن يحيى اللّيثي الأندلسي، وأبو عبد الله زياد بن عبد الرحمن القرطبي، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل.

(٢) دراهم الفوس (١/٢٢٥).

(٣) تهذيب الطبرك (٣/٦٦).

(١) دراهم الفوس (١/٢٣٤).

(٢) دراهم الفوس (١/٢١٧).

(٥) المطوّقة (٢/٥٩٥).

وهؤلاء كلهم سيعوا من مالك بن أنس، ونقلوا قوله إلى المغرب، يزورون عن مالك السنّة والأثر والفقه، وكانوا يكثرهون الكلام ومعارضة السنّة بالرأي، وأصولهم أصول مالك، وفروعهم فروعهم، وكانوا في العقائد يجرون على أصل وفروع واحد، ولم يكن بينهم فيه نزاع، وإنما اختلفوا في الفروع، ويكفل على ذلك: أنهم لا يكتفون في العقائد إلا بكتاب، لاستقرار الأمر على الأمر الأول.

ولما بلغ أسد بن القزاعي قاضي القيروان: أن بشرًا عربيًّا كتب كتابه «التوحيد»، قال: «أوجهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتابًا، هذه نبوة ادّعاها»^(١).

وكانوا يعرفون مصدر البدع الشرقيّة وأصولها، وقد كان ابن أبي عسّان صاحب مالك قال فيمن يفاضل بين أبي بكر وعمر: «ليس هذا بين قريش، ولا بين العرب؛ هذا بين أهل قم»^(٢).

الحدیث والكلام، وأثرهما في الخلاف:

وأصل الكلام أكثر نزاعًا من أصل الحديث والأثر؛ فأصل الحديث نزاعهم في الفروع، وأصل الكلام نزاعهم في الأصول والفروع، وإذا تنازعوا في أصل، تنازعوا في فروعهم، والتأطّر في مله الأمازيغ: يرى تشديدهم في الخلاف في العقليات، وأنهم يزورون المخالفة يترقّد بين الكفر والابتعاد والإثم، وبين أنتمهم خلافت في أصولهم؛ فقد خالفت رؤوس منهم في أصولهم، كابي المصالي الجوزيني، والفخر الرازي، وجلال الدين السيوطي:

(١) رياض القوس، (١/٢٦٤).

(٢) رياض القوس، (١/٢٨٧).

فالجونيني: يرى أنَّ القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها، واستعمل إطلاق القول بأنَّ المبدأ خالئ أعماله، وأنَّ فعل العبد واقع بقدره قطعاً، وقدرته مفردة بالتأثير فيه^(١).

وكذلك قول الرازي في «الأربعين»، والمطالبي الخليفة: إنَّ الصفات إنما هي سبب وإضافات تحصل بين ذاتي تعالى، وبين المعلوم والمقدور والمراد^(٢).

وكذلك الجلال الدواني: فإنه يقول بتبعية الصفات، وأنَّ الصفات غير الذات، وأنَّ الحوادث لا أول لها؛ كما في شرح العقائد التصفية^(٣)، إلى غير ذلك من أنواع النزاع.

ثبات أهل المغرب، وامتحانهم بعلم الكلام:

ولم يكن أحد من أصحاب مالك يخوض في الكلام، ولا يفرِّقه في أصول الدين، ولما امتحن الناس بخلق القرآن في العراق، اقتلوا كثير من السلاطين بذلك في المغرب، وامتنحوا علماءهم؛ فامتنح بعض أصحاب مالك؛ كموسى بن معاوية الضمراوي، وأحمد بن يزيد، وسحنون بن سعيد، وخلق، وتولى المحنة قضاء؛ كفاضل القيرواني ابن أبي الجواد، وكان مقامه في القيروان قريباً من مقام أحمد بن أبي ذؤاد في العراق في هذه الفتنة، وكان يسمى سحنون؛ فمزعزون هذه الأئمة وجبارها^(٤).

(١) النظامية (ص ٤٢).

(٢) الأربعين في أصول الدين (ص ١١٧ وما بعدها)، والمطالب العالية (١/٢ - ١٠٦).

(٣) وانظر: تفسيره صفائح الغيبة (٣٠٩/٧).

(٤) (١/٢٧٧ وما بعدها)، وانظر: رسائل إتيات الراجية (ص ٩).

(٤) البيان المغربي (١/١٠٩).

وَنَبَعَ هَؤُلَاءِ طَبَقَةً تَلَامِذِهِمْ مِمَّنْ جَرَى تَجَرُّاهُمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ،
كَزَيْدِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَزْدِيِّ الْقَيَّرَوَانِيِّ، حَيْثُ سَكَنَ الْقَيَّرَوَانُ لَنَا هَرْبَ مِنْ بَعْضِ
بَعْدَمَا اسْتَحْصَرَ فِي خِلْفَةِ الْقُرَّانِ، وَزَيْدُ بْنُ سَيَّانٍ الْأَسَدِيُّ الْقَيَّرَوَانِيُّ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ حَضْرَمٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَحْتَوَيْ، وَكَرْبُ بْنُ حَمَّادٍ
الزُّنَّانِيُّ التَّاهَرْتِيُّ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَهَّاجٍ
الْقُرْطُبِيُّ، وَحُصَيْنُ بْنُ عَمَرَ الْكِنَانِيُّ، وَأَبِي عُثْمَانَ سَعِيدُ الْحَمَّادِ الْقَيَّرَوَانِيُّ،
وَأَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ بْنِ زِيَادٍ الْهَوَّارِيُّ، وَلَقَمَانُ بْنُ يُونُسَ الْقَسَّاسِيُّ.

وَقَدْ اسْتَمْسَكَ هَؤُلَاءِ الْأَتَمَّةُ بِالسُّنَنِ وَالْأَثَرِ، وَمَا عَلِمُوا مِنَ السَّلَفِ
فِي مَسْأَلَةِ خِلْفَةِ الْقُرَّانِ، وَحَلُّوا اللَّهَ، وَكَانُوا عَلَى مَعْتَقِدٍ مِّنْ سَبَقِهِمْ،
وَلَا يَرَوْنَ الْخُرُوضَ فِي الْكَلَامِ حَتَّى زَادَ عَنِ الْوَارِدِ فِي التَّصَوُّصِ، لَا بِأَوَّلِ
وَلَا نَسْبِهِ، وَقَدْ كَانَ سُحُفُونَ يَقُولُ: «مِنْ الْجَلْمِ بِاللَّو: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ
يُخْبِرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ»^(١).

وَهَذَا نَظِيرُ مَا يَقْرَأُهُ الشَّافِعِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ: أَنَّ: «الْفِقْهَ فِي
الْكَلَامِ الْجَهْلُ بِهِ»^(٢)، لِأَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ يُوَدِّي إِلَى الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَمْ
نَفَى وَإِثْبَاتًا، وَمُنْتَهَى الْفَقْهِ فِي ذَلِكَ: الْكَلَامُ عِنْدَ وُرُودِ النُّصَرِ، وَالْوُقُوفُ
عِنْدَ عَدَمِ وُرُودِهِ.

وَبَيَّنَتْ شَوَاهِدُ الْقُبُورِ بِالْقَيَّرَوَانِ شَافِعِيَّةً عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ، حَيْثُ
كُتِبَتْ عَلَيْهَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ الْقُرَّانَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِمُخْلُوفٍ»،
وَالشَّوَاهِدُ مَوْزُوعَةٌ بِضَمِّ عَامٍ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعَيْنِ وَبِشَتَّتَيْنِ، وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقُبُورِ:
شَوَاهِدُ مَكْتُوبَةٍ عَلَيْهَا الْيَوْمَ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ يَرَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»، وَمَوْزُوعٌ ذَلِكَ فِي شُعْبَانِ عَامٍ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعَيْنِ وَثَلَاثَ مِائَةٍ.

(١) «التبليغ لابن عبد البر (١٤٦/٧)». (٢) «مروان المخلوق (ص ١٥٠)».

وقد يرتفع الشرُّ، ويتقوى الباطلُ، حتى إذا غرَّ بعضُ الناسِ أن لا قائمةَ للحقِّ، أدار الله الدائرةَ للحقِّ وأعلىه؛ فالمعتزلةُ بدَّلوا الدِّينَ، وتسلَّطوا بالسلطانِ على المسلمين شرًّا وحرًّا:

• وفي التصريح: حُرِّتِ الْقُرْآنُ عَلَى كِبَرِ الْكُفَّةِ؛ فَكُتِبَ عَلَيْهَا: «لَيْسَ كَيْفُؤُ شَيْءٍ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»؛ أزالوا: «السُّبُوحُ الْبَصِيرُ»؛ يَقُولُ حَنِئِلٌ: حَمَّجْتُ فَرَأَيْتُ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَلَيْتُ، أَخْبَرْتُ أَحْمَدَ، فَقَالَ: فَاتَّكَ اللَّهُ الْخَيْثُ - يعني: ابنُ أَبِي ذَوَابٍ - عَمَدَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَغَيَّرَهُ^(١).

• وفي التصريح: أَوْصَى الْعُلَمَاءُ أَنْ يُكْتَبَ الْحَقُّ عَلَى شَوَاهِدِ الْقُبُورِ، لَمَّا حَجَرُوا عَنْهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؛ فَوَاجِبُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَبَيِّنُوا الْحَقَّ حَسَبَ الْمَقْدُورِ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ بِإِظْهَارِهِ.

وبناءً عَلَى الْأَثْمَةِ يَصْنَعُونَ وَيَكْتُبُونَ فِي بَيَانِ الْمَعْتَقِدِ الْحَقِّ فِي ذَلِكَ إجمالاً وتفصيلاً؛ ككِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ وَهَّابٍ: «رِسَالَةٌ فِي رُؤْيَا اللَّهِ»، وَكِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدُونَ كِتَابِ «الْحُجَّةِ عَلَى الْقُدْرَةِ»، وَسَعِيدُ بْنُ الْحَدَّادِ كِتَابِ «الْإِسْتِزَاءِ»، وَلَهُ أَيْضًا مَنَاطِرَاتٌ مَعَ الْمُعْتَزِّلَةِ بِالْقَيْرَوَانِ.

وقد دَخَلَ سَعْدُونَ عَلَى ابْنِ الْقُصَّارِ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقَالَ: لِمَا هَذَا الْقَلْبُ؟ قَالَ لَهُ: الْمَوْتُ وَالْقُدُومُ عَلَى اللَّهِ، قَالَ لَهُ سَعْدُونَ: أَلَسْتُ مُصَدِّقًا بِالرُّسُلِ وَالْبَحْثِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنْ أُنْزَلَ هَذِهِ الْأَمْوَالُ أَوْ يَكْفَى، ثُمَّ عَمَّرَ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَلَا تُخْرَجُ عَلَى الْأَثْمَةِ بِالسُّتَيْبِ، وَإِنْ جَارُوا؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ، فَقَالَ: مَتَّ إِذَا شِئْتَ، مَتَّ إِذَا شِئْتَ^(٢).

(٢) «رواه ابن الفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨).

(١) «طبقات الحنابلة» (١/٣٨٦).

وكان أبو العباس عبد الله بن طالب يقول في خطيبه على منبر جامع القيروان، والعلماء والعامة شهوداً: «الحمد لله الذي يُشكر على ما به أنعم، والحمد لله الذي عذب على ما لو شاء منه عذب، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يُرى»^(١).

وتبع هؤلاء أئمة في المغرب؛ كابن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة»، وفي المغرب الأقصى من الأندلس: أبو القاسم مسلمة بن القاسم، وابن أبي زعيم، وأبو عمر الطلمنكي، وابن عبد البر، ولم يخرجوا في أصولهم بخلاف أهل الكلام والفلسفة.

وقد مرّ المغرب بمحن شديدة، ومن أشد ما مرّ به أصحاب مالك في المغرب من محن في تلك القرون: حُكْمُ الْأَعْلِيَّةِ، وحُكْمُ الْفَاطِمِيَّينَ، وحُكْمُ الْمُوَحِّدِيَّينَ؛ الْأَوَّلُ: حَتَفِي - معتزلي وغير معتزلي -، والثاني: باطني، والثالث: أشعري طالي.

التأويل والتفويض في كلام بعض أهل السنة:

وقد يُوجَدُ في تقارير بعض هذه الطائفة تفريعات كلامية، لا تفاصيل، أو ما يشابه فروع أهل الكلام ولم يخرج على أصولهم، وتأتي في سياق كلامهم وثنايا استطرادهم، ولا يذكرون تلك الفروع تقريراً، وربما قلَّ مَنْ يقرأ بعض استطراداتهم وتفريعاتهم: أنَّ أصولهم كلامية، وليس كذلك:

• غابن عبد البر قرّر عقيدة السلف وأهل السنة في الصفات في قوله: «أهل السنة مُجْمِعُونَ على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن

والسُّنَّةُ، والإيمانُ بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجازة^(١)، وأثبت علو الذات، واستواء الله على عرشه، وأبطل قول المتكلمين بتفسير الاستواء بأنه الاستيلاء^(٢)، ولكنه في النزول حكى عنه في أحد المواضع أنه نزول الأمر والرحمة، وهذا ليس موافقاً للمتكلمين في أصلهم في الصفات الاختيارية؛ فإنه يتفَضَّلُ أصلهم في ذلك في مواضع، وفي مواضع أخرى يُثَبِّتُ نزول الله تعالى على الحقيقة على ما يليق به سبحانه ويُكَبِّرُ غيره.

ويوجد من هذه الطبقة بعضُ الأئمة الذين ربُّما وافقوا المتكلمين في بعض الأصول لا كلها؛ كآبي عمرو الثاني، فهو من تلاميذ الباقلاني، وله مُبَلِّغٌ إلى بعضِ تلاميذ في «الرسالة الوافية»، وفي «الأزجورة»، ورسالة «الوافية» أخذَ معانيها من كتاب «الإتصاف» للباقلاني، وقد وافق فيها الباقلاني في الصفات.

وربما كان فيهم من خالف في الإثبات؛ كما في قول أبي حمزة الظَّالِمُنِي في إثبات الجبِّ^(٣)، لقوله: ﴿يَحْتَضِرُكَ حَقٌّ مَا قَرَعَتْ فِي جَنِّ أَتَوْهُ﴾ (الزمر: ١٥٦)؛ وذلك أنه نظَّر لمجرَّد الإضافة، ومجرَّد الإضافة لا تُكَيِّدُ إثبات الصفوة؛ فللسياق معنى يجب الأخذ به؛ كما هو معروف في لسان العرب عند نزول الوحي، ولا يُنظَرُ لمجرَّد اللفظ، فقد يُهَيِّفُ الله إليه شيئاً، وليس منه، بل هو مخلوق من مخلوقاته؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَقُولُ وَمَنْ يَشْفَعُ عِنْدَ رَبِّي﴾ (الشعر: ١٧٣)، وقوله: ﴿وَيَسْأَلُ الرَّحْمَنُ﴾ (الفرقان: ١٧)، وقوله ﴿فَلَا فِي خَالِدٍ مِنَ النَّارِ﴾ (سَبَّحَ مِنْ شَيْبٍ اللهُ)^(٤).

(١) «التهذيب» (١١٥/٢).

(٢) «التهذيب» (١٣٠/٢ - ١٣١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥٦٩/١٧).

(٤) البخاري (٣٧٥٧ و ٤٢٦٢) من حديث أنس.

والمراد من جنس القوم هو القُرْبُ، فمن فرط فيما يقرُّبه من أحد، فقد فرط في جنِّه.

• الطائفة الثانية: طائفة كَثُرَ فيها تقريرُ العقائد على طريقة أهل الكلام، وكان ذلك في كثيرٍ من أصولهم، ولم يكن ذلك في فرع منها ولا في أصل واحد، وإنما كان ذلك كثيراً أو غالباً، وذلك كأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن الغري، وتلميذه القاضي عياشي، ومن هؤلاء من يَزِدُّ على المتفكرين ويخطئهم كأبي الغري في زَوْدِ علي ابن أبي زيد في قوله في استواء الفات، وعلى ابن عبد البر وغيره، كما في كتابه «العارضة»، و«العواصم».

وهذا يَدُلُّ على التَّوَلُّدِ بين الطائفتين، وسنبر الأُولَيْنِ على طريقة السلف.

• وبين الطائفتين: من له أصولٌ يُوافقُ في بعضها أهل الكلام، وله أخرى أَكْثَرُ: خلافاً لذلك، كأبي الحسن القاسمي في جعل الإيمان هو التصديق فقط، ويُعَصَّ على إخراج العمل منه، وله كتاب «المُتَقَدِّمُ فِي شَيْبِ التَّوَلُّدِ»، ولم أَرَ، وله كتاب في الاعتقاد، ذَكَرَ فيه: «أَنَّ الاعتمادَ على السمع، وَأَنَّ الجَدَلَ وعِلْمَ الكلام مَلْعُومٌ، وَأَنَّ هُوَ يَدْعِي: كما يقول أهل الحديث والآثر»^(١)، ولهذا عدَّه أبو نصر السجزي من سلك طريق السلف في الاعتقاد.

ومتهم: من يقرُّد على أصول بعض أهل الكلام في موضع، وفي مواضع على أصول السلف وأهل الآثر، كَمُتَحَنِّي بن أبي طالب، فإنَّ له شيئاً من التَّوَلُّدِ في كتابه: «الهُدَايَةُ، إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ»، وكان من تلاميذ

أبي قُرّ الهَرَوِيّ، وابن أبي زَيْد، وقد تأوّل الاستواء وصفة اليد، فجعلتهما بمعنى القُدرة في موضع^(١)، والأكثَرُ تصرُّحه بالإثبات، وقد قال: «واحسن الأقوال في هذه: «غلا»، والذي يعتقده أهل السُنّة ويقولونه في هذا: أن الله جلّ ذكره: فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان معلوم، وله - تعالى ذكره - عُرسي وسبع السموات والأرض، كما قال جلّ ذكره: وكذلك ذكر شيعتنا أبو محمد بن أبي زَيْد^(٢)».

وبين الأئمّة: من فسّر الخير بما يظهر منه التأويل، وهو أراد معش من معانيه، لا حقيقته؛ فإن من معاني المَلوّ: القُدرة؛ فلا يعلو إلا قايِرُ قايِرٍ؛ كما أن من معاني القُدرة والقهر: العلوّ؛ فلا يَفْهَرُ ويُفْهِرُ إلا عالي؛ فبطل أن يتأوّل، ولو نُظِرَ إلى قوله في موضع آخر، لبان معتقده، وإن قُصُرَ قوله في موضع آخر.

والكلام في المتأخّرين من المالكيّة أكثر من المتقدمين، حتى كان من هذه الطائفة: من يُنكِرُ على من لم يَنسِجْ على طريقة أهل الكلام؛ كما حكاه ابن العربي على ابن خُوَيْرٍ وثُلَاث، وابن أبي زَيْد.

وإنما ظهر بعض كلام الأشعري في قلب من كلام أبي الحسن بن الفايومي، وبعض تلامذته؛ كأبي جِثْرانَ القاسمي على ما تقدّم، وتوسّع في بعض تلامذته أبي جِثْرانَ؛ كأبي محمد عبد الحميد بن الصائغ الفيرواني، وفي بعض تلامذته الصائغ؛ كمحمد بن علي المازني شارح «مسلم» بكتابه «المعلم».

وبين طبقة الصائغ في المغرب: أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي الفيرواني، صاحب «التجريد»، في علم الكلام، وتلاميذه؛

كأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي، وأبي عبد الله محمد بن خلف
الإليري صاحب «الأصول»، إلى معروف الله والرسول، والرد على
أبي الوليد بن زينو، في مسألة الاستواء، وكان الإليري معقلاً للجوني.

وقد أخذ علم الكلام عن هذه الطائفة: القاضي عياض، فقد أخذ
عن أبي الحجاج يوسف بن موسى الطبري، وقد كان تلميذ «الإرشاد»
للجوني وتأثر به.

وقد أظاعه ابن تومرت في منتصف المئة السادسة بسلطانية،
وأبو بكر بن العربي بمطولة، وكلاهما أخذ عن القرطبي في المشرق.

وليس في عائذ المغرب الأدنى والأقصى حتى المئة الخامسة
أشعري خالص الأشعري على طريقة المتأخرين، وإن قيل، فهي ظنون
لا بُرهان عليها؛ فليس التثاء ولا التلملة يُدخِل أحداً في مذنب أحد،
ولا الموافقة في قول يُدخِل أحداً مع أحد في الموافقة على الأصول.

وإن كان بعض المتكلمين على طريقة الأشعري من المتأخرين
ينسب بعض المتكلمين لطريقتهم، فلأنه وافقهم في موضع أو مواضع،
وليس لهم كتب ولا أصول متقولة تُدَلُّ على تلك النسبة المثبتة.

ومن ذلك: ما يُنسب إلى إبراهيم بن عبد الله الزبيري الفلاسي،
وقراس بن إسماعيل؛ الفيرغاني، وكانا قبل ابن أبي زند، وليس لهما
كتب في العقائد بين أيدي الناس اليوم، ووجود بعض المسائل المنقولة
عنهم المشابهة لما عليه الأشاعرة شبيه بما عليه بعض الأئمة قبل
الأشعري بما يُشابهه في بعض أصوله؛ فالموافقة في مسائل لا تعني
الموافقة في المدرسة والأصول.

ولما تمكن محمد بن تومرت في القرن السادس من المغرب، نشر

الأشعرية المتأخرة المقوضة بالجملة والمتأولة، وأطر الناس عليها، وقرن المخالفين وشردهم، وسعى اتباع مذهبه: «الموحدين»؛ لئلا للمخالفين، وكان يسني من سبقه من أهل المغرب بـ: «المجسمة»؛ يُريد: المشبهة التي لا تأول، من المرابطين وغيرهم.

وفي زمن ابن تومرت وما بعده: قوي علم الكلام في المغرب، وأطر الناس على الظاهرية في الفروع، وعلى الأشعرية في الأصول، وشنع على المخالفين، وأحرقت كتب المالكية، وقرع أهل السنة بحجة أنهم مجسمة، وذكر أبو بكر البتلقي: أنه سببت نساؤهم لأجل ذلك، وانتشرت كتب ابن تومرت «المُرَشِّقَة»، و«أقر ما يُطلب»، وشاع تدريس كتاب «الإرشاد» للجويني.

ثم جاء أبو عمرو السلاجي في القرن السادس، وتصلى لتعليم عقيدة ابن تومرت، وألف «العقيدة البرهانية»^(١)، وبيّث عمدة المقاربة في علم أصول الدين إلى اليوم، ولا يزايمها إلا كتب المتأخرين؛ كالشوسني في القرن التاسع في رساليته «أم البراهين»، و«العقيدة الشفري»، وقد كانت في المغرب دولة المرابطين، وكان أولها خيرًا من آخرها، ثم بُغِثها دولة الموحدين، وكان آخرها خيرًا من أولها.

وكان في المغرب قبل الموحدين من بصفت في الاعتقاد على طريقة المتكلمين؛ كأبي بكر المرادي الحضرمي، وكان يُعَدُّ عياض من أدخل علم العقائد بهذه الطريقة إلى المغرب.

وقد أخذ ابن تومرت ملغية من رحلته إلى المشافهة المتكلمين؛

(١) وهو مطبوع بتحقيق: نزار حساني.

كما ذكر ذلك: أبو الحجاج بن طنبلي^(١)، والناصري^(٢)، وابن خلدون^(٣)، وابن نعيم^(٤).

ولم يكن ابن تومرت يدعي الاعتزال، وقد نسبته إلى الأشعرية جماعة؛ كالشككي^(٥) وغيره، وربما نسبته إلى الاعتزال بعض من يسبغ الفعالة وتلقبهم بين الأشاعرة، وعلم الكلام سبق إليه المعتزلة، ومنهم أخذوا الأشاعرة، والاعتزال فكر انتشر في طوائف، وليست جماعة منتظمة لها أصولها وفروعها، لأن الاعتزال علم كلامي، وقد تغلغل في المرافضة والزيدية والإباضية، والأشاعرة وغيرهم.

والمذهب الأشعري تدرج حتى آل إلى ما آل إليه، ولم يكن أئمنه في المبتدئ كائنته في المنتهى، ومذهب المتأخرين غير مذهب المتقدمين.

وعلم العقائد علم ثابت لا يتوسع كعلم الفقه، وإنما اتسع لدى المتكلمين وتدرجوا في تطويره؛ لأنهم أجزوا فيه علم الكلام، كما أجرى الفقهاء في الفقه علم الرأي.

فالمستقدمون الأشعري وأصحابه؛ كابي الحسن العنبري، وابن مجاهد، وتلاميذهما؛ كالقاضي البافلياني: يُبَيِّنُونَ الصفات العنبرية، ولا يتأولونها؛ كالوجو واليد، والعلو والاستواء، وأما الطبقة التي تليهم؛ كالجوزني، والمزالي، فيقولونها.

والأشاعرة منهج قبل أبي الحسن الأشعري، وإن سمي به، وهو

(١) «المبدل لصناعة المنطق» (ص ١٠). (٢) «الاستقصا» (١/ ١٩٦). (٣) «تاريخ ابن خلدون» ٣٠١/٥ - ٣٠٢. (٤) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٧٦). (٥) «طبقات الشافعية الكبرى» ١٠٩/٦ - ١٣٨/٨.

مسلك جرى عليه بعض أهل العريضة، كأبي زكريا يحيى بن زبائو القراء،
وأبي العباس محمد المبرور، وغيرهم، ثم بدأ يلتزم شعبة، ويخرج شاعته
بعد ذلك.

علم الكلام والإمام مالك بن أنس:

وقد كان مالك من المعظمين للأثر، المحلرين من علم الكلام،
وذلك أن الأثر يفيد العقل للوقوف عما لا يحسنه، وعلم الكلام يطفئه
ويجسره باسترساله على ما لا يُرهان له به، حتى يكون منتهاه على
حالتين:

• إما أن يقرر ما لا يُرهان له به من مشاهد الخالق للمخلوق،
ويحدث من لوازم الصفات صفات وتفسيرات، حتى لو كان في صفوة
تأبى بالدليل، لم يُجز له ذلك الأخذ بترك اللوازم بإطلاق.

• وإما أن يستحضر باسترساله معاني باطلّة، فيرجع على أصوله
بالنفي والتقصي، ويحايل على الحقائق بالتأويل والتفويض التام.

والوقوف على الحديث والأثر برامة من الخوض فيها لا علم للإنسان
به، وأسلم إليه، واجتمع للمسؤولين، من الشرقي في معرفتهم وصفاته.

ومعلوم أن الرؤوس الذين نشأت فيهم الفلسفة والكلام يقبل فيهم
علم الأثر؛ لأن الأثر يحث العقل من الخوض فيها لا يعلم، والكلام
يُربيه، ثم إنه لا حدّ لخيال العقل في الغيبيات ولا منتهى له، وكثير من
فرعات المتكلمين في الأسماء والصفات والغيبيات، لا رأي لأهل السنة
فيه، ويظنون أن هذا علم يعجزون عنه، وإما يُمسك أهل السنة عنه،
نعظيماً لله، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ شَيْئًا لَا
يَكُونُ﴾ (البقرة: ١٦٦)، والمتكلمون لا يتهنون إلى فرع.

ولهذا لما من يزلزل كلاميؤ إلا كان أنتمها الأولون أخف من المتأخرين؛ لأنهم يتوسعون جيلا بعد جيل، وقد قال مالك: «من طلب الثمين بالكلام، عزّزني»^(١)، يعني: انتهاء إلى ذلك، وأما الآثار: فإنها تحكّمهم، وقد قال مالك بن أنس: «ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلت العلماء إلا ظهر في الناس الجفأة»^(٢).

وقد كان مالك يحذر أصحابه من علم الكلام لأجل ذلك؛ ومن قولوا: «إنّا كنم والبذع، قيل: يا أبا عبد الله، وما البذع؟ قال: أهل البذع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلومه وقدرته، ولا يستترون عما سكّت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»^(٣).

وقد كان أهل المدينة يتفهون عن الخوض في علم الكلام، وهم أعلم الناس بأثريه على الحديث، وقد قال مالك ومصعب الزنيري: «رأيت أهل بلونا - يعني: أهل المدينة - يتفهون عن الكلام في الدين»^(٤).

❦ الرأي وعلم الكلام:

والسلك يطالبون «الرأي»، وعلم الكلام، والأصل في كلامهم: أنهم يفتشون بعلم الكلام: ما يستدل به من المعقول في الأصول من المقائد، ويفتشون بالرأي: ما يستدل به من المعقول في الفروع من الفقه، وكانوا يتفهون عن الرأي، وهو باب للخوض في فروع أمرها أيسر

(١) علم الكلام للهرودي (٨٥٩).

(٢) التلخيص والمقدمة (٣٩٠)، وعلم الكلام للهرودي (٨٦٩).

(٣) علم الكلام للهرودي (٨٥٨).

(٤) اشرح أصول الاعتقاد (٣٠٨ و ٣٠٩).

من الأصول؛ وذلك تعظيماً للوحي قرآنًا وسميًا، وانتهاءً إلى ما بلغه الله
لنبيه، وكلُّ مَنْ شَدَّدَ في الرأي من السلف، فهو في علم الكلام أشدُّ،
ولا يوجد إمامٌ منهم نَهَى عن الرأي، ثم أَوَدَّ بالكلام، حتى كان من
أصحاب مالك - وخاصةً المغاربة - مَنْ دَخَلَ العراق، ولم يَسْمَعْ من أهل
الرأي، ولم يأخُذْ عنهم الفقه، بل كانت تلك الطائفة من أهل الرأي يَهْوُونَ
عن علم الكلام؛ كما قال أبو يُوُسُفَ: «مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام،
تَزَلُّقًا»^(١)، وهؤلاء كانوا سَحَلُ إنكار كثير من السلف، مع أنهم أدخلوا
الرأي في الفروع، لا في الأصول.

❦ نهى مالك عن علم الكلام، ومرافقه:

وقد كان مالك ينهى عن علم الكلام كُلِّهِ، ولا يَسْتَحِبُّ منه شيئاً؛ فهو
- وإنْ لم يَظْهَرْ في زمنه وفي بلده علمُ الكلام ناهياً، كما هو عليه بعده
بفرون - إلا أنَّ مالكاً نهى عن الكلام، ولم يَسْتَحِبُّ، وربَّما نهى عنه بجلل
في متعلِّقَةٍ في كلِّ علومِ الكلام؛ سواءً ما كان عليه الجهميَّةُ أو المعتزلةُ
أو المتكلمون من الأشاعرة.

وبهذا فُسِّرَ جماعةٌ من أتباع مالك المتقدمين؛ كابن حُوزَيْرٍ وشَقَّافٍ،
وأبي عُمَرَ بن عبد البرِّ، وقد كان ابنُ حُوزَيْرٍ ينهى عن قَبُولِ شهادةِ أهلِ
الكلام كافَّةً، وكان ابنُ عبد البرِّ يَنْقُلُ كلامَهُ معتبِراً عليه؛ فقد نقلَ عنه
قوله في تأويلِ قولِ مالك: «لا تجوزُ شهادةُ أهلِ البِدْعِ وأهلِ الأهواء»؛
قال: «أهلُ الأهواء عند مالكٍ رسائِلُ أصحابنا هم أهلُ الكلام؛ فكلُّ
متكلمٍ، فهو من أهلِ الأهواء والبِدْعِ؛ أشعريًّا كان أو غيرَ أشعريٍّ».

(١) «الإبانة» لابن بطَّة (٦٧٦) كتاب الإيمان.

ولا تُقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجر ويُؤذَّب على بدعيته؛ فإنَّ ثَمادى عليها، استُتيب منها^(١).

ولابن عبد البر كلام في غير موضع من كتبه، لا يرى تقرير ما يتعلَّق بالغيثات ومسائل الصفات بالنظر، ولا يرى المناظرة فيها، ومن ذلك قوله: «ليس في الاعتقاد كلُّه في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوحاً في كتاب الله أو صحَّح عن رسول الله، أو اجتمعت عليه الأئمة، وما جاء من أعيان الأماج في ذلك كلُّه أو نحوه: يُسلم له، ولا يُناظر فيه»^(٢).

ولما كان التوضُّع في البدع الكلامية لم يكن في زمن مالك، ولم يدخل فيه أهل السنَّة والأئمَّة إلا ما تقدَّر، ولم يستعمله كثيرٌ أحد في الردِّ على أهل الأهواء والكلام في عصره -: جعل بعضهم كلام مالك لا يُريد به طوائف من المتكلِّمين الذين استعملوا علم الكلام للردِّ على المعتزلة والفلايصة؛ لأنهم رأوا أثر هؤلاء المتكلِّمين في الردِّ على الفلايصة والمعتزلة.

فلقد كان البيهقي يُحيل كلام مالك على أنه يُريد كلام الخلافة، لا الكلام الذي سلَّكه بعض أهل السنَّة من بعثوا قال: «إنما يريد - والله أعلم - بالكلام: كلام أهل البدع؛ فإنَّ في عصرهما^(٣) إنما كان يُعرف بالكلام أهل البدع، فأما أهل السنَّة، فقلَّما كانوا يَخوضون في الكلام، حتى اضطُّروا إليه بعد»^(٤).

وهذا صحيح في أنَّ مالكاً فضدَّ البدع الكلامية التي أظهرها الزنادقة

(١) «جامع بيان العلم» (١٨٠٠).

(٢) الموضوع السابق.

(٣) يعني: عصر أبي برقة ومالك.

(٤) «بين كلب المقري» (ص ٣٣).

والمعتزلة والجمعيّة؛ لأنها هي التي ظهرت في زمانه، ولكن قول مالك ونهيه عن علم الكلام لا يحصر فيها؛ لأن دخول بعض أهل السوء في علم الكلام - مع نذركه - كان في طبقه شيوخ مالك وتلاميذهم، وكان مالك يعلم أنه في بعض شيوخه وبعض تلاميذه، وكان يحسد ردهم على أهل البدع به، وسلامة معتقدهم منه، ويحذرهم من الخوض فيه بلا علم من الآخر، ولا تمكن منه؛ حيث يُفحشون لبطلانهم به، فيفتقر المبطل بإطلاله لبطلانهم؛ كما حذر مالك تلميذه ابن قُروخ من ذلك^(١).

وقد اتخذت تلك الطائفة لإبطال باطل المبطلين، لا لإحقاق حق المؤمنين، وظهرت على هذا النحو في شيوخ مالك في ابن حُرْمِزٍ عبد الله بن يزيد السكّني، وقد قال مالك: «كان ابن حُرْمِزٍ رجلاً كنت أحب أن أفتدي به، وكان قليل الكلام، قليل الفتيا، شديد التحفظ، وكان كثيراً ما يقتي الرجل، ثم يبعث في أثره، فيُرّقه إليه حتى يُخبره بغير ما أفتاه» قال: وكان بصيراً بالكلام، وكان يرُدُّ على أهل الأهواء قال: وكان من أحلم الناس بما اختلفت الناس فيه من هذه الأهواء^(٢).

وظهرت في تلامذة مالك على هذا النحو أيضاً: في عبد الله بن قُروخ القيرواني، وقد كتب إلى مالك من المغرب يُخبره أن بلدة كثير البدع، وأنه ألف لهم كتاباً في الرد عليهم؛ فكتب إليه مالك يقول: «إن كنت ذلك بفعلك، جئت أن تزلّ فتلك؛ لا يرُدُّ عليهم إلا من كان ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لا يفترون أن يُرجوا عليه؛ فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك، فإني أخاف أن يكلتهم ليخطئ؛ فينضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء؛ فيظفروا ويزدادوا تمادياً على ذلك»؛ كما نقله أبو العزب في «طبقاته».

(١) رياض الخوص، (١/١٧٧).

(٢) حنين كلب المقرئ، (ص ٣٥٢).

وكلام مالك ونهيه هو لجميع علم الكلام في الغيبات، كالأسماء والصفات والقدرة، قليله وكثيره، سواء ما كان عند الفلاسفة وحلّاه المتكلمين، كالمعتزلة، أو كالذي يتخلّله الأشاعرة والمائريّة، يَرُدُّونَ به على خلافة المتكلمين والزنادقة، ثم يفرّزونَ به الحق لأهل الحق، فهو ينهى عن ذلك كلّهُ، وقد قال مالك: «أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلايو وعلوي وقريري، ولا يسكتونَ عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان».

فهو يرى أنّ كلّ قَلْبٍ زائلٍ يوقّبه الكلامُ عما كان عليه الصّدور الأول، صحابة وتابعين :- فهو يذمّه، مع علوي بما اتكلّمه بعض شيوعه وتلاميذه لردّ الباطلي، لا لتقرير الحق، وهذا الذي يتفق عليه من بعده كشافعي، وأحمد.

وقد قهّم من نهى مالك عن علم الكلام العموم بلا استثناء: جماعة كالفزالي في «الإحياء»^(١)، بل جعله قول مالك والشافعي وأحمد.

وقد كان أبو حنيفة من أهل الرأي في الفتوى، وينهى عن الكلام في الغيبات، ويشدّد فيه، ويقول: «لَمَّا أَتَى عُمَرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْبَغُهُمْ مِنَ الْكَلَامِ»^(٢)، وقد كان ينهى أصحابه عنه؛ كما قال محمد بن الحسن: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَحْذَرُ عَلَى الْفَقْهَاءِ وَيَنْهَانَا عَنْ الْكَلَامِ»^(٣).

وكان الأئمة ممن سبق مالكاً ومن في طبقه ومن جاء بعدهم:

(٢) فتح الكلام (١٠٢٠).

(١) «الإحياء» (٩١/١ - ٩٥).

(٣) الموضع السابق.

يَعْلَمُونَ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ قَرَجَاتٌ وَشُكُورَاتٌ، وَأَنَّ لَهُ مُبْتَدَى، وَلَهُ مُنْتَهَى،
وَقَدْ يُدْرِكُ بَعْضُ الدَّاعِطِينَ فِيهِ آخِرَهُ، وَبَعْضُهُمْ يُدْرِكُ مِنْ أَوَّلِهِ شَيْئًا،
وَمُسْتَعْنًى مِنَ الْاِسْتِرْسَالِ فِيهِ بِشَاعَةً مَا يُزَوَّلُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْيٍ وَتَعْطِيلٍ، وَلِذَا
يَقُولُ ابْنُ تَهْمِيٍّ: «مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَأَخِرُ أَمْرِهِ وَزَلَفَتُهُ»^(١).

وَكَثِيرٌ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَى نَهَائِهِ، ثَوَمَ مِنْ بَدَائِهِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ عِلْمِ الْكَلَامِ
يُنْتَى عَلَى الْقِيَاسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا تَحِيلَ لَهُ يُشَاقِقُهُ.

الاسترسال في علم الكلام وأثره:

والحق: أَنَّ تَوَخُّدَ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالغَيْبِيَّاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا الَّذِي
يَلِيْقُ بِاللَّهُ وَحْدَهُ، وَيُتْرَكُ مَا سِوَاهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأُمَّةِ خَاضَ وَسَبَّحَ ذَهَبَهُ فِي
بَحْرِ الْخِيَالِ، وَانْتَهَى إِلَى التَّسْلِيمِ بِالْقِيْظَةِ، وَأَخَذَ النِّصْرَ عَلَى ظَاهِرِهِ
الْاِتِّاقِي بِالْخَالِي لَا بِالْمَخْلُوقِ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى
كِبَرِ عَقْلِ، فَالَّذِينَ لَمْ يُتْرَكُوا لِلْاَدْكِيَاءِ، بَلْ اُنْزَلُوا لِلْأَسْوِيَاءِ؛ فَكُلُّ
مُكَلِّفٍ قَادِرٌ عَلَى تَكْمِيلِ مَعْقُولِهِ بِمَا يَرُودُ عَلَيْهِ مِنَ النُّصُوصِ.

وَقَدْ قَالَ هَذَا وَأَقْرَبَ بِهِ أُمَّةٌ أَهْلُ الْكَلَامِ فِي نَهَائِهِ ظَوَافِهِمْ فِي
الْمَعْقُولَاتِ الْكَلَامِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ الْكُرَّابِيسِيُّ لِمَا
حَضَرَتْهُ الْوَفَاءُ لِنَبِيهِ: «هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلامِ مِنِّي؟» قَالُوا: لَا،
قَالَ: فَتَنْهَضُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ
الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مِنْهُمْ^(٢)، وَقَالَ أَبُو السَّعَالِيِّ الْجَوْنِيُّ:
«أَمُوتَ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورِ»^(٣)، وَيَقُولُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ

(١) «أحاديث في فم الكلام» (ص ٩٧ - ٩٨).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٩١).

عقيل: «عُدْتُ الْفَهْرَى إِلَى مَنْعِبِ الْمَكْتَبِ»^(١)، ويقول الشَّهْرَسْتَانِي: «عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَازَةِ»^(٢)، ويقول الفَخْرُ الرَّازِي: «لَقَدْ اخْتَبَرْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاصِحَ الْفَلَسَفِيَّةَ، وَالْعُلُومَ الْمُخْتَلِفَةَ؛ فَمَا رَأَيْتُ فِيهَا فَائِدَةً تَسَاوِي الْفَائِدَةَ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَعِي إِلَى تَسْلِيمِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ بِالْكَلِمَةِ لَهُ تَعَالَى، وَتَسْتَعِي مِنَ التَّمَعُّنِ فِي إِعْرَافِ الْمَعَارِضَاتِ وَالْمَنَاقِضَاتِ»^(٣).

وقد روى الشَّاطِئِي فِي كِتَابِهِ «الْإِقَادَاتُ وَالْإِتِّشَادَاتُ»^(٤) بِإِسْنَادِهِ إِلَى الرَّازِي، آيَاتًا بَيِّنَ فِيهَا خَسْرَتُهُ وَوَحْشَتُهُ مِنْ مَبَاحِثِ الْعَقْلِيَّةِ.

§ التعرف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة:

وَالْمُسْتَكْمِلُونَ يُحَاوِلُونَ التَّعَرُّفَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ اللَّهِ، وَمَا دَلَّ اللَّهُ عَلَى تَفْسُوهِ بِهِ، وَمِنْ أَظْهَرِ فُسُوحِ تِلْكَ الْعُلُومِ الْكَلَامِيَّةِ: أَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُتْلِكُونَ﴾ [ناطر: ٢٨]، وَلَا يَكَادُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ بِهِ، إِلَّا ضَعُفَتْ خَشْيَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، وَزَقَّ وَبْنُهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ الْكَلَامَ عَرَفَتْ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ، فَلَوْ عَرَفَ اللَّهَ، لَازْدَادَ لَهُ خَشْيَةً لَا وَحْشَةً.

وَالْفَلَاسِفَةُ كُلُّهَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسَفَةِ، أَزْدَادُوا حَزَنًا وَخُيُورًا، لَا طَمَاحِيَّةً وَبَقِيَّةً؛ يَتَقَدُّ الدَّاخِلُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ بِشَوْءٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِخُيُورَةٍ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُ أَرِسْطُوطَالِيْسُ: «لَمَّا كُنَّا نَجَاوِزُنَا الْمَسْتَوَى الْمَتَوَسِّطَ فِي الْفَلَسَفَةِ، تَمَلَّكُنَا الْأَحْزَانُ، وَلَا زَمَنًا لِلْأَمْرَاضِ».

(١) «ذيل طبقات المتكلمين» (١/ ٣٣٧).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٩١).

(٣) «الإقادات والإتشادات» (ص ٨٤ - ٨٥).

(٤) «نهاية الإقدام» (ص ٧).

اعتقاد السلف في الصفات:

ولما كان السلف يُبرِّون آيات الصفات وأحاديتها، ولا يزدون على قرائتها، ولما ظهرت البدع الكلامية، وظهر التأويل والتشبيه والتعطيل :-
 توهم بعض الناس: أنَّ السلف يريدون نفي الحقيقة كلها، وأنَّ كتابتهم للنصوص من غير كلام؛ يعني الإيمان بالحروف فقط، لا مجرد أنهم ينفون كيفية الصفو وبيان كُتُبها، والسلف إنما يُشَوِّنون الحقيقة للصفو اللاتفة بالله، لا اللاتفة بالبعد، وإثباتهم للحقيقة تلك لا يعني تشبيهها كما أنَّ نفهم للتكييف لا يعني تعطيلها؛ فلا هم مشبهة، ولا معطلة، ولا مكينة؛ لأنَّ التأويل للحقيقة زيادة على النص، كما أنَّ التشبيه زيادة على النص.

والعدل: أنَّ يقيف الإنسان بينهما؛ فلا يحمله خوف التشبيه على نفي الحقيقة، ولا يحمله خوف التأويل على إثبات التشبيه، ويُعَمِّقُ عَمَّا عدا ذلك؛ لأنَّ هذا غاية العلم، وما سواه جهل؛ كما قال سَحُونٌ: فَيَرَى العلم بالله: الجهل بما لم يُخَيَّرْ به الله عن نفسه.

ويحوي قال ابن أبي زَيْنٍ^(١).

ويجب إسالك اللّٰهي عن الاسترسال بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأنَّ العقل يشبه ويمثل ويكيّف؛ فكلُّ عقلي يصوّر الغائب عنه على ما يَرَى، حتى تختلط الصُّوَرُ في العقول للذات الواحدة؛ لا اختلاف المشاهدي في كلِّ عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجدال في الله وصفاته وأسمائه؛ وقد قال ابن عبد البر: فَهَيْتَا عن التفكير في الله، وأبرزنا

(١) أصول الشُّك (ص ٦٠).

بالتفكير في خلقه الدال عليه^(١)؛ لأن التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وأثارها، والعمل بمقتضاها، وهو الإحصاء المقصود بقوله ﷺ: (إِنْ هُوَ يُشْعَلُ وَيُسْبِنُ أَسْمَاءَ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(٢).

اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البذعة:

كان اللسان العربيّ الأوّل حامياً من الخروج عن وضع الشريعة، ومراد الله سبحانه، ولما انتشرت العجمة في الناس، ظلّ أولاد العرب أنّهم كتابتهم يروّون اللسان، كما يروّون النسب؛ ففسدت أفهام بعضهم للنصوص فساد اللسان؛ وقد صحّ عن الحسن البصريّ قوله: «أهلكتهم العجمة؛ يأولون القرآن على غير تأويله»^(٣).

وكان مالكٌ يحدّث من تفسير القرآن وتأويله من غير معرفة بلسان العرب ولغاتها، ويدعو إلى تأديب فاعليه؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى حمل كلام الله على غير مراده؛ قال: «لا أوتى برجلٍ يفسّر كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته نكالا»^(٤).

ويكفي في ردّ البدع الكلاميّة معرفة منشأها اللساني، وتبعها المكاني والزمني؛ ولهذا لم يكن العرب الذين سمعوا القرآن يستشكلون من الصفات ما استشكله المتكلمون حتى كثار قريش، ولم يكن الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أنواع الصفات الدائيّة والفعلية؛ لأنّ لسانهم وبيّانهم لا يحتاج ليقتل هذا التقسيم.

(١) جامع بيان العلم (١٧٦٩).

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة. وسباني بيان أنواع ظاهري الصفات عند السلف في شرح كلام ابن أبي زيد؛ يقدّم بفتح الله.

(٣) تفسير القرآن لابن وهب (٨٨/الجامع).

(٤) شعب الإيمان (٢٠٩٠)، وعلم الكلام (٨٨٢).

وقد بين ابن أبي زيد القيرواني: أَنَّ الْبَدْعَ فِي الثَّنِينَ كَانَتْ بِسَبَبِ
تَصْدِيرِ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْعَصَمِ مِنَ الْمَرْسِ وَغَيْرِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي بَنِي
أُمَيَّة^(١).

ولما تمكن علم الكلام من بعض النامى، التمسوا من علم العربية
وأشعار العرب ما يؤيد قولهم، ولو كان مخالفاً للوضع العربي الأول،
ولسان قريش، فهم اعتقدوا بتلويح علم الكلام، ثم استأنسوا بالعربية،
حتى أصبح هناك من يقصد تعلم العربية، لتفريق علم العقائد على طريق
أهل الكلام.

وأهل السنة يرجعون فهم مسائل الثن إلى ما تواضع عليه أهل
الصدور الأول، واشتهر الأخذ به من زمن النبي ﷺ والصحابية والتابعين
خاصة المجازيين، ولا يعتمدون على كل لغة واستعمال، ويثبتون في
النقل، ولا يستدلون بكل شيء من شواهد العرب وأشعارهم، بل بما
نقلته عامة العرب عند الإطلاق.

وقد نبه على هذا جمع من الأئمة؛ كالشافعي في «الرسالة»^(٢)،
وعبد العزيز الجكناني في «التهذيب»^(٣)، وهو الذي يجري عليه في
استعماله ونهجه أئمة العربية؛ كأبي عمرو بن العلاء، وحشاد بن سلمة،
والخليل بن أحمد، وسببؤن، والكسائي، والأصمعي،
وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، ونعلب، وأبي منصور
الأزهري، وغيرهم.

(١) انظر: «مؤن المنظر» (ص ٧٥٦).

(٢) «الرسالة» (ص ٤٠ - ٥٣).

(٣) «التهذيب» (ص ٤٤ - ٥٨).

❦ خطأ المتكلمين في استعمال اللغة:

وأما المتكلمون: فيقلعون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلامية، ويقطعون الاستعمال الأغرب على الأغلب، ولا يعتبرون بالسياق ولا القرائن ولا أحوال المتكلم والمخاطب؛ فقد يشابه الفعل مع غيره، ولكن يخطئ في سياقه، ويتغير معناه:

كالإتيان في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يُكَنِّهِمْ يُكَفِّرُ عَنْكَ الْفَوَاحِشَ فُكَّرَ عَلَيْهِمُ الشَّقَفُ مِنْ قَوْلِهِمْ﴾ [الحل: ٢٦]، فإنه يخطئ عن الإتيان في قوله تعالى: ﴿عَلَّ يَكْفُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، مع أنَّ الإتيانين مضافان جميعاً إلى الله، ولكن الأول مفروق بإسقاط السقف وخروجه؛ فكان مكرراً بهم، والثاني صفة لله تعالى.

ومن ذلك: قوله ﷺ: (الْحَبِيرُ الْأَسْوَدُ يَسِيرُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ)^(١)، وقوله: (إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْبَيْتِ)^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ اللَّهُ وَشَقَّهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله ﷺ عن خالد بن الوليد: (سَقَّ مِنْ شُيُوفِ اللَّهِ سَلَّةَ اللَّهِ)^(٣)، فهذه نعرها المرث بسياقها: أنَّ الإضافة فيها لله، لا يعني كونها صفةً، وهذا السياق يُعرِّف بالوضع القريني الأول، وليس مجرد التركيب اللفظي كاتباً في الفهم.

ومثل هذا كان سبباً في خطأ المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة حينما ألزموا المثبتة على منهج السلف بأمثال هذه الأحاديث: أن تكون

(١) «العلل المتناهية» (٩٤٤) من حديث جابر.

(٢) أحمد (٥٤١/٢) رقم (١٠٩٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٣) سبق تفريجه.

صفات الله كغيرها، أو يَتِمُّ تأويلُ الجميع كتابيها، وقد فهموا الألفاظ، وجعلوا السياق.

ومجرّد العلم باللغة العربيّة لا يُجيزُ تقديمَ الوضع فيها على الوضع الشرعي، فالاصطلاح والوضع الشرعيّ مقدّم على الوضع اللغوي، وما خالف ما أجمع عليه السلف من المعاني، فهو غايب، وإن احتملته اللغة؛ ولذا يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: «أهل العربيّة لغة، وأهل الحديث لغة، ولغة أهل العربيّة أئیس، ولا نجد بُدّاً من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع»^(١)، ويقول ثعلب: «السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة»^(٢)، فالصلاة والزكاة والحج والصوم جاء الاستعمال الشرعيّ فيها على معنى مخصوصي يُخالف الإطلاق اللغويّ، ومن حمّل معنى الصلاة والزكاة والصوم والحج على أحد معانيها اللغويّة، كان حملاً صحيحاً لغة، باطلاً شرعاً.

وكثير من الأئمّة المغاربة يُدوّنون هذا المعنى؛ كابن أبي زيد، وابن عبد البر، وأبي عمرو الداني؛ يقول أبو عمرو الداني: «وانتبه القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفتى في اللغة، والأفتى في العربيّة، بل على الأتّيب في الأثر، والأصح في النقل والرواية؛ إذا ثبت عنهم، لم يردّها قياس عربيّة، ولا فسّوا لغة؛ لأنّ القرآن سنة متّبعة يُلزم قارئها والمصير إليها»^(٣).

ولمّا استقرّت عقائد المتكلّمين على التأويل أو التفويض المطلق، التمسوا من اللسان العربيّ شواهد لتوثيق قولهم؛ فاستدلوا بها، واستدلوا

(١) «الكفاية للخطب» (٥٥٤).

(٢) «مجالس شلمبه» (١/١٧٩).

(٣) «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/٨٦٠).

إليها؛ كتفسيرهم الامتواء بالامتلاء؛ حيث استدل القاضي عبد الجبار بشواهد اللغة على ما استقرَّ عنده قبل استدلاله؛ كما في اقتضائه القرآن^(١)، وكذلك تأويل اليد بالنعمة^(٢)، والكلام في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَخْفِيفًا﴾ [النساء: ١٦٤] حيث فسره بالكلم، وهو المخرج؛ يعني: ابتلاء، وبخرجه باليمن والشمال^(٣).

ولقد تعدى ذلك الاستدلال على الالتفاف بغير المحروق؛ إلى التوسع في تفسير المحلوقات؛ للوصول إلى الغاية؛ وهي التأويل؛ حتى عطلوا جميع الصفات الفعلية عن حقيقتها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَقِيَ زَيْدٌ لِيَكُونَ بِكَ كَصُلْبٍ﴾ [الأمراء: ١٤٣] جعلوا ثم تقديرًا محذوفًا، وهو نجلي أمره وقدرته^(٤)، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فلو المحلوق: إتيان أمره وإرادته^(٥).

وهذا باب لا حدَّ له؛ أدخلوا منه أكثر تأويلاتهم؛ حتى قال القاضي عبد الجبار: «هكذا طريقتنا في سائر المتشابه: أنه لا بُدَّ من أن يكون له تأويل صحيح، يُخرج على منطبق العرب من غير تكلف ولا تعسف»^(٦).

ونوسعوا في إدخال كثير من تأويلاتهم للصفات من باب الكناية والمبالغة، والاستعارة والتشبيه وغيرها.

وأدخلوا من باب المجاز كثيرًا من الحقائق للخروج من الإثبات؛

(١) اقتضاه القرآن (ص: ١٤٢).

(٢) اقتضاه القرآن (ص: ٢٩٩ - ٣٠١).

(٣) الكشاف (١/ ٥٩١).

(٤) معاني القرآن للأخفش (١/ ٣٣٦)، والكشاف (٢/ ١٥٥).

(٥) معاني القرآن للأخفش (١/ ١٨٣)، والكشاف (١/ ٢٥٣).

(٦) العلق في أبواب التوحيد والعدل (١٦/ ٣٨٠).

حتى جُعلَ المعجَزُ مصطلحًا في العربيَّةِ بُضاهي الحقيقة، وقد يفوتها كما يظهرُ في تقريرات أوائل من صبر عن هذا الاصطلاح كالأخفش في «معاني القرآن»^(١)، والجاحظ في «البيان»، و«الحَيَّان»^(٢) حتى زعم ابنُ جني في «الخصائص»^(٣): أَنَّ أَكْثَرَ اللُّغَةِ معجَزٌ، لا حقيقة.

والعجب: أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ التَّأْوِيلَ بِعُقُولِهِمْ، وَيَرُدُّونَ تَفْسِيرَ السَّلَفِ لِأَنَّهُ مِنْ عُقُولِهِمْ، وَعُقُولُ السَّلَفِ أَصَحُّ، وَالسَّهْلُ أَفْضَحُ.

ولما انتفع الأخذُ بعلم الكلام، طَوَّعَتِ العربيَّةُ له، ولم يَطُوعْ لها، وكَثُرَتِ الْبِدْعُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ؛ حَتَّى قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَزِينِيُّ: «كَانَ أَهْلُ الْبَيْتَةِ أَهْلَ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، إِلَّا أَرْبَعَةً؛ فَزَاهِمٌ كَانُوا أَصْحَابَ سُنَّةٍ: أَبُو عَفْوَ بْنِ الْعَلَاءِ، وَالْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَالْأَصَمِيُّ»^(٤).

وقد ظهرَ الاعتزَالُ في كثيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مع إيمانِهِمْ فِيهَا؛ كَهَارُونَ الْأَعْوَرُ، وَابِي مُحَمَّدٍ الْبَزْدِيُّ، وَقَطْرِبُ، وَسَعِيدُ الْأَخْفَشِيِّ، وَابِي عَثْمَانَ الْمَازَنِيُّ، وَالْجَاحِظُ، وَقَدْ كَتَبَ الْجَاحِظُ كِتَابًا لِنَصْرِ الْقَوْلِ بِخُلُقِي الْقُرْآنِ، وَتَعْطِيلِ الصِّفَاتِ؛ كَكِتَابِ «خُلُقِ الْقُرْآنِ»، وَ«الرَّدُّ عَلَى الْمَشْهُبَةِ» كَتَبَهَا لِأَبِي الْوَلِيدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَاضِي الْمَتَوَكِّلِي، وَلَمْ يَبْقَ لَهُذِهِ الْكِتَابُ ذِكْرًا، وَهَجَرَتْ حَتَّى لُفِتَتْ.

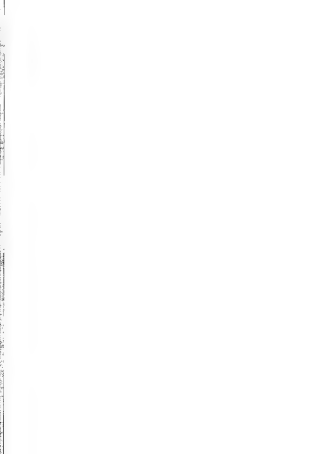


(١) «معاني القرآن» (١/٦١ و ٨٤) و (٢/٥٢٩).

(٢) «الحَيَّان» (١/٢١٢ و ٣٤١) و (٤/٣٩٤ وما بعدها) (٥/١٣ - ٣٤).

(٣) «الخصائص» (٢/٤٤٩).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٢/١٦٦ - ١٦٧).



الشَّحْ

﴿قَالَ كُنْ أَتَى رَبِّي﴾ : ﴿الْحَمْدُ شَحْ﴾ :

يُشْرَعُ الْبِدَاءُ بِذِكْرِ اللَّهِ قَبْلَ الشَّرْعِ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَهْمَةِ، وَالْمَوَاقِفِ الْجَلِيلَةِ، وَقَدْ اسْتَغْنَتْ السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ بِذَلِكَ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ الذِّكْرِ يُشْرَعُ الْبِدَاءُ بِهِ بِاِخْتِلَافِ أَنْوَاعِ الْمَقَامِ الْمَشْرُوعِ فِيهِ؛ فَجَاءَتْ نَصُوصٌ بِالْبَدْوِ بِالسُّمْلَةِ، وَنَصُوصٌ بِالْبَدْوِ بِالْحَمْدِ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :

أَمَّا الْبِدَاءُ بِالْحَمْدِ: فَفِي الْخُطْبِ وَمَا فِي حُكْمِهَا مِنْ طَوِيلِ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ، وَقَدْ اسْتَغْنَتْ الْأَحَادِيثُ عَنِ حِكَايَةِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَخُطْبِهِ يَقُولُونَ: ﴿فَحَمْدُ اللَّهِ، وَأَتَى عَلَيْهِ﴾؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)، وَابْنِ عُثْمَرَ^(٣)، وَأَبِي حَنِظَةَ السَّاعِدِيِّ^(٤)، وَأَنَسٍ^(٥)، وَجَرِيرٍ^(٦)، وَعَائِشَةَ^(٧)، وَأَسْمَاءَ^(٨)، وَهَكَذَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَلَيْسَ فِي فَقَلْهُمُ التَّسْمِيَةَ فِي الْخُطْبِ.

وَأَمَّا اقْتِرَانُ الْحَمْدِ بِالشَّهَادَةِ: فَهُوَ مَشْرُوعٌ فِي صَدْرِ الْخُطْبِ

(١) البخاري (١١٧).

(٢) البخاري (٢١٢٤)، ومسلم (١٢٥٥). (٣) البخاري (١١٠٦)، ومسلم (١٦٩).

(٤) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (١٨٢٢).

(٥) البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (١١٠١) فِي نَحْوِ آخَرٍ.

(٦) مسلم (١٠١٧). (٧) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٨) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

والكلام الجليل بلا خلاف، وقد جاءت به السنة القليلة:
كما في حديث عائشة في «الصحيحين»: لما اتهم الناس بصلواته
بالليل، ولم يخرج لهم في الثالث، فخطبهم في الفجر، فقال: (إِنَّهُ لَمْ
يَخْفَ عَلَيَّ مَكَائِكُمْ)^(١).

وتشهد عندما حدثت عائشة بالإفك؛ فقال كما في «الصحيحين»:
(يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ يَلْقَى عَنْكَ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ كُنْتَ بِرَيْبَةٍ، فَسَيِّئُ ذَلِكَ)^(٢).
وجاء بالشهادة السنة القليلة؛ كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً:
قال: (كُلُّ عَطِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدُ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَلْمَاءِ)^(٣).

وصح عن أبي بكر وعلي بن أبي طالب تشهدهم في خطبة غير
الجمع؛ كما في «الصحيحين» عن عائشة، في تبعو أبي بكر^(٤).
وتشهد عمر في عطية لما مات النبي ﷺ^(٥)، وشهد عثمان في
كلايه لما أقام الحد على الوليد بن عقبة؛ وكلاهما في «الصحيح»^(٦).
وكان بعض الصحابة يشهد فيما بينهم، حتى في غير صعود المنبر،
ولغير الناس عامة:

كما جمع ابن عمر بنينو وأهلته في إنبات بيمو يزيد لما خلعه
الناس؛ حيث رأى أنَّ الخلع نكثٌ وعُدرا؛ كما عند أحمد^(٧)، والأصل
المرفوع في «مسلم»^(٨).

- (١) البخاري (٩٢٤ و ٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١).
- (٢) البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).
- (٣) أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦).
- (٤) البخاري (٤٢٤٠ و ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩).
- (٥) البخاري (٧٢١٩).
- (٦) أحمد (٤٨/٢) رقم ٥٠٨٨.
- (٧) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).
- (٨) البخاري (٣٨٧٢).

وجاء عن ابن مسعود: التَّشَهُُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا.

وجاء عن عطاء، عن أبي البَحْرِيِّ: قَالَ: «كُلُّ حَاجَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُُّدٌ، فَهِيَ بِقِرَاءَةِ»^(١).

وَأَمَّا الْبِدَءُ بِالْبِسْمَةِ: ففي المكاتبات والرسائل سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ والأنبياء؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا بَيْنَ يَدَيْكَ رَبِّ لَقَدْ سُبِّحَ أَقْوَمُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الزل: ٣٠)، وكلُّمَا كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي يَشْرَعُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالْمُتَكَلِّمُ اعْظَمَ، كَانَ التَّأَكُّدُ بِالْبِدَءِ بِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِ أَشَدَّ.

وظَاهِرُ السُّنَّةِ: التَّضَرُّعُ بَيْنَ الْخُطْبِ وَالْمَكَاتِبَاتِ؛ فَالْخُطْبُ يُبْدَأُ فِيهَا بِالْحَمْدِ لِلَّهِ، وَالْمَكَاتِبَاتُ يُبْدَأُ فِيهَا بِالْبِسْمَةِ؛ كَمَا فِي كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ وَرُؤُوسِ النَّاسِ؛ كَكِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، وَكَشْرَى عَظِيمِ فَارَسَ، وَالْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْفُتَيْطِ، وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَالْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى النَّمِيمِيِّ حَاكِمِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْحَارِثِ الْعَسَاثِيِّ مَلِكِ الْجَبَرَةِ، وَأَوَّلَ رِسَالَتِهِ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبَقِيَّتُهَا فِي السَّبْرِ.

وَأَكْثَرُ السَّلَفِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ يَبْدُؤُونَ كُتُبَهُمْ بِالْبِسْمَةِ، ثُمَّ يَشْرَعُونَ فِي الْمَقْصُودِ؛ كَمَا لَكَ فِي «الْمَوْحَاةِ»^(٣)، وَغَيْرِهِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الْكُتُبِ الْبِدَءُ بِالْبِسْمَةِ وَالْحَمْدُ جَمِيعًا.

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْبِدَءِ بِالْبِسْمَةِ وَالْحَمْدِ: مَعْلُومَةٌ، وَالسُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ.



(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٢١٧)، (٢) البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(٣) (١/١٢).

﴿قَالَ إِنِّي أَنزِلُهُ﴾ : ﴿الَّذِي ابْتَعَا الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ﴾ :

التذكير بنعمة الله على عباده مُوجِبٌ لظهور حقِّ الله على عباده، فعن الله سابق ولا حق، ونعمته لا تحصى، وإنما يؤتى الإنسان بفعلوه من هذا وضلاله بكونه من جهتين :

الأولى : أن ينسب فضل الله ونعمته عليه إلى غير الله، فيعبثه من دون الله.

الثانية : أن ينسى فضل الله عليه، وينفل عنه، فينفل عن عبادة الله وحقه عليه بمقدار عقله.

ولهذا نأمر أسباب التذكير بفضل الله على عباده : إما بالابتلاء ليرجع، وإما بالتوفيق والمراجعة للحق بالتدبر والعلم والفهم.



﴿قَالَ إِنِّي أَنزِلُهُ﴾ : ﴿وَأَنزِلُهُ إِلَى رَقِيعَةٍ، وَمَا يَسَّرُهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَكَتَبَهُ بِأَثَرِ صَنَعَتِهِ، وَأَعْلَزَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَ مِنْ خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَتَسَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَضَرَعَ ضُرُوبَهُمْ لِلدُّكْرِى، فَأَمَرُوا بِاللَّيْسَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَفَعَّلُوا بِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَتْ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا عَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْتَفُوا بِمَا أَصَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ﴾ :

ذكر الملائكة نعمة الله على عباده من إيجاده وكفائته وتعليمه، وذكر دليل الخلق بقوله : ﴿وَكُتِبَتْ بِأَثَرِ صَنَعَتِهِ﴾ وهذا كثير في القرآن، يأمر عبادة بالنظر والتفكير والسير في الأرض لتدبر آيات الله والتأمل فيها؛

فَإِنَّ هَٰذَا بَيِّنَاتٌ لِّكَ الْكَوَاكِبِ وَالْأَنْجَامِ، وَالنَّجْمِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،
وَأَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ الْحَيَّةِ وَالْجَامِدَةِ - تَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ شَوْجِدِهَا؛
قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنَّ بَنِي آدَمَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَكِوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا عَلَيْنَا لَنُفِثَ فِيهِمْ﴾
٥٠-مراء: ٤٦٨٥، وَقَالَ: ﴿وَالْأَرْضِ عِنْدَ إِثْقَانِ ٥١﴾ وَهَٰذَا أَفْشَاكَ اللَّهُ
تَبَيَّنَ ﴿الطُّرُوقَ: ٢٠-٢١﴾، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِنسَانِ إِذْ خُفِيَ ٥٢﴾
وَالَّذِي أَلْهَمَكَ كَيْتَ نَفْسِكَ ٥٣ وَالَّذِي لِيْلَكَ كَيْتَ نَفْسِكَ ٥٤ وَالَّذِي أَلْهَمَكَ كَيْتَ
نَفْسِكَ ﴿الْقَائِمَةُ: ١٧ - ٢٠﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ تَسْوِئِهِمْ عَلَى مَرَادِهِ بِفَضْلٍ وَقَدْ، وَلَا يَنْظُرُ اللَّهُ أَحَدًا، وَتَقْدِيرُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَحْسِبُ حُلَّتْ لَهُمْ، وَلَا قَطَعَ حُجُوبُهُ عَلَيْهِمْ، وَإِنِّي الْكَلَامُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فِي بَابِ الْقَدَرِ وَالْمَشِيئَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وفي قوله: «فَاسْتَوْا بِاللَّهِ بِآيَاتِهِمْ نَاطِقِينَ»، وَيُقَالُ لَهُمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَغَنِيَّةَ عَالَمِينَ»، دُخِرَ لِلإِيمَانِ، وَأَنَّ قَوْلَ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، وَلَا يَكُونُ إِيمَانٌ عَدْوً إِلَّا بِفَلَكَ، وَيَأْتِي بِأَنَّ هَذَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

﴿ سَمِعُ الْحَلَالَ، وَضَيِّقُ الْحَرَامِ:﴾

وفي قوله: «وَتَعْلَمُوا مَا عَلَيْهِمْ»، وَفَقُّوا جُنْدًا مَا خَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَلْتُوا
بِمَا أَخْلَى لَهُمْ عَمَّا حَزَمَ عَلَيْهِمْ»:

تنبيه إلى أن الغاية من العلم: العمل بالمأمور، وترك المحظور، وأن الله جعل في الحلال غنية عن الحرام وكفاية، وكثيراً ما ينهى الله عن شيء، ثم يبيّن سنة الحلال؛ حتى لا يشعر الإنسان بالحرج والضيق، وتوقفته نفسه؛ فإن الشيطان يكثر من عرض المحرمات على الإنسان؛ حتى يشعر بسعتها، ويبيّن الحلال حتى يشعر بضيقة وقلة:

ومن ذلك: قوله تعالى قبل تحريم الميتة والدم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِن بُيُوتِكُمْ وَأَتُوا مَنَازِلَكُمُ فَذِكُّوا يَوْمَ ذِكْرِكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثم قال: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَوَازِجِ وَمَا أُحْلِي بِهِ يَذْوَرُ نَفْسًا﴾ (آية: البقرة: ١٧٣).

والله تعالى يذكر الحلال ويؤسسه، ويذكر الحرام ويضيقه، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتُمْنُونِ فِي الْمَيْتَةِ حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ (البقرة: ٢٠٨)، فلما ذكر الحلال أطلقه، ولما ذكر الحرام وصفه بالمحظوات، ولا يتجرأ أحد على حرام إلا وقد ضاق الحلال عليه: إما توهمًا في نفسه، أو حقيقة في الواقع، والتضييق ليس من التشريع.

❦ بيان المؤلف لموجب التأليف:

❦ قَالَ كَاتِبُ الرَّسَالَةِ: ﴿إِنَّمَا بَعْدُ: أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِغَابٍ وَذَائِبَةٍ، وَحَفِظَ مَا أَوْعَدَنَا مِنْ شَرَّائِبَةٍ؛ فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ النَّبَاةِ﴾:

شرح ابن أبي ذر في بيان مقصوده من «الرسالة»، وموجب كتابتها. واستعمال: «إِنَّمَا بَعْدُ» سنة لفصل الخطاب، كان يفعلها النبي ﷺ في خطبه ومكائباته.

وبيان موجب الكتابة بيّن المقصود منها، وتخيرتها عن الفضول وقصد الكتابة للكتابة، وبيان موجب القول يزيد من التوضيح؛ وهو كثير في القرآن؛ فذكر الله الحكم والجواب بعد ذكر الاستشكال والسؤال من الناس؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ (البقرة: ١٨٩)، و﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ (النساء: ١٧٦).

﴿قَالَ كُنْ لَيْزَانٍ﴾: ﴿يَمَا تَتَوَلَّى بِوِ الْآلِيَّةِ، وَتَعْتَقِدُ الْفُلُوبَ، وَتَعْمَلُ الْجَوَارِحَ، وَمَا يَتَوَلَّى بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ، مِنْ مُؤَلَّدِيهَا وَتَوَالِيهَا، وَرَعَائِيهَا وَشَيْءٍ مِنَ الْأَقَابِ مِنْهَا، وَجُمْلَةٍ مِنْ أَصُولِ الْفَقْهِ وَقَوْنَةٍ عَلَى مَذْهَبِ الْإِقَامِ تَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَجَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ﴾:

والمقصود بشرحنا هنا: هو لمعتقد المؤلف في صدر رسالته، فإنه قد أتبع معتقده أحكام الفقه وتفصيله، وسحل الكلام عليها غير هذا الكتاب.



﴿قَالَ كُنْ لَيْزَانٍ﴾: ﴿مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَتَبَيَانِ الْمُتَعَقِّلِينَ، لِمَا وَغِيَتْ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ الْوَلَدَانِ، كَمَا تَعَلَّمَهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ، يَهْدِي إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ قَلَمٍ وَبِيْنِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ، وَتُحَمَّدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ، فَاجْتَنَبْتَكَ إِلَى ذَلِكَ، لِمَا وَجَوَّدَ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابٍ مَنْ عِلْمٍ وَبِيْنِ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ﴾:

لقد بشر الله كَلَامَهُ لِمَنْ يَرِيدُ فَهَمَهُ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ عَزَفَ لِسَانَهُمْ غَيْرَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا لَكَ قَوْلٌ مِنْ لَدُنْكَ﴾ [النجم: ١٧]، وَجَعَلَهُ سَهْلًا يَسْرًا، لَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فَهْمِهِ إِلَّا إِعْرَاضُ قَلْبِهِ وَانْصِرَافُهُ عَنْ الْحَقِّ، وَيُثَلِّقُ هَذَا لَوْ سَمِعَ الْحَقَّ، لَمْ يَسْتَفِضْ بِهِ، وَيَكُونُ سَمَاعُهُ كَسَمَاعِ الْأَصْمِ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنعام: ١١٣].

وَرُبَّمَا نَظَرَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ فِي الْقُرْآنِ، وَتَشَبَّهَ الْمُتَشَابِهَ، فَوَازَ زَيْلُهُ، لِأَنَّهُ طَلَبَ الزَيْغَ بِنَفْسِهِ، وَاللَّهُ لَا يَبْتَدِئُ أَحَدًا بِإِزَاغَةٍ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ١٥].

ولا يصرف أحداً عن الحق وهو بريء: ﴿ثُمَّ أَصْرَفُوا عَنْكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (التوبة: ١٢٧)، ولا يثقل في قلب أحد مرضاً أو رجساً إلا وهو يطلب المرض والرجس: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ لُزُومٌ مِمَّا كَفَّمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠)، وقال: ﴿وَأَمَّا الْوَيْلُ فِي قُلُوبِهِمْ شُرَكَائِهِمْ فَاَذْنَبْتُمْ إِلَيْهِمْ وَجْهَهُمْ﴾ (التوبة: ١٢٥)، ومن كان في قلبه لصد الخير وطلبه، فإن الله يهديه: ﴿وَلَوْ كَرِهَ اللَّهُ لِيَهُمْ عَذَابُكَ لَاسْتَفْتَيْتُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢٣)، وإذا كان الإنسان كلماً قرأ الأدلة، ازداد غلباً وانحرافاً، فالعيب في قصده ومرض قلبه، لا في الأدلة.

ومن تجهل شيئاً من الوحي المتعين عليه، وجب عليه سؤال أهل العلم العارفين بذلك؛ فإن مجرّة الجهل مع إسكان رفيق، لا يعتد صاحبه به؛ والألحاح الجهل غيراً من العلم، وتجهيل الناس أفضل من تعليمهم؛ لأن تعليمهم تكليف وحساب، وتجهيلهم إعلان وعفو.

وَنَشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى الْفُطْرَةِ، وَتَقْبَلُ الْحَقَّ وَالْإِتْجَاءَ إِلَيْهِ، وَاسْتِنكَارِ الْبَاطِلِ وَالشُّقْرَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَوَكَّلُ عَلَى الشَّرِّ؛ إِذَا تَدَرَّجَ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفُطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَجِّسَانِهِ...) (١).

وتعلم الولدان الحق والخير واجب، وهو حق لهم على واليهم، ويتأخذ ذلك في الأزمنة التي يكثر فيها الشر؛ فيجب أن يسبق بالخير إلى قلوبهم قبل أن يسبق إليهم الشر؛ فيعتادونه ويشربونه.



(١) البخاري (١٢٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة.

﴿قَالَ كُنْ لِي رُحِيمًا﴾: «وَعَلِمَ: أَنَّ غَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاةًا لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ: مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ، وَأَوَّلَى مَا خُفِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَدُخِبَ فِي أَجْرِ الرَّاعِيُونَ: يُضَالُ الْخَيْرُ إِلَى قُلُوبِ أَزْوَاجِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيُرْسَخَ فِيهَا، وَلْيَبْهَتَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الثَّنَاءِ، وَخُذُوا الشَّرِيعَةَ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْقِبَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رُويَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُظْفِرُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنْ تُعْلِمَ شَيْءٌ فِي الصَّغَرِ؛ كَالنَّحْلِ فِي الْحَبَرِ».

وَقَدْ تَلَّكَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ، وَيَتَرَفَعُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْتَعِينُونَ بِإِحْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ»:

أنهى القلوب: القلب الذي يكون على الفطرة، ولم يرد إليه وارد من الشر؛ لأن القلب إذا تمكَّن منه الشرُّ، تصلب وقسا، وشق عليه الرجوع؛ كما قال تعالى: ﴿فَقَالَ عَلَيْهِمُ الْمَلَكُ هَئِنْتُ فَاتِكُمْ فَأُخْرِجُكُمْ﴾ (الحديد: ٢٨) لأن القلب منافذ يدخل منها الخير، وإذا كثُر الباطل والشرُّ على القلب، كثُر إغلاقي منافذ الخير إليه؛ حتى يكون كالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً فِي قَبُولِ الْحَقِّ.

وفد جامع الأدلة في تعليم الصغار بين الله، وخاصة ما يتعلق بهم وما يَشُقُّ عليهم الثبات عليه بعد تكليفهم؛ كالصلاة وأحكام العزرة؛ كما قال ﷺ: (شُرُّ أَوْلَادِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَلَمَّا كَبُرُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)^(١)، وكما في ظاهر آية العزرة من سورة النور.

(١) أحمد (٦/ ١٨٠ و ١٨٧ رقم ٦٦٨٩ و ٦٦٩٠)، وأبو داود (٤٩٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

وتعليم الصغير أثبت في قلبه من تعليم الكبير لخلو قلبه ولبه وقلوبه.

والأمم والشعوب التي تنشأ على الفطرة، ولم تبدل، فإنها أسرع لقبول الحق والسليم به كما هو اليوم في كثير من بلدان إفريقيا وبعض بلدان جنوب شرقي آسيا، وأما التي تبدلت فطرته، وطال الأمد على انحرافها، فإن قبولها للحق شاق؛ لأن قلوبهم منحرفة كالإناء المائل أو المنكوس، فيقدار ميله يقل نصيبه من ثقل وضع الماء فيه، وإذا كان منكوساً لا يقبل شيئاً حتى يعدل على الفطرة الصحيحة، ثم يصب الماء فيه، والجهل في هؤلاء شاق؛ لأنهم يحتاجون إلى جهاتين: جهاد تعديل الفطرة، وجهاد غرضي الشريعة؛ وهذا كالفرق بين أهل مكة وأهل المدينة في أولي الإسلام؛ فأهل مكة أشد تبديلاً للفطرة، فعانقوا وكابروا، ولكن من آمن منهم، ثبت وكان إيمانه أقوى من غيره؛ لأنه جرب أقصى الضلالة، فرجع، فليس بعدها شيء؛ ولهذا كان مؤمنو مكة المهاجرون أفضل من مؤمني المدينة الأنصار.

ومن أراد دعوة أحد إلى الحق، فليُنظر إلى فطرته ومقدار انحرافها قبل دعوته، حتى يقوم الإناء قبل الصب فيه، ومن يدعو أصحاب الفطر مبدلة، اعظم أجراً ممن يدعو أصحاب الفطر الصحيحة، ولو كان أقل اتباعاً؛ نكل أولي العزم من الرسل أربلوا إلى أمم مبدلة للفطرة.

وإذا نشأ الإنسان في بيئة شرّ وعرف الحق، فهو أثبت وخير ممن عرف الحق في بيئة خير، ومن هذا قول أحمد: إذا أضيت الكوفة صاحب سئو، فهو يؤول الناس^(١)؛ وذلك لأنه تحلبت على الكوفة بدمعة التشيع والرفض.



﴿قَالَ كُنْ فِي زِينَةٍ﴾: «وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ صَبِيٍّ، وَيُحَرِّثُوا عَلَيْهَا لِحْطَرٍّ، وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ: يَتَّبِعِي أَنْ يَغْلَسُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُرُوعِهِمْ، لِتَأْتِي عَلَيْهِمُ الْجُلُوعُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَتَكُنَّتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَبَسَتْ بِنَا يَغْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.

﴿وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ شِبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِغْنِثَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

﴿وَسَائِلُ لَكَ مَا خَرَقَتْ لَكَ ذِكْرَهُ بَابًا بَابًا، لِيَقْرُبَ مِنْ قَهْمٍ مُتَغَلِّبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَرِثَاءَ تَسْتَعِيرُ، وَيَوْمَ تَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ﴾:

أَمْرُ الصَّبِيِّ بِالصَّلَاةِ فِي صَبَرِهِ مُتَوَجِّةٌ فِي الشَّرْعِ لَوْلِيًّا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ...»^(١)، لِأَنَّ الصَّبِيَّ غَيْرُ مَكْلُوفٍ، فَلَا يَتَوَجَّعُ إِلَيْهِ الْخُطَابُ، وَالْتِصَامُ فِي ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى وَلِيٍّ لَا عَلَيْهِ، وَإِذَا بَلَغَ، وَقَعَ عَلَيْهِ لَا عَلَى وَلِيٍّ.

﴿وَأِنَّمَا خُصِّصَتِ الصَّلَاةُ بِالتَّكْبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ فِي أَوَّلِ تَعْيِينِهِ، لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

الأول: كَوْنُهَا أَعْظَمَ الْأَرْكَانِ الْعَمَلِيَّةِ وَأَقْدَمُهَا، وَالْإِهْتِمَامُ فِي الشَّرِيعَةِ يَكُونُ لِلْأَهَمِّ وَالْأَعْظَمِ.

(١) سبق تفريجه.

الثاني: أَنَّ الصلاةَ ثَقِيلَةٌ، وَتَحْتَاجُ إِلَى تَوَكُّنٍ، وَالنَّضْضِ حُضْطَةً ظَرِيقَةً؛ حَتَّى إِذَا عَجَزَتْ، لَا تَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ، وَقَدْ اعْتَادَتْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَمَنْ لَمْ يُوَدِّعْهَا وَهُوَ صَغِيرٌ بِأَيِّ حَالٍ، شَقَّ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهَا عِنْدَ أَوَّلِ بَلَوِغِهِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ أَمْرُ الْوَلِيِّ بِأَنْ يَأْمُرَ الصَّغِيرَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ سِنِينَ؛ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَاشِرَةَ، وَهِيَ ثَلَاثُ سِنِينَ، يُؤْمَرُ فِيهَا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ يُضْرَبُ عَلَيْهَا بَعْدَ الْعَاشِرَةِ إِلَى بَلَوِغِهِ، ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرُوحٍ؛ وَلَكِنْ مَنْ انْتَهَلَ عَلَى الْأُولَى، لَمْ يَخْتِجْ إِلَى الثَّانِيَةِ؛ لَيْ: مَنْ انْتَهَلَ بِأَمْرِ الصَّغِيرِ بَعْدَ السَّابِعَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ، لَمْ يَبْلُغِ الْعَاشِرَةَ إِلَّا وَهُوَ مُدَاوِمٌ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَخْتِجْ إِلَى ثَوْنِهِ.

الثالث: أَنَّ الصلاةَ ثَقِيلَةٌ بِلَا خُشُوعٍ، وَالْخُشُوعُ ثَقِيلٌ فِي ذَاتِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَوَكَّنْ عَلَيْهِ، وَالصَّغِيرُ أَوَّلُ مَا يُوقَّعُهَا لَا يَعْرِفُ الْخُشُوعَ؛ فَيَرَادُ تَوْطِئُهُ عَلَى الْأَمْرِ نِيسَانًا عَلَيْهِ: ﴿وَأَتَذَكِّرُكُمُوهَا فَاذْكُرُونَهَا أَكْثَرُ لَكُمْ خَيْرًا إِلَّا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وَالْخُشُوعُ ثَقِيلٌ عَلَى ضَعِيفِ الْيَقِينِ بِرَبِّهِ؛ كَمَا وَضَعَتْ آيَةُ الْخَاشِعِينَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزُّمَرُ: ١٢٩] نَفْسُهُمْ تُلْقُوا رَيْبَهُمْ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

فَالثَّلَاثَةُ مُتَلَازِمَةٌ: أَدَاءُ الصَّلَاةِ، وَخُشُوعُهَا، وَالْيَقِينُ بِالْهَوَا؛ وَلَمَّا كَانَ الصَّغِيرُ يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِهَا فِي نَفْسِهِ، احْتَاجَ إِلَى التَّكْبِيرِ بِهَا أَوَّلَ تَعْيِينِهِ.

الرابع: أَنَّ الصلاةَ بَابٌ لِحِفْظِ بَقِيَّةِ الدِّينِ؛ فَهِيَ تُنْقِصُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَيَحْتَاجُ الصَّغِيرُ إِلَيْهَا؛ لِقَرَدَعَةٍ عِنْدَ بَلَوِغِهِ، وَتَحْتَهُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْبَاطِنِ، فَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿قَالَ لِي رَسُولِي﴾: ﴿وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَكَوْنِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا﴾:

فُتْرِخُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخُطْبِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَلَدِ لِأَنَّ تَعْظِيمَ الرَّسُولِ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَرِثَةِ وَالرَّسَالَةِ، وَتَعْظِيمِ النَّبِيِّ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبُوَّةِ وَالنَّبِيِّينَ؛ وَهَذَا يَعْمَلُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ وَالنَّاسِئَةُ مِنْ أَبِي جَحْشَدَةَ قَالَ: «صَوَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي النَّيْتِ، فَحَبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَقْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: خَيْرٌ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ ﷺ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ»^(١).

فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوَاضِعُهُ:

وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَةٌ عَلَى قَائِلِهَا، وَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي قُبُولِ الْعَمَلِ وَالِدَعَاءِ فِي «السُّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ قُصَالَةَ بْنِ عُثَيْبٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَنْ صَلَّى وَدَعَا، وَلَمْ يُتَجَدَّ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ: (عَجِلْتُ إِلَيْهَا الْمُصَلِّي)، وَقَالَ لِمَنْ صَلَّى فَمَجَّدَ اللَّهَ وَخَوَّفَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: (أَفْعُ نَجَبٍ، وَصَلَّ تُعْطَى)^(٢).

وَقَدْ نَوَاقَرَتْ الْأَحَادِيثُ وَالْأَنَاءُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَائِدَةً، وَصَحَّتْ فِي مَوَاضِعَ خَاصَّةٍ:

فَتُفْرَغُ كَسَائِرُ الْأَعْمَارِ لِغَيْرِ سَبَبٍ؛ إِذَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ

(١) تزيادات المسند (١٠٦/١) رقم (٨٣٧).

(٢) أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٤٧٦ و ٣٤٧٧)، والنسائي (١٧٨٤).

أبي هريرة، قال ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاجِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)^(١).

وهي من أعظم أسباب مكفّرات الذنوب وجلاء الهموم؛ ففي «المسنّد» من حديث أبي طلحة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاجِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَدَلَّعَ لَهُ عَشْرَ مَرَجَاتٍ)^(٢).

وتُشرع عند أسباب، وأكثفها: في الصلاة عند التشهّد^(٣)، وعند ذكر النبي ﷺ^(٤)، وبعد الأذان^(٥)، وفي صلاة الجَنَازَةِ^(٦)، وعند الهَمِّ والحاجات^(٧)، وفي مجالس الذِّكْرِ عامة^(٨)، وعند الدعاء^(٩)، وكان بعض الصحابة يَحْتِمُ قُوَّةَ بالصلاة على النبي ﷺ^(١٠)، وذوي فيه مرفوعات يوم الجمعة وليكنها^(١١).

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) «المسنّد» ٢٩/٤ رقم (١٧٣٥٢)، وهو في «شعب الإيمان» (١٤٥٥) من حديث أنس.

(٣) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حنيفة الساعدي. والبخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) من حديث ثعلبة بن حنظلة. وورد عن عليّ من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

(٤) الترمذي (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة، و(٣٥٤٦) من حديث الحسين بن علي.

(٥) مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) «مسند الشافعي» (٢١٠/١ - ٢١١) من حديث رجل من الصحابة.

(٧) الترمذي (٢١٥٧) من حديث أبيّ بن كعب. وأبو نُعَيْم في «معركة الصحابة» (٢/١٤١٣) من حديث جابر بن سفيان.

(٨) الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٧٢) من حديث أبي هريرة.

(٩) الترمذي (٥١٣) من حديث ابن مسعود.

(١٠) «فضل الصلاة على النبي» (١٠٧).

(١١) المسائي (١٣٧٤) من حديث أنس بن أوس. وابن ماجه (١٦٣٧) من حديث أبي الدرداء. والبيهقي (٢/٢٤٩) من حديث أنس وأبي الدرداء.

وَيُرَوَّى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ؛ وَهُوَ مَعْلُولٌ^(١).

وَإِنَّا ذُكِّرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، نَأْتَلَتْ.

وَتُجْزَى مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتُكْرَرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَوَّلَى وَأَخْرَطَ؛ وَفَلَك لَأَنَّ جَبْرِيلَ دَعَا عَلَى مَنْ تَرَكَهَا بِالْبُعْدِ، وَأَمَّنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ؛ قَالَ: صَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَيْتَرَ، فَقَالَ: (أَيُّيْنِ، أَيُّيْنِ، أَيُّيْنِ)، قَالَ: (أَتَأْتِي جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَلَزَكَ أَحَدَ أَبْنَوْثِهِ، قَمَاتَ، فَتَخَلَّ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَيُّيْنِ، فَقُلْتُ: «أَيُّيْنِ»، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَلَزَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، قَمَاتَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَذْجَلِ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَيُّيْنِ، فَقُلْتُ: «أَيُّيْنِ»، قَالَ: وَمَنْ ذُكِّرَتْ مِنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، قَمَاتَ، فَتَخَلَّ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَيُّيْنِ، فَقُلْتُ: «أَيُّيْنِ»؛ صَحِيحٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٢)، وَرَوَى نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، عِنْدَ ابْنِ جِبَانَ^(٣)، وَعَنْ كُثَيْبِ بْنِ عُجْرَةَ عِنْدَ الْحَاكِمِ^(٤)؛ وَكُلُّهَا مَعْلُولَةٌ.

وَرَوَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ نَحْوِهِ، وَلَكِنْ فِيهِ: (رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِّرَتْ مِنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ)^(٥).

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ مَرْفُوعًا: (الْبَحِيلُ: مَنْ ذُكِّرَتْ مِنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ)^(٦).

(١) انظر: (مناقب الأئمة) (١/ ٢٧٥ - ٢٧٧).

(٢) «المعجم الكبير» (٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤) ولم (٢٠٢٢).

(٣) في «صحيحه» (٤٠٩ و ٩٠٧ و ٩٠٨). (٤) في «المستدرک» (١/ ١٥٣ - ١٥٤).

(٥) البزار (١٦٥٢).

(٦) أحمد (١/ ٢٠١) ولم (١٧٣٦)، والترمذي (٣٥٤٦) من حديث حسين بن علي.

﴿ حَكُمُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ :

الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَلْوِ وَأَصْحَابِهِ، مَعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ :
جائزاً .

وَأَمَّا أَنْ يُفَرِّدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِصَلَاةٍ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَبِمَا ذَلِكَ قَوْلَانِ
مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ : الْمَنْعُ ، وَالْجَوَازُ :

وَمَنْ أجازَ ، احْتَجَّ بِأَنْ عَلِيًّا قَالَ لِمَنْزَرٍ : «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ»^(١) .

وَمَنْ مَنَعَ ، احْتَجَّ بِمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : «لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تُنْبِئُ
مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢) . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، عَنْ
يُحْيَى بْنِ عَمْرٍو ، عَنْهُ .

وَيُكْرَهُ تَخْصِيصُ أَحَدٍ بِالصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهِ ، عَلَى وَجْهِ يُفَهِّمُ مِنْهُ
الْعُلُوَّ .

وَيُذَلُّ عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصِهِ ،
وَاتِّخَاذِهِ شِعَارًا لِمَعِينٍ : جَمَلَةٌ مِنَ الْأَمَلَةِ :

مِنْهَا : قَوْلُهُ تَعَالَى : «فَقَرَأَ الَّذِي يُسَلِّى عَلَيْكُمْ وَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ» [الْأَحْزَابُ : ٤٣] .

وَمِنْهَا : قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ : «إِنَّ الصَّلَاةَ تَصَلَّى عَلَى أَحَدِكُمْ ، مَا دَامَ فِي
مُصَلَّاةِ الَّذِي صَلَّى لِيَوْمٍ مَا لَمْ يُحَلِّثْ»^(٣) . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٤) .

وَمِنْهَا : حَدِيثُ قَبِيضِ الرُّوحِ ، يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ : (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ،
وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَمُوتُ) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٥) .

(١) مسائل أحمد : رواية أبي داود (ص ١١٣) .

(٢) ابن أبي شيبة (٨٨٠٨) .

(٣) البخاري (٤٤٥) و ٦٥٩ و ٢١١٩ ، ومسلم (٦٤٩) .

(٤) مسلم (٢٨٧٢) .

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِلُ، فَلَيْسَ قَوْلُكَ شَيْءٌ؛ أَقْبَىٰ عَنَّا الذَّيْنِ، وَالْحَقُّ مِنَّا
الْقَلْبِيُّ^(١).

وروى عمران بن حصين رضي الله عنه؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ
وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى النَّامِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ،
وَكَتَبَ فِي الْأَنْجُمِ كُلِّ شَيْءٍ)^(٢).

﴿حَكَمَ التَّفَكُّرُ فِي ذَاتِ اللَّهِ:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاضِعُونَ، وَلَا يُحِبُّ بِأَمْرِ
الْمُتَفَكِّرِينَ﴾:

الْكُنْهَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ وَنَهَائَتُهُ؛ فَيَقَالُ:
هَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرَكَ كُنْهُهُ؛ إِذَا كَانَ عَصِيًّا عَلَى إِدْرَاكِ كَيْفِيَّتِهِ^(٣).

وإثبات صفات الباري إنما هو إثبات للوجود والحقيقة والكيفية
اللافتة به التي لا تعلمها، لا إثبات للكيفية في أذهان المبتدئين؛ لأنَّ الله
سبحانه ليس له مثيل يُكَيَّفُ عليه، ولا شبيه له حتى يفسد عليه؛ قاله
يقول عن نفسه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَهُوَ الْكَيْفِيُّ الْبَحِيثُ^(٤) [الشورى: ١١]،
ولا أعلم من الله بنفسه سبحانه.

والواجب على العقول: أن تتوقفت عند إثبات حقيقة الصفات
ومعانيها الثابتة، ولا تتجاوز ذلك إلى الكيفية تفكيراً أو بحثاً؛ فلا تشبه
ولا تدوّل، ولا تفوّه ولا تحرف؛ فكلُّ مجاوزة للعقل عن الحدِّ
المأذون به شرعاً في صفات الله تعالى، فلا بُدَّ أن ينتهي بصاحبها إلى

(١) مسلم (٢٢١٣).

(٢) البخاري (٣١٩١ و٧٤١٨).

(٣) تهذيب اللغة (٢٢/١).

تشبيه أو تمثيل، أو تحريف وتعطيل، والخوض فيما نهى الله عنه يؤدي إلى هلاك صاحبه، وهو من أسباب دخول النار؛ فقد ذكر الله قول أهل النار في سبب دخولهم فيها: ﴿وَسَفَّيْنَا عَنْ آلِهَتِهِمْ﴾ (النسر: ١٥).

وانما نهى الله عن الخوض فيما لا يدرجه العقل؛ لأنه باب للشيطان لإغواء الناس؛ فيستدرجهم إلى الخوض في غيب لا يحسبونه، ويغرهم بعقولهم، وربما ابتدأ بهم بالمشروع، نطميناً لنفوسهم حتى يجرهم إلى الممنوع؛ كما في قوله ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَخَذَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَخَذَكُمْ بِشِرِّهِ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: كُنْتُ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ^(١)) وفي رواية: (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللّهِ وَلْيَسْتَنْتِ^(٢))، والنهي ليس للبدو بالتفكير المشروع، وإنما للمحذر أن يكون طريقاً للممنوع.

ويجب إمساك العقول والأذهان عن استرسالها بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأن الأذهان تشبه وتمثل وتكيف؛ فلا يمكن لعقل أن يتصور شيئاً جديداً لذات لم يرها من قبل، ولو ابتكر شيئاً جديداً، فإنما هي صفات مرئية من عدو ذوات جتمها لذات واحدة، فكل عقل يصور الغائب عنه على ما يرى؛ حتى تختلف الصور في العقول للذات الواحدة؛ لاختلاف المشاهد في كل عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجدال في الله وأسمائه وصفاته.

وقد قال ابن عبد البر: «نهى عن التفكير في الله، وأمرنا بالتفكير في

(١) أحمد (٢/ ٣٣١) رقم (٨٢٧٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤/ ٢١١).

خَلَقَهُ الدَّانِ عَلَيْهِ^(١)، لَأَنَّ التَّفَكُّرَ فِي الْأَسْمَاءِ يُؤَدِّي لِمَعْرِفَةِ أَثَارِهَا، وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَائِهَا، وَهُوَ الْإِحْصَاءُ الْمَقْصُودُ بِقَوْلِهِ ﷻ: (إِنَّ لَهُ بِشْعًا وَتِسْمِينَ أَسْمَاءً مِمَّنْ أَحْصَاَهَا دَخَلَ الْجَنَّةُ)^(٢).

وقد قال سُخَّرُونَ: آمِنَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخْبَرْ بِهِ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ.

وَنَحْوُهُ قَالَ ابْنُ أَبِي ذَعِينٍ.

أنواع ظاهري الصفات:

وظاهري الصفات عند السلف نوعان:

النوع الأول: ظاهري يليق بالمخلوقين؛ فهذا يَنْفَرُهُ وَلَا يَنْفَرُهُ؛
لأنَّ اللَّهَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﷻ (الشورى: ١١).

النوع الثاني: ظاهري يليق بالخالق، وهذا الذي يُنْفَرُهُ وَلَا يَنْفَرُهُ.

وإنبأهم لهذا النوع من ظاهري الصفات، لا يعني مشابهة الخالق للمخلوق، وإنما يُريدون: أَنْ يَجْعَلُوا لِلصِّفَةِ حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَفْسِيرًا غَيْرَ الظَّاهِرِ بِتَأْوِيلِهِ إِلَى مَعْنَى آخَرٍ كَتَفْسِيرِ الْوَجُودِ بِاللَّاتِ، وَالْيَدِ بِالْقُدْرَةِ؛ فَهُمْ يَجْعَلُونَ صِفَةَ الْوَجُودِ صِفَةً حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابُهُ الْمَخْلُوقُ، وَالْيَدَ صِفَةً حَقِيقَةً تَلِيْقُ بِاللَّهِ، لَا تَشَابُهُ الْمَخْلُوقُ، وَيَقُولُونَ: جَلَّتْهُمْ بِالْكَيْفِيَّةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ نَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ لَا يَعْنِي عَدَمَ وُجُودِهَا، وَلَكِنْ عَدَمَ جُلُوبِهَا؛ فَلَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وهلَّ بعضُ المتكلمين: أَنَّ إثبات حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ اللَّائِفَةِ بِاللَّهِ،

وعَدَمَ تأويلها، هو أَعَدَّ بلوازمَ الجسمية والتحيُّز، ثم فرَّعوا عن ذلك إحاطة المخلوق بالخالق، وغير ذلك من التصورات.

وإنما حَسَلَهُمْ على ذلك لوازمُ التشبيه؛ فالمخلوق حينما تُثَبِّت له صفةٌ حَقِيقَةٌ، فأنْتَ تُثَبِّت له هذه الأشياء واللوازمَ، فأرادوا نفي حَقِيقَةِ الصفات وتعطيلها؛ هروبًا من تشبيه انتدَح في أفعالهم، فوَقَعُوا فيما أنكَرُوا على مَنْ أثبت الحَقِيقَةَ اللاتَّقَةَ بالله؛ حيث زَعَمُوا أَنَّهُمْ بِشَبْهَةِ المخلوقِ بالخالقِ للاشتراكِ في الحَقِيقَةِ واللوازمِ.

والسلف حينما يقولون: إِنَّ لصفاتِ الله حَقِيقَةً لا تشابه حَقِيقَةَ صفاتِ المخلوقين، فإنهم تبعًا لذلك لا يَلْتَزِمُونَ بشيءٍ غير ما وَدَّ، وإن صَحَّ لازمُ عندهم، فإنَّهُمْ يَجْعَلُونَ اللوازمَ لا تشابهَ لوازمِ المخلوق، فلا يُحْتَمَلُ قولُهُم ما لا يَحْتَمِلُونَهُ، وهم جَعَلُواهُمْ يقولونَ بلوازمَ تشابهِ المخلوق، فَرَجَعُوا إلى الحَقِيقَةِ بالنفي التام.



﴿قَالَ كُنْ فَيَكُونُ﴾: «يَتَغَيَّرُ الْمُتَفَكَّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا جِئُوا بِهِ»:

مَائِيَّةُ الشَّيْءِ: كَيْفِيَّةُ الشَّيْءِ، وَيُقَالُ أَحْيَانًا: مَائِيَّةٌ، وَمَاهِيَّةٌ^(١)، وللحارث المَحَابِسِيُّ: كتابُ «مَائِيَّةِ الْعَقْلِ»، وَيُسَمَّى أَحْيَانًا: «مَائِيَّةُ الْعَقْلِ»؛ بِمعنى: حَقِيقَتُهُ وَكَيْفِيَّتُهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، وَفِي بَعْضِ نَسَخِ «الرِّسَالَةِ»: «مَائِيَّةٌ»، بِدَلَالَةِ: «مَاهِيَّةٍ»، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ لَيْسَتْ مُضَافَةً لَوْ فِي كَلَامِ الصِّدِّيقِ الْأَوَّلِ، فَضَلًّا عَنْ نَصُوصِ الْوَحْيَيْنِ.

(١) «التحريفات» (ص ١٩٥).

■ معرفة الله بآياته الكونية:

والتفكير في آيات الله مشروط؛ فإنها تدل على عظيم صفاته، وحسن أسمائه، وكل عظيم له آيات، ولا أعظم من آيات الله ولا أكثر؛ لأنه لا أعظم من الله ولا أكثر، ومن لم يَرَ آيات الله، ضلّت عظمه الله في قلبه؛ لأن عظمه الشيء تُعرف برؤيته، أو برؤية آياته، أو بهما.

وقد أمر الله بالتفكير في آياته الدالة عليه؛ حتى يعرف العبد عظمه الله وقوته وضعف غيره؛ فيعرف المستحق للتعظيم والعبادة من لا يستحقها، فقد أمر الله بالنظر إليها، والتفكير فيها:

□ فأمَرَ بالتفكير في السماء والأرض وما فيهما؛ فقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرُوا مَلَآئِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَ الْاَيْدِ وَالْخَلْقِ لَا يَقُوْنُ﴾ (يونس: ١٠١).
□ وأمَرَ بنظر الإنسان إلى أصلوه فقال: ﴿يَنْظُرِ الْاِنْسٰنُ بِمَ كُنَّ﴾ (الطارق: ٥).

□ وأمَرَ أن ينظر إلى معاشه؛ فقال: ﴿يَنْظُرِ الْاِنْسٰنُ اِلٰى مَكْنٰبِهِ ۚ﴾ (سجدة: ١٧).
□ والآيات (ص: ٢٤ - ٢٥).

□ وأمَرَ بالتفكير في خصائص بعض المخلوقات؛ فقال: ﴿لَا يَخْشَوْنَ اِلٰلَآهَ اِلَّا اِيْلَٰهَ حَقِيْقَتٌ خَلَقَتْ ۝ۚ وَكَانَ اَوَّلُ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ الْوَلَدِ كَيْفَ صَبَّحَتْ ۝ۚ وَكَانَ الْاٰخِرُ كَيْفَ مَلَحَتْ﴾ (الشع: ١٧ - ٢٠).

□ وأمَرَ الله بأن يتفكر الإنسان في نفسه؛ فقال: ﴿وَلِيْلَ اُنْصُرَكَ لَقَدْ اُنْصِرْتَ﴾ (القدر: ٢٦).

■ سبب الوقوع في الشرك:

وإنما وقع الشرك في الناس بسبب جهلهم برؤهم، وعدم معرفة قُدوره؛ فقد يترحم الإنسان عظمه ضعيف عاجز؛ فيقول له من العبودية ما يتاسب ما

نورهم من عظمته؛ ولذا يقرن الله الجهل بقدره بعبودية غيره من دونه الله.

فلما ذكر الشرك ذكر جهلهم بقدره؛ فقال: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ۝ إِنْ يَتْلُوا فِى نَجْمٍ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً أَوْ يَقُولُوا آيَةً مِّنَ الْكِتَابِ ۚ لَآ يَسْمَعُوا ۚ وَلَآ يَنصَحُونَ ۚ وَإِنَّ جُحُودَكَ الْكَذِبِ وَالظُّلُومِ ۝﴾ (الصّح: ١٧٣)، ثم قال: ﴿وَمَا تَكُونُوا لِلَّهِ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ إِلَّا اللَّهُ لَقَوْمٌ غَيْرٌ ۝﴾ (الصّح: ١٧٤) فين أن سبب شركهم هو جهلهم بسلطان ربهم، وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَمَا تَكُونُوا لِلَّهِ عَلَىٰ قُدْرِهِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا بِمَا نَسَبْتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالشُّكُوفِ مَطْلُوعَتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝﴾ (الزمر: ١٦٧) فلذا عظمته ذاتها؛ لئلا على عظمته قدره، ثم نراه نفته سبحانه عن شرك الذين لم يقدروا على قدره؛ فقال: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ١٧٧).

وجعل التفكير في المملوك موجبا لتزويده الله عما يقفله الشيطان وسؤاله النجاة من عنايه؛ فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكِ وَالْأَنْفِ وَالْجَنَابِ الْقِيلَ وَالْهَرَقِ لَآيَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝﴾ (الأنبياء: ١٠٩) يذكرون الله فيكم وتؤمنوا وتؤمن بالله وتؤمنون في خلق السمك والأنف وما خلقت هكذا بطلا سبكت قوتا عكس كثر؛ (ال عمران: ١٩٠ - ١٩١).

ولما جاء النبي ﷺ أعرابي، وعظمته بما يتضمنه النقص في حقه تعالى، وتسويته بالرسول ﷺ، عرفه بأيات الله وعظمتها، وفصل فيها؛ ليذكر الأعرابي ما ضيعه من حق الله؛ كما روى مجيئ بن مطلق؛ قال: «أتى رسول الله ﷺ أعرابي، فقال: يا رسول الله، سجدت لأنفس، وضاعبت العيال، ونهجت الأموال، وهلك الأتعام، فاستنق الله ﷻ لك، فإني استنق بك على الله، واستنق بالله عليك؛ قال رسول الله ﷺ: (وتحك! أتدري ما تقول؟)، وسخ رسول الله ﷺ: «فما زال يسخ على عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: (وتحك! إله لا يستنق بالله على

أَعَدُّ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَحَكَّ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ۚ ۱٢ ۚ إِذْ عَزَّمَهُ عَلَى سَعَادَتِهِ لِهَذَا - وَقَدْ يَمُتُّهُ بِفَلِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيَبْطُ بِهُ أَلْيَطُ الرُّخْلِي بِالرَّاحِبِ»^(١).

وإنما عرّف النبي ﷺ الأعرابي بآيات الله؛ لأنها أكظم باب مشاهد ومعلوم في تلك الحال يدرك به الأعرابي عظمة خالقه.

❦ عقيدة التفويض:

ولا يعني ابن أبي زَيْدٍ من قوله: «وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ: التفويض، وإنما مراد: نفي تشبيه الصفات ونفي العلم بكيفيتها، لا نفي حقيقتها؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي الذَّاتِ قُلُوٌّ زَائِدٌ عَنِ إِبْطَاتِ الْحَقِيقَةِ؛ فَإِبْطَاتِ الْحَقِيقَةِ شَيْءٌ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ مَعْرِفَةُ الْكَيْفِيَّةِ.

ومِنْ هَذَا: قَوْلُ الْحَسَنِ لَمَّا سُئِلَ: هَلْ تُصِفُ رَبَّكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، بغير مثال^(٢). فنفي التفويض بإبْطَاتِ حَقِيقَةِ الصَّفَةِ، وَبَيِّنُ أَنَّ الْقُدْرَ الْمُنْفَعِيَّ هُوَ الْوَسْطَانُ الَّذِي هُوَ التَّشْبِيهُ وَالتَّكْيِيفُ، فَالْإِيمَانُ بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِكَيْفِيَّتِهِ صَحِيحٌ شَرْعًا وَعَقْلًا، فَتُؤَيَّنُ بِحَقِيقَةِ صِفَاتِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (أَعَدَدْتُ لِمُتَابِعِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَلْفٌ حُسِبَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ)^(٣).

وعقيدة السَّلَفِ: إِبْطَاتِ حَقِيقَةِ الصَّفَاتِ، وَتَفْوِضُ كَيْفِيَّتِهَا، وَلَا يَلْزَمُ - فِي الْعَقْلِ - مِنْ إِبْطَاتِ الْحَقِيقَةِ: التَّشْبِيهُ؛ فَإِنَّ مَقْلًا تُثَبِّتُ صِفَةً الْحَيَاةِ حَقِيقَةً لِعَلَّةِ ذَوَاتِ كَحَيَاةِ الْأَرْضِي، وَحَيَاةِ الشَّجَرِ، وَحَيَاةِ الْإِنْسَانِ،

(١) أبو داود (٤٧٢٦).

(٢) «الرد على الجهمية» للشافعي (٢٩)، و«المعبر» لعبد الله (٤٩٩ و ١١٣٢).

(٣) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة.

والحياة في هذه اللوات صفه حقيقه؛ فتقول: حَيَّيت الارض وماتت،
وحَيَّيت الشجره وماتت، وحَيَّيت الانسان ومات، وإثبات الحقيقه لهذه
اللوات لا يعني تشبيها؛ فحياء كل ذات تختلف عن الأخرى، وكذلك
في بقية الصفات اللازمة للذات، والصفات الفعلية المتعلقة بالمشية.

وتوهم أن إثبات الحقيقه يلزم منه التشبيه، هو الذي حصل بعض
الطوائف على القول بالتفويض والتعطيل؛ ففروا بين باطل إلى باطل،
وتهموا آية نفي التشبيه والتمثيل على غير وجهها؛ فقلوا في معناها غلوا
حملهم على القول بالبدعة؛ فتقوا أصل الحقيقه للصفات؛ خوفا من
إثبات الحقيقه المشابهة؛ حتى قال أحمد في «الرد على الزنادقة»:
«قالوا: هو شيء لا كالأشياء فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء، قد
عرف العقل أنه لا شيء؛ فعند ذلك: تبين أنهم لا يمكنون شيئا بشيء،
ولكنهم يذهبون عن أنفسهم الشئنة بما يقولون من العلانية»^(١) واللازم
لنفي حقيقه الصفات: تعطيل الذات والتشبيه بالمعلومات، ولا يلزم لإثبات
الحقيقه: التشبيه، كما قال محمد الكرجي القصاب في «نكت القرآن»^(٢).

❦ تاريخ ملحق التفويض:

ولا يعرف في أقوال أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أتباعهم:
تفويض حقيقه الصفات، وإن أخذ من لم يعرف مناوهم بعض
إطلاقاتهم، فحملها على التفويض، فهذا إنما أخذوا اللفظ المحتول،
ولم يعرفوا سياقه، ولا المواضع الأخرى الفاعلة بغيره.

وإن كان بعض الأئمة من أهل السنه يشير إلى اعتقاد بعض الناس

(١) الرد على الزنادقة (ص ٩٩).

(٢) (١/٦٨).

في القرن الثالث للتفويض؛ كما أشار إليه الدارمي في «ردّه على بشر المريسي»، وإنما اشتهر التفويض في قول الكلابية: يريدون التوسط بين المعطلة والمشبهة؛ فيسلمون من الطائفتين: بتفويض حقائق الصفات ومعانيها، مع أنّ المفوضة في الحقيقة معطلة؛ فما سلموا بالتفويض من التعطيل، وظهر التفويض في قول أبي منصور المائري في «حراسان»، وأبي الحسن الأشعري في «البرقي في «رسالي إلى أهل الثغر»، وقد كتبها قبل كتاب: «الإبانة».

والله تعالى أنزل كتابه ليكتبر وهو معلوم المعنى، ولم يذكر أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم من المفسرين وغيرهم: أنّ آيات الصفات من المشايب الذي لا يجوز الكلام في تفسيره وبيان معانيه، بل صحّ عن ابن عباس: أنه جعلها من المحكمات؛ وذلك لما سمع رجل بحديث في الصفات، فانتفض، فقال ابن عباس: «ما فرق هؤلاء؟» يجنون عند محكيو، ويقلّون عند مشايبو^(١)؛ «وإجلون»؛ يعني: يغضبون^(٢).

ومن قووس الصفات، ولم يثبت لها حقيقتها، وجعل غاية الإيمان بآيات الصفات الإيمان بحروفها -: فقد خالفت الحقيقة من التنزيل، وجعل عربيّة القرآن لا معنى لها؛ فالإيمان بالحروف لا يخالف فيه القرني والأعجمي.

والله سَمَى كتابه شَيْبًا مَفْضَلًا، وأمر بكتابه، وجعل لعربيّو منزهة وتخصيص، وهي معرفة المعاني وحقائقها؛ فقال: ﴿لَكُمْ عَرَبِيَّاتٌ لِّتُؤْتُوا بِمَعْنَى﴾ [نزل: ٢٣]، وقال: ﴿لَكُمْ عَرَبِيَّاتٌ لِّتُؤْتُوا بِمَعْنَى﴾ [يوسف: ٢]،

(١) «جامع معبر» (٢٠٨٩٥)، و«الشفا» لابن أبي عمير (٤١٨٥)، و«الكلام» للهردي (١٩٩٣).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (١٥٥/٥).

وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْمَفْصُولِ وَالْبَيِّنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُتِبَ ثِيَابُكَ﴾ [النمل: ٧٥]،
وَقَالَ: ﴿وَكُتِبَ عَلَيْكَ عَلَيْكَ ثِيَابُكَ﴾ [النمل: ٧٥]، وَأَمَرَ
كَثِيرًا بِتَقْوَاهُ؛ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [النمل: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾
[النمل: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [النمل: ٧٥].

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمَشَابِهَاتِ، وَعَلَى هَذَا تُفَى حَقَائِقُهَا
وَتُفَوِّضُ، لَمْ يُسَمَّ قَائِلُهُ بِهَذَا؛ لَا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنَ التَّالِعِينَ.

نِسْبَةُ التَّفْوِضِ لِلسَّلَفِ:

وَيُنْسَبُ جَمَاعَةُ التَّفْوِضِ إِلَى السَّلَفِ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُ فِي بَعْضِ كَلَامِ
بَعْضِهِمْ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْهُ التَّفْوِضُ، كَقَوْلِهِمْ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ
وَأَحَادِيثِهَا: كَالزُّهْرِيِّ، وَمَكْحُولٍ: «أَمَرُوا الْأَخْيَارَ كَمَا جَاءَتْ»^(١)، أَوْ
قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَالْأَوْزَاعِيِّ، وَالتَّوْرِيِّ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنِ أَبِي
كَثِيرٍ: «أَمَرُوا كَمَا جَاءَتْ»^(٢)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَالْوَلِيدِ بْنِ سُلايْمٍ: «أَمَرُوا
بَلَا كَيْفٍ»^(٣)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَابْنِ عُثَيْبَةَ: «هِيَ كَمَا جَاءَتْ» نَقَرُ بِهَا،
وَنَحْدُثُ بِهَا بَلَا كَيْفٍ»^(٤)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ: كَوَيْكَيْجٍ: «تَسَلَّمَ عَلَيْهِ
الْأَخْيَارُ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ يَجْءَ هَذَا»^(٥)، وَنَحْوُ ذَلِكَ
مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَيَحْمِلُونَ إِسْرَارَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا بِمَعْنَى تَرْكِهَا حُرُوفًا

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٥)، و«الرسالة الوافية» (١٩).

(٢) «الترجمة» (٧٢٠)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٩٣٠)، و«الاسماء والصفات» (٩٥٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧٥) نقلًا عن جماعة من الأئمة.

(٤) «الصفات للناظر» (٧٣).

(٥) «السنة بعد الله» (١٩٥)، و«الصفات للناظر» (٦٢).

كألا عجمية غير المفهومة، أو كما يَرى القارئ خطوط الأهم السابقة
الائتمية من أصحاب اللغات البائدة، إلا أنَّ حروف القرآن مفهومة، ولكنَّ
الجهل بالمعنى واحدٌ.

وهذا غلطٌ شنيع، وقدح في بيان القرآن ومقاصده، وفي الحكمة
الإلهية من التنزيل، وفي هذا قال الإمام المصنف عبد العزيز الماجشون
قريباً مالك - لما نظر مرة في شيء من سلب الصفات -: «هذا الكلام
حَدَمَ بلا بناء، وصفة بلا معنى»^(١).

ويُدلُّ على أنَّ الأئمة لا يرضون بقولهم: «أمرؤها كما جاءت»
تفويض إثبات الحقيقة: أنَّ مالكاً سُئِلَ عن رؤية الله؟ فقال: «هروئة
بأعينهم»^(٢)، ثُمَّ سُئِلَ عن أحاديث رؤية الله؟ فقال: «أمرؤها كما
جاءت»^(٣).

وهذا كله ليس تناقضاً بين مالك، بل إنَّ الإمرار لا يُنافي الإقرار
بالحقيقة، بل تفويض كيفيةها إلى الله لا تفويض إثباتها.

وقراءة القرآن والبيان فيه يلتضي إثبات حقيقة الصفات وتغايها
الصحيحة، وما زاد عن ذلك، فهو منفي من التكليف والتشبيه والتمثيل،
والتأويل والتعطيل؛ فالمفسرون يعلمون أنَّ الحقيقة معنى مقصود في
الآية، ويستقر في نفس القارئ؛ كما قال يزيد بن هارون: «من زعم أنَّ
الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يُقر في قلوب العاقل، فهو
جاهل»^(٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٣١٢).

(٢) «الشرح» (٢٧٤)، وشرح أصول الاعتقاد (٨٧٠).

(٣) سبق قبل قليل. (٤) «الشُّعْبة لعبد الله» (١١٠).

ومرارة بالعاقبة: أهل السليقة، والفطرو الصحيحون الذين يقرؤون آية الاستواء، ويقرؤون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] يَرَوْنَ أَنْ لَا تَأْتِضَ وَلَا تَضَادَّ بَيْنَ إثبات الحقيقة، ونفي التمثيل. وهذه العبارات لم تكن يميز بها الصحابة ولا كبار التابعين؛ لأن أحوال التعطيل أو التمثيل لم تكن قد ظهرت في زمانهم؛ ولما ظهرت بعد ذلك أراد أولئك الأئمة دفع تلك البذعة، لا نفي معاني الصفات وحقائقها من الأخبار؛ فهذا قلرو يقرؤون به؛ وينسرو ذلك نصوصهم الأخرى.

والأمر في قولهم: «أمرؤها كما جاءت»؛ يعني: الإثبات والإقرار بحقيقتها؛ لأن هذا مما جاءت به، والمغزى في الشريعة: التشبيه والتمثيل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وما كان سوى التمثيل من إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة، فليس منقياً، بل هو مقصود في نصوصي الوحي.

ولهذا يقول مالك بن أنس: «الاستواء معلوم»^(١)؛ يعني: ليس حروفاً، وإنما هو حقيقة، وإثبات حقيقته لا يعني تشبيهه بغيره.

ولما ضلّت اللسان العربي، وراجت مقولة التشبيه، والمفالات ضلّها، وفسدت السليقة بإثبات الحقيقة، والمعاني الصحيحة -: مال بعضهم: إلى منقلب التفسير؛ للخلاص من تلك البذع، وبعضهم: أراد للقرآن السلامة من تلك الآفات؛ كما قاله القرطبي^(٢).

حتى شاعت تلك المقالة بسبب أهل بعض فصول أهل الحديث

(١) شرح أصول الاعتقاد (٦٦٤)؛ بمعناه.

(٢) كما قرره في كتابه «إلجام العوام».

بها، كالحَقَائِقِ في بعضِ شروجه عند تعليقهِ على بعضِ الصفات^(١)، وكذلك: البَيهَقِي في كتابَيْهِ: «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ»^(٢)، و«الْإِعْتِقَادُ»^(٣)، وكذلك: جماعةٌ من أهلِ الفقه والنظر من الشافعية كالجَوَيزِي في «الرسالة النظامية» التي كل رأية إليها^(٤)، والفَرَزَالِي في «الجامع القَوَامُ»^(٥)، ومن الحنابلة كالتميمي، وابن عقيل^(٦)، ومزيجي الكريني^(٧)، ومن هؤلاء: مَنْ بَصَّرَ فيؤوِّلُ في موضعٍ ثارَةً، ويؤوضُ في موضعٍ آخرَ ثارَةً.

وليس من السلامة: تركُ مرادِ الله في كلامِهِ كما يزعمه المؤوضُّ؛ فإنَّ تركَ حقائقِ النصوصِ ومعانيها الصحيحة: هلاكٌ لا سلامة؛ لأنَّ الضوضَ مبنيٌّ على التعطيل.

والمعتزلة الذين هم أسبقُ في علمِ الكلامِ من الأشاعرة يعرفون الفرقَ بين مذهبِ السلفِ وبين مذهبِ الكَلَابِيَّةِ في الصفاتِ الخبرية؛ فالأشاعرة يجعلون السلفَ مؤوضَّةً؛ تمسُّكاً ببعضِ الإطلاقاتِ المشبهةِ من أقوالهم، والمعتزلة يفرِّقونَ بين مذهبِ الكَلَابِيَّةِ في التفويضِ، وبين مذهبِ السلفِ أهلِ الحديثِ في إثباتِ حقيقةِ الصفاتِ الخبريةِ بل والعقلى.

§§§ العُلُو في التنزيه يؤدِّي إلى توهمِ التعظيم في التفويضِ والتعطيل:

لَمَّا تَكثُرَتِ المذاهبُ البدعيةُ في التشبيهِ والتأويلِ والتحريفِ، كان التفويضُ عند بعضهم مغلَّضاً منها؛ فتوهمَ تعظيمُ الله بتفويضِ معاني نصوصِ الصفاتِ إليه أو تعطيلها؛ وهذا الداعِ قديمٌ؛ فقد ذكَّرَ عند

(١) معالم الشك (٢/ ١٦٥).

(٢) الاعتقاد (ص ١١٨ - ١٢٠).

(٣) الاعتقاد (ص ٣٢ - ٣٤).

(٤) الجامع القوام (ص ٤٢ - ٤٣).

(٥) نظر: جزء الصارفي (١/ ١٥).

(٦) كما في رسالته أفكاريل القاتنة (ص ٦١ - ٦٥).

ابن مهديّ الجهمي، وأنهم ينفون الصفات، ويقولون: «الله أعظم من أن يوصف بشيء»، فقال ابن مهديّ: «قد ملك قوم من هذا الوجه»^(١).

ورجّح أهل التفويض من مشابهة كلام بعض الأئمة؛ من إمرار أحوال الصفات كما جاءت: ما يؤيد ذلك المنهج، حتى شاع التفويض في المغرب، حتى عدّه ابن خلدون في «مقدمته» مذهباً للسلف، والأقوال الباطلة مهما بلغت شائعة، لا يجوز حمل الناس على باطل آخر لأجلها، فلا يفر من باطل إلى باطل، ولو كان أقل منه، مع إمكان بيانه، ولهذا يقول أحمد بن حنبل: «لا تُزيل عنه صفة من صفاته، إشتاقوا شعث»^(٢).

والأئمة حينما يقولون: «قورها لا تفسرها»، لا يريدون بذلك: نفي الحقيقة، فالتفسير المراءى به: النكيت، كما قال أبو حنبل: «إذا قيل: كيف وضع قنينة؟ وكيف صنعك؟ قلت: لا يُفسر هذا، ولا سبغت أحداً يفسره»^(٣)، فجعل السؤال عن كيفية الصفة سؤالاً عن تفسيرها.

ومثل ذلك: قول بعض الأئمة: كأحمد بن حنبل: «لا كيف، ولا نفي»^(٤)، وليس مرادة بذلك: نفي وجود الكيف، ولكن نفي العلم به، وكذلك في نفي المعاني: ليس مرادة نفي وجود المعاني، ولكن نفي التأويلات الباطلة؛ لأنها كانت شائعة ذائعة في كثير من البلدان والمجالي في زمانه.

ومن هذا: قول أبي حنيد القاسم بن سلام: قاصداً المعاني الفاسدة خاصة: «تحرى تروى هذه الأحاديث، ولا تُربّع لها المعاني»^(٥).

(١) «إبطال التأويلات» (٢٧). (٢) «ذم التأويل» (٣٣).

(٣) «الصفات للناطقة» (٥٧). (٤) «ذم التأويل» (٣٣).

(٥) «الأسماء والصفات» (١٩٢/٢)، و«الذم القات» (ص ١٧٨).

وبين أئمة السلف: من يريد بالمعنى: التكييف، فينبغي كما قيل
يزيد بن هارون عن معنى حديث في الصفات، فعقيب وحركة، وقال:
«وَيْلٌكَ مَنْ يَدْرِي كَيْفَ هَذَا»^(١).

فجعل سؤاله عن المعنى سؤالاً عن الكيف، لأنه فهم مقصود
السائل على ذلك، ومعرفة سياقات كلام الأئمة مفسرة لألفاظهم المنبأية
في الاستعمالي، بحسب مؤيديها، وحملها على معنى واحد متطابق
باطل، والسلف كانوا يَسْكُتُونَ عن آيات الصفات، لأن إبيات الحقيقة
مستغرة في تفويضهم، وقد قال مالك وأصفاء أهل الدخ: «ولا يَسْكُتُونَ عما
سكت عنه الصحابة».

ولا يلزم من تنزيه الله عن التشبيه نفي الحقيقة في صفات الله تعالى،
كما لا يلزم من إثبات الحقيقة التشبيه، وما زال العلماء يحترزون من هذا
الفهم كل بحسب تعبيره، ولما أثبت عبد الغني المقلبي الاستواء، قال:
«لا تنزيه يعني حقيقة النزول»^(٢)، دفعا لتوهم التعطيل والتفويض.

والمفوضة سكتوا عما سكت عنه الصحابة من التكيف والتأويل
المخالف لظاهر اللفظ، ونفوا مع السكوت: ما أثبتته الصحابة من
الحقائق والمعاني.

❦ رواية الأئمة لأحاديث الصفات، واحترازهم من سوء فهمها:

والسلف يَحْتَرِزُونَ حقائق الصفات ومعانيها الصحيحة بالإجماع، وهذا
ما جاءت به النصوص، ويفرقون بين سياقات الأكوال، والزمن الذي
تتشير فيه الدخ عن غيره:

(١) عقيدة السلف للصائلي (ص ٦٥). (٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١٠٠).

فربما منعوا رواية حديث صحيح؛ خشية فهموه على غير وجهه، وربما حذروا إطلاق لفظه واردة؛ لأنّ فهم الناس قد تغيّر، ولم يكونوا على السليقة الأولى؛ فتعاملوا مع فهم، لا مع مجرد النص؛ وهذا من الفقه والحكمة، وربما جاء مزيد توضيح بإشارة أو عبارة تناسب أذهان السامعين عند الحديث.

ومن ذلك: أنه جاء في الإشارة باليد إلى تحضي في الإنسان أو غيره؛ لإثبات صفة من الصفات الإلهية؛ وذلك لإثبات حقيقتها، لا للتشبيه؛ كما جاء من حديث أبي هريرة؛ أنه قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُكُمْ أَنْ تَقُولُوا الْأَمْثَلُ إِلَهُ الْقَوْلِ﴾. . . (النساء: ٤٥٨)، إلى قوله تعالى: ﴿يَهَيِّئْ لِي سُبُلَ مَخْرَجِي﴾ (النساء: ٥٨)، ثم قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى أُذُنِي، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِي»، قال أبو هريرة: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُهَا، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا»^(١).

ومرأ النبي ﷺ: إثبات حقيقة السمع والبصر، لا التشبيه. وهكذا فهمت السلف؛ كما قال ابن جرير: «قال المقرئ^(٢)؛ يعني: إن الله سميع بصير؛ يعني: أنَّهُ سَمِعًا وَبَصَرًا»^(٣). وجعلهُ أبو داود رَدًّا على المعطلة، فقال: «هذا رَدٌّ على الجهمية»^(٤).

ولم يجعلوه حجةً للمشبّهة، بل هم يَنْقُضُونَ قولهم ويرُدُّونَهُ؛ فهم يعرفون سياقات الأدلّة، والمراد منها، والجمع بينها وبين بقية النصوص في الباب.

(٢) هو: عبد الله بن يزيد المقرئ.

(٣) الموضع السابق.

(٤) أبو داود (٤٧٦٨).

(٥) أبو داود (٤٧٦٨).

وجاء في معنى ذلك: حديث في صفة التجلي: من حديث أنس
عند الترمذي^(١)، وفي صفة القبض للأرض والظن للسحاب: من حديث
ابن عمر عند أحمد^(٢)، وأصله في مسلم^(٣)، وفي وضع الأرض على
إصبع، والسماء على إصبع: من حديث ابن عباس عند أحمد
والترمذي^(٤)، وينحوي من حديث ابن مسعود^(٥)، وأصله في البخاري^(٦)،
وقد حدث به يحيى بن سعيد أحمد بن حنبل وأشار بإصبعه، وحدث به
أحمد ابنه عبد الله وأشار بإصبعه^(٧).

وهذه الأحاديث لا تنحى على الألفاظ كمالك، وأحمد: كيف وقد
رواها بعضها، ويعلمون المقصود منها.

ومع ذلك: فإتهم نهوا عن الإشارة باليد عند الحديث عن صفات
الرب: لاختلاف الفهم، وضعف اللسان؛ فقبحها ضعف إدراك المعنى
المراو، وربما اختلف قولهم من حاله إلى حال، ومن سياق إلى سياق؛
وقد قال مالك: «من وصف شيئا من ذات الله: مثل قوله: ﴿وَلَا إِلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾
﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَلَكُوتٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿وَوَهَبَ
لِالسَّيِّدِ الْيَتِيمَ﴾ [الشورى: ١١]، فأشار إلى عينيته وأذنيه، [أو شيء] من
بدنه -: فوطع ذلك منه؛ لأنه شبه الله بنفسه^(٨).

وقد قرأ رجل عند أحمد قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَكَ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ

- | | |
|--|-----------------------------|
| (١) الترمذي (٣٠٧٤). | (٢) أحمد (٧٢/٧) رقم (٥٤٤٤). |
| (٣) مسلم (٢٧٨٨). | |
| (٤) أحمد (١/٢٥١ و ٣٢٤) رقم ٢٢٦٧ و ٢٩٨٨، والترمذي (٣٢٤٠). | |
| (٥) أحمد (١/٣٧٨ و ٤٧٧) رقم ٤٥٩٠ و ٤٠٨٧ و ١٣٦٨، والترمذي (٣٢٣٨) و (٣٢٣٩). | |
| (٦) البخاري (٤٨٦١)، ومسلم (٢٧٨٩). | (٧) حاشيته لعبد الله (٤٨٩). |
| (٨) التمهيد (١٤٥/٧). | |

جَمِيعًا فَمَنْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَكُونُ مَقْلُوبَةٌ (الزمر: ٦٧)، ثُمَّ أَوَّاهُ يَبْكُوا، لَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: «نَقَلَهَا اللَّهُ إِذَا قَطَعَهَا اللَّهُ»، ثُمَّ حَرَّةٌ وَقَامَ^(١).

مع أنه قد رَوَى الْخَلَّالُ فِي «كِتَابِ السُّنَنِ»، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْغُرَافِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ وَضَعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَغَيْرَهَا، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى إِصْبَعٍ، وَقَالَ: «وَرَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُشِيرُ بِإِصْبَعٍ إِصْبَعٍ»^(٢).

وَبُيِّنَ أَنَّ الْأَعْمَشَ^(٣)، وَشُعْبَانَ الثَّوْرِيَّ، عِنْدَ حَدِيثِ وَضَعَ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ^(٤)، وَجَاءَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ الْمَنِيِّ ﷻ عِنْدَ الدَّارَقُطْنِيِّ فِي «الضَّعَائِفِ»^(٥).

وَقَصْدُ الْأَثْمَةِ - كَمَا لَيْكَ، وَأَحْمَدُ - فِي تَهْنِئِهِمْ عَنِ التَّحْدِيثِ بَعْضُ الْحَدِيثِ، وَالتَّحْدِيثُ مَعَ الْإِشَارَةِ، وَلَوْ كَانَ وَارِعًا وَصَحِيحًا -: خَوْفٌ تَغْيِيرِ الْعَامَّةِ؛ وَعَلَيْهِ نَصٌّ مَالِكٌ لَمَّا سُئِلَ عَنْ حَدِيثٍ: (إِنَّ الْعَرْشَ أَهْتَرُ لِمَوْتِ سَعْدٍ)^(٦)، قَالَ: «لَا يُحَدِّثُ بِهِ، وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَدِيثِ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْيِيرِ»^(٧).

وَحَدِيثُ اهْتِرَازِ الْعَرْشِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَلَكِنْ جِئْتُ بِآبٍ، وَتَهْنِئَةُ آبٍ آخَرُ؛ فَمَا كُلُّ صَحِيحٍ يَصِحُّ التَّحْدِيثُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ رُبَّمَا وَصَفَ مَنْ يَقَعْلُ ذَلِكَ بِعَدَمِ الْفَقْهِ؛ فَقَدْ سُئِلَ عَنْ تَحْدِيثٍ بِالْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى سُوْرَتِهِ)^(٨)، وَإِنَّ اللَّهَ يَخْشِفُ عَنْ سَائِلِهِ يَوْمَ

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٩). (٢) «فتح الباري» (٣٩٧/١٣).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢٨٢٤). (٤) «حديث شعبان» (٢٩٧).

(٥) «الضعافات» (٤١) من «حديث جابر»، و(٤٢) من «حديث أنس».

(٦) البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٧) من «حديث جابر».

(٧) «المطهر» (٣٥٧/١).

(٨) البخاري (٧٧٧٧)، ومسلم (٢٨٨١) من «حديث أبي هريرة».

القيامة^(١)، وإله يُدْخِلُ بَنَدَةً فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ بِهَا مَنَ أَرَادَ^(٢)؟ فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحَدَّثَ به، قيل: قد تُحَدَّثُ به ابنُ عَبَّاسٍ؟ قال: لم يكن من الفقهاء^(٣).

وربما امتنع أحمدُ عن التحديث ببعض الحديث الصحيح، بل: ما تلقَّته العلماء بالقبول - كحديث جابر مرفوعاً، وفيه: (فَضَحِكَ حَتَّى بَثَّ...)^(٤) - كان أحمدُ يَصِفُهُ بأن العلماء تلقَّته بالقبول، ومع هذا يقول: «ما أعلمُ أني حَدَّثْتُ به إلا لمحمداً بن داودَ المصيصي»^(٥)؛ وسبب ذلك - كما قال أحمد - أنه شَنَّعَ به.

والأشئ عند إرادة الإثبات يَحْتَلِفُونَ في طريقتهم عند النفي؛ فربما تجوزوا بعبارة وإشارة لإثبات الحقيقة، وإيصال المراد من النص للسامع، وليس مراعيتهم التشية؛ فبإفادات الكلام لا بُدَّ من معرفتها لتمييز الألفاظ؛ وقد سَوَّلَ ابنُ قُريسٍ عن قوم يقولون: «القرآنُ مخلوق»؟ فاستشنع ذلك، وقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقٌ»، وأشار بيده إلى نفي^(٦).

وأراد بهذا: إثبات الحقيقة، لا إثبات النعم والشفقة، واللسان والثناء، والحاجة إلى الهواء، وغير ذلك.

(١) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) البخاري (٧١٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) التمهيد (١٥٠/٧)، وترتيب المطالع (٤٤/٢).

(٤) تفسير الطبري (٦٥/٦٠٤)، والإيمان لابن منته (٢/٨٣٣)، وإبطال التأويلات (٢٠٢ - ٢٠٤).

(٥) إبطال التأويلات (٢١٢).

(٦) التمهيد لابن عبد الله (٣٠).

﴿ تَوْحَمُ اللّٰوْزِمِ الْبَاطِلَةِ يُفْضِي إِلَى التَّوْضِي وَالتَّوْبِلِ وَالتَّعْطِيلِ :

وَرُبَّمَا تَوْحَمُ السَّامِعُ لِأَخْبَارِ الصَّفَاتِ لِأَنَّمَا يَلْزَمُ مِنْ إِنَائِهَا، فَحَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى تَأْوِيلِهَا وَتَفْوِضِهَا، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبَّهُ شَيْءًا فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ التَّشْبِيهِ بِاللّٰوْزِمِ مِنْ بَابِ أَوْزَى، وَاسْتِحْضَارُ لَوَازِمَ بَيْنِهَا تَدْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الصَّفَةِ وَتَعْطِيلِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا أَوْ تَفْوِضِهَا.

وَقَدْ سَمِعَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَاضِيًا يَرْوِي حَدِيثَ النَّزُولِ، وَيَقُولُ: هَلَا زَوَانٌ، وَلَا انْتِقَالٌ، وَلَا تَغْيِيرٌ حَالًا، فَارْتَمَدَ أَحْمَدُ، وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ، وَقَالَ لَابَنُو عَبْدِ اللَّهِ: «قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا الْمُتَخَرِّصِ»، فَلَمَّا حَافَا، قَالَ: «يَا هَذَا رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرَ عَلَى رَبِّهِ وَمَنْكَ؟» قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَانصرفت^(١).



﴿ قَالَ أَتَى الْبَرْزَخُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ كَرِيمٌ﴾ وَبِمَعِ الشَّكُوكِ وَالْأَكْثَرُ وَلَا يَخُوفُهُ جَحْشُهُمْ وَأَمَّا الْفِرَقُ الْبَاطِلَةُ﴾ [البقرة: ١٢٥]، الْعَالَمُ الْخَبِيرُ، الْخَبِيرُ الْفَقِيرُ، أَلَسْبَحُ الْجَبِيرُ، أَلْتَلَّى الْكَبِيرُ:

﴿ عَلُوُّ اللَّهِ:

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِعُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ تَعَالَى لَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ، وَالِدَالَّتِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى بِفِرْقَةٍ وَعَقْلِيَّةٍ وَنَفْلِيَّةٍ، وَهَذَا لَا يَنْتَصِرُ عَلَى الْعُقُولِ، بَلْ فَطَرَ الْحَيَوَانَ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا تَعْرِفُ عُلُوَّ رَبِّهَا؛ فَإِنَّهَا إِذَا شَكَّتْ، سَمَتْ وَوَقَعَتْ بِصَرِّهَا إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى إِذَا فَرَعُونَ - مَعَ عُنَادِهِ وَكَفَرِهِ وَاسْتَهْزَائِهِ - تَوَجَّهَ إِلَى الْعُلُوِّ يُرِيدُ الْإِطْلَاقَ

(١) «الانصاف في الاعتقاد» (ص ١١٠).

إلى إله موسى: ﴿وَقَالَ يَحْيَىٰ بَنِي إِسْرَٰءِيلَ لِي صَدَقَ عَلَيْكَ مَبْعُوءُ الْكَافِرِ ۖ﴾ (طه: ٣٩-٤٠).

وما يكون هذا إلا لأنه يؤمن أن الإله الذي يبعثه: إن وجد، فلن يكون إلا في السماء، وأن موسى قال له ذلك، وما أنكر على موسى مكانة، ولكنه أنكر وجوهه؛ لأنه لو كان موجوداً، فلن يكون في غير العلو.

وما من إنسان مهما كان بيته اشكى الظلم والفقر، إلا وجد في نظريته رغبة بيت شكواه إلى السماء، ومناجاة من فيها، ولو كان قد تدبّر بخلاف ذلك.

وفد توارث نصوص الوحيين علماً بالتلليل على ذلك؛ سواءً بذكر أسماء الله: ﴿الْعَلِيُّ﴾ (طه: ١٦)، و﴿الْعَلِيُّ﴾ (النحل: ٦٠)، و﴿الْعَلِيُّ﴾ (الزمر: ١٩)، أو ذكر بعض صفاته الدالة على علوه؛ كالاستواء، والنزول، وارتفاع الأعمال إليه، وذكر عرشه وكُرسِيِّه، وحمله العرش، ونزول الوحي منه، وعودته إليه، ونزول الملائكة وعروجها، وتجليه سبحانه، وإخلائه على عباده، وإنزال الأسر والعقوبات، وإخراجه بالآرواح وبالنبي ﷺ، ورفع عيسى ونزوله، وغير ذلك مما يدل صراحةً على علو الله تعالى على خلقه، ولو أراد أحد أن يتبع أدلة العلو بين الوحيين تصريحاً أو تضييماً، لَمَا وَبَّغَهُ ذَلِكَ، ولو قُلَّ، ثم أعاد، لَوَجَدَ أَنَّ الذي لَمَّا فَوْقَ مَا جَمَعَ.

وفد ذل القرآن على علو الله بآياته، وعلوه بقرآنه، وعلوه بقلوبه؛ كما في قوله: ﴿وَمَنْ أَتَأْخُذُ فَوْقَ يَكُونُ﴾ (الأنعام: ١٨)، وقوله: ﴿يَكُونُ رَبُّهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ﴾ (النحل: ٥٠).

وهو أمرٌ لم يتَّزَع الصحابةُ في فهمه من أحدٍ في زمانهم، ولم يكن
مَحَلُّ بَحْثِهِمْ لِقِطْعَتِهِ، وَلَمَّا ظَهَرَ الْقَوْلُ بِخِلَافِ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ
الضَّلَالِ، أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ مِنْ إِيرَادِ الْأَدَلَّةِ وَحِكَايَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى عِلْوِ اللَّهِ
كَمَا حَكَاهُ الْأَوَازِمِيُّ^(١)، وَقَتِيئَةُ بْنُ سَعِيدٍ^(٢)، وَخَلَقَ.

وَمَنْ نَفَى عِلْوَ اللَّهِ، فَقَدْ كَذَّبَ الْفُطْرَةَ وَالْعَقْلَ وَالنُّقْلَ

وَمَعَ تَضَامُّرِ الْأَدَلَّةِ مِنَ الْحِسِّ وَالنَّصِّ، فَقَدْ كَثُرَتْ طَوَائِفُ مِنَ
الْفَلَاسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَنَشَبَ الْعِلْوُ، وَمَعَ صِرَاحَةِ الْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ التَّمَسُّوا
بِمِنِ الْأَدَلَّةِ مَا يُؤَافِقُ تِلْكَ الضَّلَالَةَ:

وَذَلِكَ كَاسْتِدْلَالِ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ بِقَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي بَطْنِ
الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾^(٣)، وَأَنْ عِطَابَةَ بـ «أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»، وَفِي بَطْنِ الْحُوتِ،
وَاحِدًا.

وَعَلَى الذَّكْرِ مِنْ يُوسُفَ اسْتِغْنَاءَ وَتَلْذُّلَ، وَاللَّهُ يَسْتَعِ وَيَرَاءُ، لَا يَحُولُ
قُوَّتُهُ شَيْءًا، وَالْيَوْمَ يَهَابُ الرَّجُلُ رَجُلًا مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ بِالِاتِّصَالِ،
وَيَقُولُ لَهُ: «أَنْتَ»؛ لِأَنَّهُ يَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ بِ
النَّفْسِ التَّمَسُّسَ شَاهِدًا لِمَا تَرَاءُ، وَجَدَتْ، وَلَوْ كَانَ أَزْهَى مِنْ بَيْتِ
الْعَنَكِبُوتِ، وَقَبِيحَتْ عَنْ صِرَاحَةِ الْأَدَلَّةِ الثَّبُوتِ؛ كَالشَّمْسِ فِي رَافِعَةِ النَّهَارِ.

﴿الْعِلْوُ وَالْمَجِيئَةُ﴾:

يَجِبُ إِثْبَاتُ عِلْوِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مَعَ خَلْقِهِ بِعِلْمِهِ
وَإِحَاطَتِهِ؛ فَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ قَالَ مَالِكٌ: «اللَّهُ

(٢) «الطُّور» (١٧٠).

(١) «الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ» (٨٦٥).

في السماء، وعلمته في كل مكان، لا يخلو من جليوه مكاناً، كما نقله عنه أبو القاسم المغربي^(١)، وأبو عمر الطلمنكي^(٢)، وابن عبد البر^(٣).

والثبات الملو على الحقيقة هو ما يقرره أهل السنة في المغرب، كابن أبي زعيم في «أصول السنة»^(٤)، ونحوه أبو المطرب الفنازي في القسطي في «تفسير الموطأ»^(٥): «أن الله فوق عرشه، وهو في كل مكان بجلوه، وبحبه يقرره أبو القاسم المغربي كما في «شرح الملخص لمستد الموطأ» لأبي الحسن القاسمي^(٦)، وهكذا المتأخرون، كابن عروني المالكي الثوري^(٧): «يقرّر أن الله مستو على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بجلوه».

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القيروان، ويقول: «الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(٨).

وربما كان السبب لقول بني الملو: الجهل بلسان العرب، وتبعاً لذلك نفهم بعض نصوص القرآن على غير وجهها:

ومن ذلك: استدلال بعض المعطلة الفايظي بأنه في كل مكان بذاتوه بقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُؤْتَىٰ فِي الثَّنَةِ لَآلُ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاكِعًا﴾ [المجادلة: ١٧].

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٥٧/٢ - ١٥٨).

(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٤٢/٢).

(٣) في «المنهاج» (١٣٨/٧). (٤) «أصول السنة» (ص ٨٨).

(٥) «تفسير الموطأ» (٤٠١/١).

(٦) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٥٧/٢).

(٧) «أطيلة التوحيد الكبرى» (ص ١٠).

(٨) «ترتيب المدارك» (٢١٤/٤).

وهذا فهم فاسد:

فأما الآية الأولى: فالمراد منها: أن الله معبود في السماء من أهلها، ومعبود في الأرض من أهلها؛ وهذا قول أهل التفسير^(١) كما قاله ابن عبد البر^(٢)، وقال: «وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتجُّ به»^(٣).

وأما الآية الثانية: فالمراد بها: معية الله وعلمه بمعبوده؛ ودليل ذلك قوله تعالى في آية: ﴿ثُمَّ يَنْتَهِرُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ [المجادل: ٥٧] فالأمر يتعلق بالعلم الذي يتبعه إنباء، وقد أنكر أحمد بن حنبل على من استدل بهذه الآية وأخذ أولها، وترك آيةها الذي يُعْمى المعنى ويدل عليه^(٤).

ومن شبهات بعض المعطلّة للملوك والاستواء من متكلمة المغرب: ما استشكله سليمان الفراء بقوله: «أين كان ربنا إذ لا مكان؟»^(٥):

وهذا السؤال يُجيب عن نفيه بالبطلان؛ فإنه لا يُسأل بـ «أين» إلا عند وجود المكان، وعند عدم وجوده، فيجب أن يكون السؤال بـ «أين» غير موجود، ولا يُسأل بـ «متى» إلا عند وجود الزمان، وأما عند عدم وجوده، فالسؤال يجب عدم وجوده من باب أولى.

وقد رد ابن الحنّال على الفراء بنفي سؤاليه وظلالته، وأن الصواب

(١) انظر: التفسير ابن جرير (٦٠/٦٤٩ - ٦٦٠).

(٢) في «التبوية» (١٣٤/٧).

(٣) في «التبوية» (١٣٩/٧).

(٤) الرد على الجهمية والرافضة (ص ١٥٤).

(٥) تطبيقات علماء إفريقيا (ص ١٩٩).

القول: كيف كان رُبُّنا إذ لا مكان؟، وقد أجاب ابنُ الحَدَّاد: فإنه الآن على ما كان عليه، ولا مكاناً^(١).

وهذا كله لا ينفي أصلَ خَلْقِ الزمان والمكان، ووجودهما تعالياً؛ فوجودهما جنساً شيئاً، ووجودهما أحاداً شيئاً ثانٍ، ومشاهدتهما والعلمُ بهما شيء ثالث.

والشُّبُهَاتُ الكلامية والفكرية التي تستجلبها العقول، وتضَعُّها في سياقات غير سياقاتها، ثم تخرُجُ بتجيُّدِ تظُّنها كاملةً، وتضَعُّها في موضع ليس لها: - يَفْعُ بِسَيِّبِهَا الضلال، وَيَفْعُ الحَقَّ، وَيَكُنُّ الباطل، وأشدُّ ذلك وأعظمُهُ: ما كان متعلقاً بحقِّ الله تعالى وذاته.

والجهوية القائِلُونَ بنفي علوِّ الله، وأنه في كُلِّ مكان، ولا يَخْلُو منه مكان؛ يتناقضُونَ مع أصولهم العقلية، والأدلة العقلية؛ فهم يُقِرُّون أنَّ الله كان ولا شيء قُبْلَهُ، ثم خَلَقَ الخَلْقَ، ولكن لا يَدْرُونَ أينَ خَلَقَهُمْ؟ فَمَا أن يقولوا: إنَّ الله خَلَقَ الخَلْقَ داخلَ نَفْسِهِ سبحانه، أو خَلَقَهُمْ خارجاً عنها:

فَالأَوَّلُ: حَقَرُوا، إذ كيف يَخْلُقُ الله خَلْقَهُ في نَفْسِهِ، فتكون مَحَلًّا للحوادث التي يَنْطَوِّئُهَا فيه، ومَحَلًّا لَخَلْقِ الله مِن الشُّرُوبِ والخُبثِ والشياطين؟! تعالى الله!

وإن قالوا: بأنَّ الله خَلَقَهُمْ خارجَ نَفْسِهِ، ثم دَخَلَ فيهم، أو دَخَلُوا فيه، فقد أَفَرُّوا بمكانٍ ليس فيه الله عند الخَلْقِ.

(١) مطبوعات علماء إفريقيا للخشني (١٩٨ - ١٩٩).

وإذ قالوا: بآله خلق الخلق خارج أنفسهم، وهم على ذلك، فقد سلموا بالحق عقلاً.

والله تعالى تجلى للمجلى، وتطلىع على خلقه، وبما هي بهم يوم عرفة، وإذا كان تجلى للمجلى - وعرفة فيه، وهو فيها - فكيف يصيح التجلي لشيء هو فيه؟ ولكن الله فوق عرشه ويتجلى لشيء ليس فيه سبحانه.

والآيات التي يستدلون بها على أن الله في كل مكان هي دالة بتفسيرها على خلاف ذلك، وأن الله على عرشه، وهو مع الناس بجلوه؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرْزُقْ إِلَهُ مِنْ حَيْثُ الْوَيْدُ﴾ (ق: ١٦) يعني: بالويل؛ فليس هو في الويل؛ فقد قال: ﴿وَلَكِنْ مَا تَوَسَّوْا بِهِ نَفْسَهُ وَحَيْثُ أَرْزُقُ إِلَهُ﴾ (ق: ١٦)، فبدأ بالويل؛ ليبين أنه هو المقصود بالقرب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَرَوْقَ تَهْتَرُ أَيْ مَا كَانُوا﴾ (المجادلة: ١٧) يرشد بجلوه، وبهذا استفتح الله الآية، واختتمها؛ ففي أولها قال: ﴿إِنَّمَا رَأَىٰ اللَّهُ يَتَمَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (المجادلة: ١٧)، وفي آخرها قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُنِّي أَعْيُنَهُ عَنِ عَيْنِ مَنْ يَكُنِّي﴾ (المجادلة: ١٧)، ولم يقل: إنه في كل مكان بجلوه، وإنما بجلوه.

ففي بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق:

لا يلزم من إثبات العلو والاستواء والنزول له إحاطة مخلوقاته به، واحتواؤها له، لا منفردة ولا مجتمعة؛ لأنه ﷻ أكثر من كل شيء، ويتوهم من بني تلك الصفات أن في إثباتها لزوم إحاطة المخلوقات به، وهذا باطل عقلاً وشرعاً:

- أمّا بطلانه عقلاً: فإنه لا يصح أن يحوي الشيء ويُحيط بهما هو أكثر منه، وهذا معلوم في كلِّ المحسوسات، فلا يمكن أن تُصور إحاطة الأرض بالسنوات، ولا إحاطة الثقل بالجَل، ولا إحاطة الذرة بحث الرجل يقيضها، فإذا كان دافع الثَّاقِ توهم الإحاطة كما في المخلوقات فهذا غير لازم حتى فيها، مع أن الله ليس كمثل شيء، والسنوات تُحيط بالأرض ولكن الأرض لا تُحيط بها، فإذا كان الله تعالى أكبر من كل المخلوقات مجتمعاً، فكيف يُقال بإحاطتها به عقلاً، ويُروى في الحديث: (مَا السَّمَوَاتُ السَّيِّ فِي الْكَرْمِيِّ، إِلَّا كَخَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِي فَلَاخٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْمِيِّ، كَفَضْلِ بِلَاقٍ عَلَى بِلَاقٍ خَلْقَةٍ)^(١)، ويُروى في بعض ألفاظه: (وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضِي اللَّهُ ﷻ إِلَّا كَالْحَبَّةِ وَالْأَصْفَرِ مِنَ الْحَبَّةِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر: ٦٧)^(٢)، وللحديث عروق وأغاطة تدلُّ أن له أصلاً.

- وأما بطلانه شرعاً: فلأن الله ليس كمثل شيء في ذاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، فكلُّ ما أخبر الله به عن نفسه فيجب إثباته له على الحقيقة، والتوقف عن لوازمه التي تقتضي التشبيه، فإذا لم يُشبهه أحدٌ في ذاته فكيف يُشبهه أحدٌ في صفاته ولوازم صفاته؟ ولو أن أذهان المعتزلة تخلت من القياس لخلت من التعطيل.

(١) ابن حبان (٧٦/٢).

(٢) «المعتمد» لأبي الشيخ (٦٣٥/٢).

الاستواء على العرش :

﴿قَالَ رَبِّيَ زَيْدٌ﴾ : «وَأَنَّ قُوَّةَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِلَايَةِ، وَهُوَ فِي ثُلِّ مَكَانٍ بِجَلْبِهِ» :

بجِبْ إثبات استواء الله على عرشه، ويذكر ابن أبي زيد لاستواء الدائم في قوله: «بِلَايَةِ» دفع لمقالة التأويل التي تنفي إثبات الاستواء حقيقة بلا تشبيه ولا تكييف، ممن يتوهم أن إثبات الحقيقة لازم للتشبيه والتكييف.

وقد قرّر إثبات الاستواء على العرش حقيقة المصنّف في «الجامع»، فقال: «وَأَنَّ قُوَّةَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ قُوَّةٌ أَرْضِيَّةٌ»^(١).

وقد نصّ على استواء الله بِلَايَةِ السلف، وجاء عن مالك النصّ على «الدائم» حكاه غير واحد؛ قال أبو نصر السجزي في كتابه «الإبانة»: «فَأَمَّا شَأْنُ كُتُبِ الْفُتُوخِ، وَمَالِكٍ، وَصَفِيَّانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ، وَفَضْلِ بْنِ عِيَّاسٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيِّ - مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ بِلَايَةِ لَوْ أَنَّ الْعَرْشَ، وَأَنَّ جِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَأَنَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ يَفْضُبُ وَيَرْفُسُ وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ؛ فَمَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنْهُ بَرَاءَةٌ»^(٢).

وقال أبو عمر الطَّلَمَنَكِيُّ في كتابه «الأصول»: «اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِبِلَايَةِ»^(٣).

(١) «الجامع» (ص ١٠٩).

(٢) «نزهة العارضي» (٦/ ٢٥٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٢٢ و ٢٦٢).

(٣) «اجتماع الجيوش» (٣/ ١٤٢).

والأئمة بذكرونا بعض الألفاظ غير الواردة بنصها في الوحي، لا لعدم كفاية الوحي في الإلهام، وإنما لورود معنى باطل جديد بعد انقطاع الوحي، فأرادوا دفعاً بلفظ جديد، من غير أن يؤثر على مقصد الشارع ومزاده، ولو لم يُوجد المعنى الجديد الباطل، لم يُوجد اللفظ الجديد، لأنه لا حاجة إليه.

وقد ذكر لفظة «بلاته» غير ابن أبي زيد من الأئمة؛ لما شاعرت مقالة التأويل والتعطيل، ممن يُثبت لفظ «الاستواء» ويتأول أو يعطل معناه؛ فكان إثبات اللفظ القرآني للناس، من غير زيادة تدفع الباطل الجديد في الآذان، موجهة لهذه اللفظة عندهم، وقد ذكر أبو بكر المرادي الفيرواني في «الإيمان» في مسألة الاستواء^(١) جماعة ممن نكسوا على ذكر استواء الذات، ونسبوا إلى ابن جرير، والقاضي عبد الوهاب، وظاهر كلام أبي الحسن الأشعري، والباقلاني.

وقد انتصر ابن عبد البر وغيره لابن أبي زيد^(٢)؛ بأن الله أثبت الفوقية لنفسه بقوله: ﴿يَكُونُ ذِكْرُكُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ﴾ (النحل: ٥٠)، وقوله: ﴿وَهُوَ أَكْبَرُ كُلِّ شَيْءٍ كَوْنًا وَبُحُورًا﴾ (الأنعام: ١٠٨) فقد على علو ذاته واستوائها على العرش على الحقيقة التي تليق به، لا كما تليق بالمخلوق.

والإتيان بالألفاظ مطابقة لم ترد في الشرع لإثبات حقيقة الصفات بلا تشبيه عند من تعسف بتأويلها لإلهابها؛ شيء، ومقابلة الإفراط بالتأويل بالإفراط بالتشبيه؛ شيء آخر غير جازم.

(١) حكاه عنه القرطبي في «الأماني شرح أسماء الله الحسنى» (١٢٣/٢).

(٢) انظر: «النسبية» (١٢٩/٢ - ١٣٠ و ١٣٨ - ١٣٩).

وهذه اللفظة التي أوردها ابن أبي زَيْد: «لَوْقَ عَزَّيْبِ السَّجْدِ» بِذَاتِهِ اعْتَقَلَ فِي التَّعَاثُلِ مَعَ قَوْلِهِ: «بِذَاتِهِ» كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الشُّرَاحِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِأَنَّهَا تُثَبِّتُ الْأَسْتَوَاءَ حَقِيقَةً، وَكَانَ خَطَرُهُمْ فِيهَا عَلَى وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: شَكَّكُوا فِي ثبوتها عنه، وزَعَمَ بَعْضُهُمْ إِنْجَاهَهَا فِي كِتَابِهِ، مِنْهُمْ: أَبُو عَلِيٍّ الْبِجَائِيُّ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْفَائِزِيَّاتِيُّ عَنْهُ^(١)، وَزَعَمَ إِنْجَاهَهَا عَصِيرًا فِيهِ فِي كِتَابِ الشُّرُوحِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، حَتَّى شَرَحَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَرَدَّ تِلْكَ الدُّعْوَى الْمُتَكَلِّمُونَ أَنْفُسَهُمْ؛ كَابْنِ نَاجِي التَّنُوحِيِّ^(٢)، وَهَذِهِ اللفظة: «بِذَاتِهِ» فِي الْأَصُولِ الْخَطِيئَةُ لِكِتَابِ «الرَّسَالَةِ»، وَعَلَيْهَا سَمَاعَاتُ الْأَلْفَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ اسْتَنْكَرَهَا عَلَى الْمُؤَلِّفِ، وَتَأَوَّلَهَا، وَلَمْ يَقُلْ: بِأَنَّهَا مَنْسُوسَةٌ؛ لِاسْتِحَالَةِ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ بَابٍ مُحْتَبَلٍ لَكُونَهَا مَنْسُوسَةً، لِأَخْطَرَةِ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ مِنْ تَكْلِيفِ التَّأْوِيلِ.

وقد أَثْبَتَهَا طَلَّابُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَالْقُرَيْبِيُّونَ مِنْ زَمَنَّا فِي شَرْحِهِمْ لَهَا؛ كَابْنِ بَنَكْرِ مُحَمَّدٍ بْنِ مَرْزُوقٍ، وَابْنِ عُمَرَ الطَّلَسَنِيَّ، وَعَبْدُ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيُّ، وَمَنْ جَاءَ بِمَعْنَاهُ^(٣)، وَهِيَ عِبَارَةٌ مُسْتَعْتَلَةٌ فِي زَمَنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَفِيهِ.

وقد رَأَيْتُهَا فِي نَسْخَةِ خَطِيئَةٍ عَنِيَّةٍ مِنَ «الرَّسَالَةِ»، لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْفَيْرَوَانِيِّ، عَلَيْهَا سَمَاعُ الْبِقَاعِيِّ عَنْ ابْنِ حَبَّيْرٍ الْعَسْكَلَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَّصِلِ

(١) شرح الرسالة لابن ناجي (٢٤/١).

(٢) شرح رسالة ابن أبي زيد له (٢٤/١).

(٣) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (١٣٢/٢).

بالأشرف إلى المؤلف أبي محمد بن أبي زيد القيرواني^(١).

الوجه الثاني: تأولوا معناها بتأويل إعرابها، والمنصود منها: فجعَلُوا حَلُوًّا لهُ: حَلُوًّا قَهْرًا وَقُدْرًا، وتأولوا حَلُوًّا الذات في كلام ابن أبي زيد بتأويلين:

الأول: أنهم جعلوا لفظة «المجيد» صفة لهُ، لا للقرشي، فزادوا أَنَّهُ قد نَمَّ الكلام بقوله: «قُوَّةٌ عَزِيزَةٌ»، وقوله: «المجيد بِذَاتِهِ» كلام مستأنف، فجعلوا المعنى: أَنَّ اللهَ مُجِيدٌ بِذَاتِهِ، لا مستحقٌّ للمجيد بغيره، فكان الكلام يتضمن صفتين: صفة الاستواء، وصفة المجيد لهُ، ولكنهم تأولوا قوله: «بِذَاتِهِ»: أَنَّهُ سبحانه استوى بِذَاتِهِ بلا مُعين من مالٍ وأخوان.

الثاني: أنهم جعلوا اسمَ «المجيد» بالكسْرِ صفة للقرشي، ولكن جعلوا الباء في قوله: «بِذَاتِهِ» بمعنى «في» بمعنى: في ذاتِهِ، يعني: أَنَّ القرشَ عظيمٌ في ذاتِهِ.

(١) صورة للمخطوط عليه سماع مسلسل بالألحقة وفيه إثبات قول ابن أبي زيد: (بذاته).



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وهذا كُلُّهُ خَلَطٌ، وتكَلُّفٌ، وتحريفٌ للنصوص، وتأويلٌ لها لا حَدٌّ له؛ لأنَّ التحريفَ المتوَقَّعَ بَلَّغَ القرآنَ وعلى أسرارِ الكعبةِ زَمَنَ ابنِ أبي ذؤانِبٍ حيثُ كُتِبَ عليها: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْكَبِيرُ» فأبدلها عن قولِهِ تعالى: «الَّتِي لَيْسَ كَمِثْلِهَا شَيْءٌ» (الشورى: ١١)؛ كَلَّ هَذَا لَيْسَ صِفَةُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ عَنِ اللَّهِ؛ فكيف بكلامٍ عَالِمٍ فِي مذهبٍ متبعٍ؟^(١)

والذي لَهْمَةُ تَلَامِيذُ ابنِ أبي ذؤانِبٍ: هو استواءُ اللَّهِ بِذَاتِهِ على الحقيقَةِ؛ كما قال أبو بكر بن مَوْهَبٍ مِيثًا مرادةً: ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ عُلُوَّهُ فوقَ عَزْوِهِ إِنَّمَا هو بِذَاتِهِ؛ لأنَّهُ تعالى بَازٍ عن جميعِ خَلْقِهِ...^(٢)، وكان الظَّلْمُ كَيَّ على هذا الاعتقادِ، وهو من أَعْلَمَ النَّاسِ بِكلامِ شَيْخِهِ يقول: فَرَأَى اللَّهُ فوقَ السَّمَوَاتِ بِذَاتِهِ، شَقِيَ على عَرْشِهِ، كيف شاءَ^(٣)؛ فَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ الذَّاتَ على ذِكْرِ العَرْشِ؛ لأنَّهُ يعمودُ إلى اللَّهِ، بل هذا هو قولُ مالِكِ المَقْبُولِ عنه؛ كما نَقَلَهُ أبو نَصْرِ السَّجَزِيُّ عنه؛ أَنَّهُ وغيرُهُ مُتَّفِقُونَ على أَنَّ اللَّهَ ﷻ بِذَاتِهِ فوقَ العَرْشِ، وجِلَّتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وهذا لَا يَحْتَوِلُ غَيْرَ حَقْلِ استواءِ الذَّاتِ لله على الحقيقَةِ بلا تشبيهٍ، وعلى هذا المعنى حَمَلَةُ جَمَلَةٍ مِنَ الْأَثَرِ فِي المغرِبِ وغيرِهِ؛ كَابْنِ جُرَيْجٍ فِي «التَّسْهِيلِ»^(٤).

وقد كان جَمَلَةٌ مِنَ الْمُخَالِفِينَ لابنِ أبي ذؤانِبٍ مِنَ الْأَثَرِ، لَمْ يَتَأَوَّلُوا

(١) «العلو» (٥٩٦).

(٢) «بيان نليس الجهمية» (١٨٦/١) و(٣٩٨/٣)، و«العلو» (٥٦٦)، و«اجتماع الجيوش» (١١٢/٢).

(٣) «التسهيل» (٢٩٠/١).

قوله: «لأنصافهم من هذا الوجه، وحملوا قوله على ظاهره بلا تكلف،
كأبي بكر بن العربي^(١)، والبر بن عبد السلام^(٢)، والشبكي^(٣)،
وابن جماعة^(٤)، وأبي عبد الله الجوزي^(٥)».

وقد استعمل لفظه الذات في عند استوائه جماعة قبل أبي زيدا
كالزنجي صاحب الشافعي^(٦)، وابن جرير الطبري^(٧)، وأبي أحمد الكرجي
القصاب^(٨)، ويحيى بن عمار السجستاني^(٩)، وغيرهم.

❦ الكُرْبِي:

ويُنبِئ أن في كرميها، كما قال ❦: «ويج كُرْبِيَّةُ السَّكُونِ
والأرض» (البقرة: ٢٥٥)، ولهم ذلك على ما تفهّمه العرب الأولى من
كلاهما من أهل الصدور الأولى، وقد قال ابن عباس: «الكُرْبِي مُؤَبَّعٌ
الْقَتَمِينَ»^(١٠).

وصح هذا القول عن وهب بن منبه^(١١)، ويروى عن أبي موسى^(١٢)،

(١) «المراصب» (٢/٢٩٠).

(٢) «التوازي» (٦/٢٠).

(٣) «مطبوعات الشافعية» (٦/١٤٣).

(٤) «إيضاح الليل» (ص ١٠٧).

(٥) «أزهار الرياض» في أخبار عباس الشافعي (٣/٥٨).

(٦) «شرح الشُّكَّة» (ص ٧٥).

(٧) «تلم».

(٨) «العلو» (ص ١٣٦).

(٩) «الحجة في بيان المحجة» (٢/١٠٩)، و«المطو» (٥٦٤).

(١٠) «الشُّكَّة» لعبد الله (٥٨٦) و١٠٢٠ و١٠٢١، و«المؤيدة» لابن خزيمة (١/٢٤٨ و٢٤٩).

(١١) «الشُّكَّة» لعبد الله (١٠٩٦)، و«المطو» (٤/١٣٩٩).

(١٢) «الشُّكَّة» لعبد الله (٥٨٨) و١٠٢٢، و«تفسير الطبري» (٤/٥٣٨).

وَأَمَّا مَا لَكَ^(١)، وَهَذَا فَسَرَّهُ ابْنُ أَبِي زَيْنٍ الْأَنْدَلُسِيُّ فِي «أَصُولِ الشُّكَّةِ»^(٢).

وَلَا يَجُوزُ تَكْيِيفُ فِعْلِهِ الْإِلَهِيِّ، وَلَا تَشْيِيقُهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَفَدَّ وَدَّةً فِي بَيَانِ حُجْمِ الْكُرْسِيِّ فِي الْحَدِيثِ: (مَا السَّمَوَاتُ السَّنُخُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا مَخْلَقَةٌ مَلْفَاةٌ بِأَرْضِي فَلَاةٍ، وَلَفْضُ الْقُرْآنِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْقَلَامِ عَلَى الْخَلْقِ)^(٣).

رُويَ: أَنَّ الْكُرْسِيَّ: هُوَ عِلْمُ اللَّهِ^(٤)، وَقِيلَ: قُدْرَتُهُ^(٥)، وَقِيلَ: هُوَ الْقُرْآنُ^(٦).

وَالْأَصَحُّ: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَلَمَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ، لَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكُرْسِيَّ: عِلْمُ اللَّهِ؛ فَقَدْ رُويَ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا لِي بِأَنَّكَ كُرْسِيٌّ أَكْبَاهُهُ وَلَا يُكْرَسِيُّ عِلْمُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ^(٧)

وَهَذَا مَخَالَفٌ لِمَوْضِعِ الْعَرَبِ عِنْدَ إِطْلَاقِ الْكُرْسِيِّ، وَالْكُرْسِيُّ لَا يُهْتَرُ^(٨).

(١) «الشُّكَّةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (٨٩) وَ(١٠٢٣).

(٢) «أَصُولُ الشُّكَّةِ» (ص ٩٦).

(٣) «الْقُرْآنُ» وَمَا رُويَ فِيهِ (٥٨)، وَاصْبَحَ ابْنُ حَيَّانَ (٣٦١).

(٤) رُويَ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. انْظُرْ: «الشُّكَّةُ» لِعَبْدِ اللَّهِ (١١٥٦) وَ(١١٨٢)، وَالتَّفْسِيرُ الطَّبْرِيُّ (٥٣٧/٤).

(٥) «إِعْمَانِي الْقُرْآنَ لِلْحَقَّاسِ» (٦٦٤/١)، وَالتَّفْسِيرُ الْقُرْطُبِيُّ (٢٧٦/٤).

(٦) رُويَ ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ. انْظُرْ: «تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ» (٥٣٩/٤).

(٧) لَا يُهْتَرُ قَائِلُ هَذَا الْبَيْتِ. انْظُرْ: «تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ» (ص ١١٩)، وَ«إِعْمَانِي الْقُرْآنَ لِلْحَقَّاسِ» (٦٦٣/١)، وَ«الْبَحْرُ الْمَحِيطُ» (٢/٢٩٠)، وَ«الْجَوَابُ فِي عِلْمِ

الْكِتَابِ» (٣٢٢/٤).

(٨) انْظُرْ: «تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ» لَابْنِ قُتَيْبَةَ (ص ١١٩ ط ١) الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ: قُدْرَةُ اللَّهِ، فَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَفِيهِ ضَعْفٌ.
وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّهُ الْكُرْسِيُّ: هُوَ الْعَرْشُ، فَمَرْبُوعٌ عَنِ الْحَسَنِ،
وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمَا.

وهذا ليس فيه شيء يبيح عن الصحابة والتابعين، وأصل ما جاء
فيه: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَتَيْنِ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا سَبَقَ، وَلَمْ يُخَالِفْهُ
أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وقد كان ابن مسعود يقرأ الكرسي غير العرش، كما رَوَى ابْنُ شُرَيْمَةَ
فِي «التَّوْحِيدِ» عَنْهُ: قَالَ: «يَبِينُ السَّمَاءُ الثُّلَاثَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ بَقَعٍ غَامٍ،
وَيَبِينُ كُلُّ سَمَاءٍ خَمْسُ بَقَعٍ غَامٍ، وَيَبِينُ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ وَالْكُرْسِيُّ خَمْسُ بَقَعٍ
غَامٍ، وَيَبِينُ الْكُرْسِيُّ وَالْمَاءُ خَمْسُ بَقَعٍ غَامٍ، وَالْعَرْشُ قَوْقُ الْمَاءِ، وَاللَّهُ
قَوْقُ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»^(١).

وهذا لا يقولُهُ الصحابيُّ مِنْ رَأْيِهِ.

وَأَمَّا حَمَلَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْكُرْسِيَّ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ قُدْرَتِهِ؛
لِإِتِّكَارِهِمُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَالْأَعْمَالَ الْإِلَهِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ لَا بُدَّ
أَنْ يَكُونَا مَحَلًّا لِلْفِعْلِ.

والحق: أَنَّ الْعَرْشَ: لِلْأَسْتَوَاءِ، وَالْكُرْسِيَّ: مَوْضِعَ الْقَدَمَتَيْنِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِالْكَفَيَّةِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ.

﴿إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾:

﴿قَالَ الْإِسْلَامِيُّ الرَّزِّيُّ: «خَلَقَ الْإِنْسَانُ، وَتَعَلَّمَ مَا تَوْسُوهُنَّ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ
الْمَرْبُ إِلَيْهِ مِنْ خَبْلِ الْوَرِيدِ، وَتَمَّ تَعَلُّقُ بِنَفْسِهِ لَا يَتَلَكَّاهَا وَلَا يَحْتَوِي
عَلَيْهَا الْأَرْضُ وَلَا تَحْتَوِي وَلَا يَحِيصُ إِلَّا فِي كِتَابِ نُوحٍ» (الاصنام: ١٥٩):

كُلُّ مَا فِي الوجودِ خَلَقَ اللهُ، وهو عالمٌ محيطٌ بهم، لا يعزُبُ عنه شيءٌ من ذلك؛ جليلةٌ وعظيمةٌ، كثيرةٌ وقبيلةٌ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُونَ إِلَّا إِلَهُ يَخْتَصِمُ بَيْنَهُ﴾ [النمل: ٢٥]، وقال: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [المرجان: ٥]، وقال: ﴿يَسْتَكْبِرُ إِلَهُ إِنْ تَقَالَ حَبَوْنِ مِنْ حَمَلِهِ لَنُفْثَى فِي سَكَنٍ أَوْ فِي كَسَكَةٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنْ أَلَّهُ لِيْلُفٌ حَبِيرٌ﴾ [القصص: ١٦]، وقال: ﴿يَتْلُمَ مَا كُنَّ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ مِنْكُمْ كَلِمَةً وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَهُوَ الْغَيْبُ الْقَلْبِيُّ﴾ [سبا: ١٢].

وبأي الكلام على ضلال بعض الفلاسفة والمتكلمين في نفي علم الله للجزئيات.

عُودَةٌ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى اسْتَوَاءِ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ:

﴿قَالَ إِنْ لِي زِينَةٍ﴾: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمَلِكِ اخْتَوَى﴾:

ويجب إثبات أن الله استوى على عرشه حقيقةً، وقد ذكر الله استواءه في كتابه في سبعة مواضع؛ قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقد تواترت في ذلك الأحاديث والآثار؛ أن الله: ﴿فَوْقَ الْعَرْشِ﴾.

وثبت استواء يليقُ بجلاله، وبكرامته عما يليقُ بالمخلوق؛ لأنه ﴿كَيْفَ يَكُونُ شَيْءٌ وَمَعَهُ أَكْثَرُ السَّمْعِ الْخَيْرِ﴾ [الشورى: ١٦] وكان السلف على ذلك لا يختلفون عليه.

ولما ظهرت البدع الكلامية التي أدت إلى إنكار حقيقة الاستواء وتأويله، ضلُّوا من قال بذلك، وقد كان سُخْرُونُ يُلْقِي ابن الفصاري في مرضي موته: «أَنَّ الله على العرشِ اسْتَوَى»^(١).

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القبروان، ويقول: «الحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(١)، وإياهم للاستواء على الحقيقة، لا يحيلهم على القول بالتشبيه، ونوهم لزوم إثبات الحقيقة للتشبيه لا يحيلهم على التفويض؛ ولهذا يقول القرطبي: «لم يُنكر أحدٌ من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة... وإنما جعلوا كيفية الاستواء»^(٢).

والعرب تطلق العرش على السرير كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى السَّرِيرِ﴾ يوسف: ١٠٠، وقال أمية بن أبي الصلت:

تَجِدُوا اللَّهَ وَهُوَ يَلْمِجُ لِقُلٍّ وَبُنَا فِي السَّمَاءِ أُنْسَى كَجِسْرٍ
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سِرِيرًا^(٣)

وإثبات هذا التعبير لا يعني إثبات التشبيه بين عرش الخالق وعرش المخلوق، ولا بين استوائهما، ومثل ذلك السرير؛ فإن للمخلوق عرشاً، وورود التشابه في الاسم لا تعني المشابهة في الحقيقة؛ فضلاً عن المشابهة بين الخالق والمخلوق في الفعل.

❦ **الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام:**

ويقتصر على اللفظ الولد في الوحي؛ وهو: «الاستواء»، ولو تقارب مع اللفظ غيره بالمعنى أو اتحد؛ التزاماً باللفظ المشروع الذي احتاره الله لنفسه، ودفعاً لنوهم الناس الذي قد يقع في قلوب الناس من

(١) ترتيب المطابق (٢١٤/٤). (٢) تفسير القرطبي (٢٣٩/٩).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١١٩ و ٣٩٦).

الألفاظ المجتلة غير المحكّمة، وقد كان مالك بن أنس يكره التحديث ببعض أحاديث الصفات للعامة؛ وذلك حتى لا يسيق إلى أذهانهم معنى محظور من التشبيه؛ كما قاله يحيى بن مُزَين^(١)، وابن عبد البر القرطبي^(٢).

فلذا كان هنا عند مالك في اللفظ الوارد في الحديث، فكيف بالألفاظ لم تردّ تلقّ في ذهن السامع توقّفا لا يليق بالله، وكان مالك يسلّد في إشارة الإنسان بيده عند ذكره لصفات الله بما يؤهّم تشبيها؛ قال مالك: «من وصف شيئا من ذات الله؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَمَلَأَ الْجُودُ بِكَ الْكَوْثَرُ﴾» (المائدة: ٦٤)، وأشار بيده إلى عُنُقِهِ، ومثل قوله: ﴿وَقَوَّ السَّمِيعُ السَّمِيرُ﴾» (الشورى: ١١)، فأشار إلى عُنُقِهِ وَأَذُنِهِ، أو شَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ -: فُطِعَ ذلك منه؛ لأنّه شبه الله بشيء.

وهذا من مالك فيمن قصّد التشبيه، أو فهم منه ذلك، وأمّا عند الأمن من ذلك عند من صحّ معتقده، وسليم لسانه، لإثبات حقيقة الصفة لا تكييفها -: فذلك وردّ فيه الحديث؛ كما في حديث أبي مُزَين؛ أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْزِلُكَ أَنْ تَكُونُوا الْأَنْصَابُ إِلَى أَعْيُنِهِ﴾ وَأَنَّكَ تَكُونُ الْكَلْبُ أَنْ تَكُونُوا الْكَلْبُ إِلَى اللَّهِ يَكُونُ بِكَ إِلَى اللَّهِ كَلْبٌ مِمَّا يَكُونُ» (النساء: ٥٨)، وَوَضَعَ إِيَّاهُ عَلَى أُنْفِهِ، وَسَبَّاهُ عَلَى عُنُقِهِ»؛ رواه أبو داود^(٣).

وربّما أجاز بعض السلف التعبير بلفظ آخر طابق المعنى في موضع، فقلّته بعض الناس جازّا في غيره، فيقع التشبيه والتعطيل؛ ولهذا

(١) «المهيد» (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «المهيد» (٧/ ١٥٠).

(٣) سبق تخريجه.

يقول ابن عبد البر: «نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول: انتقل؛ وإن كان المعنى في ذلك واحداً؛ ألا نرى أننا نقول: له عرش، ولا نقول: له سرير؛ ومعناها واحداً؟ ونقول: هو الحكيم، ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم؛ وإن كان المعنى في ذلك كله واحداً؟ لا نسبه، ولا نعيته، ولا نطلق عليه، إلا ما سمي به نفسه»^(١).

وقد كان بعض السلف يعبر عن الاستواء بغيره؛ كما صح عن خارجة بن مصعب^(٢)، والحسن البصري، وعكرمة: أنهم عبروا عن الاستواء بالجلوس^(٣)، وجاء عن الشافعي، عن ابن مسعود أيضاً؛ وفيه انقطاع^(٤)، وقبحهم وكبح، وأحد؛ كما نقله ابن عبد الله في «السنة»^(٥)، والدارمي في «ردّه على بشره»^(٦)، والدارقطني في بعض كتبه^(٧)، وهذا الذي أراد الشافعي في «سننه» في باب «ثم استوى إلى الله»^(٨) [فصل: ١١] حيث أورد حديث ابن عمر في استواء المسافر، وقد عبر عن الاستواء عبد الوهاب الزيات بالعمود^(٩)، وجاء عن مجاهد تفسير قوله: ﴿عَسَىٰ كُن يَسَعُّكَ رَبُّكَ مَكَانًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]: «يقبله معة على العرش»^(١٠).

(١) التمهيد (١٣٦/٧ - ١٣٧).

(٢) السنة لعبد الله (١٠)، وفتح الخلال (١٦٩١).

(٣) الرواية للحكم بن عمار: انظر: فتح السجد (١٧٧٥/١).

(٤) انظر: كتاب إنبات الحدة لأبي محمد بن إدريس الشافعي (ص ١٧٠).

(٥) (٣٠٢/١). وانظر: الرد على الجهمية (ص ٣٠٠).

(٦) (٢١٥/١).

(٧) المصنفات (ص ١٠)، وانظر: إبطال التأويلات (ص ٤٩٢).

(٨) السنن الكبرى (٢٤٥/١٠)، حديث رقم (١١١٠٢).

(٩) بيان تليس الجهمية (١٤/٣).

(١٠) ابن أبي شيبة (٣٢٣٠٩)، والأجري في «الشرعة» (١١٠١ - ١١٠٥).

وبهذا عبر ابن العربي في سورة الأحزاب من «أحكام القرآن»، وهو على طريقة المتكلمين.

والثابت في الحديث المرفوع: أنَّ المقام المحمود هو الشفاعة العظمى^(١).

وكثير من الأئمة: يذكرون الاستواء، ويذكرون معناه في اللغة كالجلوس، والاستقرار، والتمكين في الشيء؛ كما فعل ابن عبد البر^(٢)، وغيره^(٣)، ويريدون من ذلك: بيان الحقائق، والإبادة عن المجاز؛ وليس التمثيل؛ تعالى الله!

وربما نرى بعض الأئمة مثل هذه الألفاظ كالجلوس؛ إنما يرى لها من لوازم تليق بالمخلوق؛ كإين رشو في «البيان والتحصيل»^(٤)، فقد جعل الجلوس عليه، والتحيز فيه، والمماثلة، مستحيلاً في صفات الله تعالى؛ لأنه من التكيف الذي هو من صفات المخلوق، مع أنَّ ابن رشو لم يمنع أن يكون الاستواء من صفات الله الفعلية.

وهذه اللوازم والأعراض التي ذكرها لم ترد في الشريعة، وإنما لما لزمت للجواب، نفاها عن الخالق، ولو لم تكن تلك اللوازم، وسكت عنها لسكوت الشارع، وأنت ما جاء في الوحي وفُسرة السلف: لكان أسلم وأعلم وأحكم.

وتعبر بعض السلف بالجلوس والوقوف^(٥): من باب إثبات

(١) البخاري (٧١٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) الشهادة (١٣١/٧).

(٣) فتاويل مختلف الحديث (ص ٢٧١).

(٤) البيان والتحصيل (١٦/٣٦٨ - ٣٦٩).

(٥) انظر: إنبات الخد لله، وبأنه ثابت وجائي على حقيقته للنفوس.

الحقيقة، ونفي التأويل عن الظاهر، لا لتقرير لفظ مغاير، وتجويز مثله في كل موضع، فهذا حينما يعبرون عن الاستواء بغيره، لا يجعلون تعبيرهم تشبيهاً، فهم يُقَوِّنُونَ اللفظ الآخر بلا تشبيه ولا تمثيل، فيذكرونه دفقاً للتعطيل والتأويل، وإثباتاً للحقيقة التي تليق بالخالق، ونقياً لما يليق بالمخلوق، فكما أنهم يَقَوِّنُونَ التشبيه عند التعبير بالاستواء، فكذلك يَقَوِّنُونَ عند التعبير بالجلوس والقمود.

ولما كان بعض المفوضة الذين يتوقفون في إثبات حقيقة الاستواء التي تليق بالله، وبعض المتأولة الذين يحيلونه على معنى غير الحقيقة، يستنكرون على بعض السلف إطلاق مثل هذه التعابير؛ لأنهم يفوضون أو يتأولون اللفظ الواحد، فيستحيلون اللفظ غير الوارد :- فهم فوضوا وتأولوا؛ فراراً من التشبيه المتوهم؛ فتأويلهم للتعبير بغير الوارد تقول على ما يعتقدون؛ لأنه يرسخ إثبات الحقيقة، وهم يقررون منها؛ وألا فإن السلف الذين يعبرون بما لم يرد، لا يُقَوِّنُونَ التشبيه به؛ فهم إذا لم يشبهوا باللفظ الوارد في النص، فغير الوارد من باب أولى.

وقد جاء في حديث حمزة بن الخطاب: «إِنَّا جَلَسَ الرَّبُّ ﷻ عَلَى الْكُرْسِيِّ»^(١)، ورواه عنه عبد الله بن خليفة؛ أخرجه الناجي، وعبد الله بن أحمد في «الثقة».

وربما عبر بعض السلف عن الاستواء ببعض لوازمه كالعلو، والارتفاع؛ لأنه لا يستوي إلا مرتفع وعالي على غيره، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمَرْفَعِ﴾ [طه: ٥]؛ فـ «على» تدلُّ على العلو والقوّة. ولا يلزم من إثبات حقيقة الاستواء: القول بالتشبيه؛ وهذا اللازم

(١) نقض الناجي (١/ ١٢٥ - ١٢٦)، والثقة (٥٨٥ و ٥٨٧ و ١٠٦٩).

المتوهم هو الذي دُفع إلى تعطيل الصفات وتأويلها، والجهل بكيفية الشيء لا يُجيز تأويله أو نفيه؛ كما قال ابن عبد البر: «لقد أفرطنا بخواتنا: أن لنا أرواحاً بأبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يُوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استوائها] على عرشه، يُوجب أنه ليس على عرشه»^(١).

فيجب إثبات الاستواء حقيقة، وتفويض كميته؛ لأن الله ﴿كَيْفَ يُنْظِرُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ﴾ [الشورى: ١١]، وقد قال رجل لمالك: «يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة؛ أخرجوه»^(٢).

لقد نفى مالك معرفة الكيفية وفوضها، ولم يفوض الحقيقة؛ ولذا قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولا يكون الكيف إلا لما له حقيقة، وما لا حقيقة له لا يُحتاج إلى تفويض كميته؛ لأنه ليس صفة للذات التي ليس كمثالها شيء.

وقد نفت المعتزلة الاستواء، وفسروه بالاستيلاء؛ وهذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في كلامها؛ كما قاله الخليل بن أحمد^(٣).

وكل ما لا تنجأ للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه، ومن ذلك: ذات الله وصفاته، وإنما يكتفى بالقدر الوارد في السمع، ولا يراذ عليه؛ فما دل السائق على حقيقته ثبت حقيقة؛ لأن هذا مقتضى اللسان العربي الأول بلا تكلف، وفوض كميته.

(١) التمهيد (١٣٧/٧).

(٢) الرد على الجهمية للعلامة (١٠٤)، وشرح أصول الاعتقاد (٦٦٤).

(٣) «العرض وما روي فيه» (ص ١٦٥ - ١٦٦).

وقد كان غير واحد من الأئمة المتأثرين على هذا كما قال ابن رشد في «المقدمات»: «وإنما ما وصفت به نفسه تعالى في كتابه: أَنَّ لَهُ وَجْهًا وَيَمِينًا وَعَيْنَيْنِ، فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يُفهم ذلك من جهة السمع، فيجب اعتقاد ذلك والإيمان به من غير تكيف ولا تعديل»^(١).

وقد كان بعض أهل التعريب يتأولون ما ثبت من الصفات بالسمع، ويصفون المُنشئة بـ «المجسمة»، و«المشيئة»، و«الحسوية»، توهمًا أَنَّ مَنْ يُثبت الحقيقة يأخذ بلوازيها التي يستحضرها اللهن عند التفكير.

وهذه لوازم لا يجوز الإلزام بها، لأنَّ مَنْ كانت ذاته لا شبيه لها، فصفاته لا شبيه لها كذلك، ومَنْ كانت لوازم ذاتي لا شبيه لها، فلوازم صفاتي لا شبيه لها كذلك.

وقد تعلّقب الإلييري ابن رشد في إثبات ما ثبت بالسمع من الصفات^(٢)، وقد أخطأ لأجل تلك المقدمات والإلزامات والتوهمات.

وأصل تأويل الاستواء: توهم التشبيه بالمخلوق: إنَّما بذات الصفة، وإنَّما بلوازيها من الحد وغيره، وهذا يردُّ على المخلوق، ولا يردُّ على الخالق، لأنَّ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٣) الضروري: ١٢١ كما سمعت امرأة جهم بن صفوان رجلًا يقول: الله على عرشه، فقال: محدودة على محدودة فقال الأصمعي: فهي كائنة بهذه المقالة^(٤)، فقد توهمت تشبيهًا فصارت إلى التعليل، ولو سلّمنا من التشبيه، لم تعطل.

(١) «المقدمات» (١/٢٠).

(٢) له رسالة في الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء.

(٣) «الآيتين في صفات رب العالمين» (١٢)، و«العلو» (١٣٦)، و«اجتماع الجيوش» (١٢/٢٢٤).

❧ الأسماء والصفات:

❧ **قَالَ ابْنُ زَيْدٍ:** «زَلَّةُ الْأَسْمَاءِ الْخُسْفَى، وَالصِّفَاتُ الْمُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاءُهُ مُخْلَقَةً»:

قَوْلُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ هُنَا فِي مَقْطَعِ «الرَّسَالَةِ»، وَلِي «الْجَامِع»^(١): «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ» أَي: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى كَمَالِهِ، لَا يَغَيِّرُهُ الزَّمَانُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ يَكْتَسِبُهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ فَيُكْتَبُ، وَلَا فِيهِ شَيْءٌ زَائِدٌ يَنْقُصُهُ.

وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ: «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ»: نَفْيَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ كَالْإِسْتَوَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًا قَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ، وَهَذَا بَاطِلٌ؛ فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: أَنَّهُ «يَقُولُ لِمَا يُرِيدُ» (أَمْرًا: ١٠٧، وَالْبُرُوجِ: ١٦)، وَأَنَّهُ «يَقُولُ مَا يَشَاءُ» (إِنْ شَاءَ اللَّهُ: ٤٠، وَالْحَجِّ: ١٨)؛ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صِفَةِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَالِفًا قَبْلَهُمْ، عَلَى قَوْلِهِمْ بَعْدَ تَسْلُكِ الْحَوَائِثِ:

فَإِنْ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ: أَنَّهُ يَقُولُ مَا يُرِيدُ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَعْمَالَهُ تَكُونُ مِنْهُ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ؛ كَالْإِسْتَوَاءِ، وَالنُّزُولِ، كَمَا تَكُونُ مِنْهُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ؛ كَتَجَلِّيهِ سَبْحَانَهُ لِلجَبَلِ، وَهُمْ يَعْتَرِضُونَ عَلَى الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ تَنْزِيمًا هـ عَنِ الْحَوَائِثِ، وَأَنَّ الْحَوَائِثَ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً، لِحَدَّثَتْ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَنَزَّ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقًا.

(١) «الجامع» (ص: ١٧).

ومما كُله تاصيلُ القاعدةِ الجَوْهَرِ والعَرَضِ والحوادثِ، وانصباطها على الإنسانِ لا يُجِيرُ تنزيلها على الله؛ فالحق تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [النورى: ١٦١]؛ لَمَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في ذاته، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في صفاته.

والسَلَفُ يُنَبِّهُونَ في الأسماء والصفات؛ كما أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له نبيه ﷺ من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكيف ولا تأويل، والذي عليه السلف: إثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له نبيه ﷺ، والإيمانُ بذلك، وأنه على الحقيقة؛ فلا يؤوَّلُ، ولا يُلزَمُ من إثبات الحقيقة: التشبيه؛ كما أنه لا يُلزَمُ من إثبات ذات الله على الحقيقة: إثبات الشبه لها، ومن جعل ذلك لازماً، فإلزامه إنكار حقيقة الذات؛ كما يُنكر حقيقة الصفات؛ فالعلة التي تستوجب نفى الحقيقتين واحدة.

﴿ما وَرَدَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ:

الأصل: أَلَا تُبَيِّنُ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ لَهْ إِلَّا بِمَا ثَبَتَ فِي الْوَحْيَيْنِ؛ لَأَنَّ مَسَائِلَ الْغَيْبِ مَرَدُّهَا إِلَى عِلْمِ اللَّهِ، لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْاجْتِهَادِ وَالْتَّفَكُّرِ؛ فالحق تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [النورى: ١٦١] حتى يُفَاسَ على غيره، أو يُفَاسَ غيره عليه.

وأما ما يُنبِئُهُ الصَّحَابَةُ مِنَ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ لَهْ؛ فهُمْ لَا يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ بَلَا عِلْمٍ، وَلِبَسَ الْعِفَافَةِ مِنْ مَوَارِدِ الشَّرَاحِ عَنْهُمْ؛ وَلِهَذَا لَا يُحَفِّظُهُ عَنْهُمْ خِلَافٌ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَتَوْحِيدِ اللَّهِ؛ فَقَوْلُ الْوَاحِدِ فِي ذَلِكَ هُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ، وَلَمَّا أُذِنَ الشَّرْعُ لَهُمْ بِالْحَدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِمَّا لَا يُخَالِفُ الشَّرِيعَةَ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (خَلَقُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَلَا خَرَجَ^(١)، كَانَ الصَّحَابَةُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الَّذِينَ لَا يُعْرَفُونَ بِالنَّقْلِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ الْأَصْلُ وَالْأَعْلَى، فَهَؤُلَاءِ يُجَزَّمُ أَنَّهُمْ لَا يَخْرُصُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْقُلِّ، وَأَنَّ نَقْلَهُمُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ وَخِي.

وإثبات ذلك صحيح، كما جاء عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي موسى: إِبْرَاهِيمُ الْفَلَّاحِيُّ هَ^(٢)، فهذا يقوِّدُ إِبْرَاهِيمَ صَفِيَّةَ الْقَدَمِ لَهُ تَعَالَى فِي «الصَّحْبَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا^(٣)، وَفِي «الْمَسْنُودِ»، وَعَنْ ابْنِ عُزَيْمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤)، وَلَهُ مَا يَعْضُدُهُ مِنْ مَرْفُوعٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي «الْمَسْنُودِ»، وَغَيْرِهِ^(٥).

وَنَقَلَ الْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ»^(٦): «أَنَّ عَمَلًا مَعْصِيًا أَهْلُ الْحَقِّ وَالْعِلْمَاءُ: أَنَّهُمْ يَمَيِّضُونَ اللَّهُ بِمَا وَضَعَتْ بِهِ نَفْسَهُ ﷻ، وَبِمَا وَضَعَتْ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَضَعَتْ بِهِ الصَّحَابَةُ ﷺ».

وَلَا أَنْ مَجْرَدَ كَلَامِ الصَّحَابِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا بِالْوَخِي، فَذَلِكَ كَأَنَّمَا أَسْتَنَّةُ وَرَقْعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ: أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَلْقَ بِتَنَهُمُ اخْتِلَافٌ وَتَزَاغٌ فِي هَذَا الْبَابِ، كَمَا وَلَقَّ بِتَنَهُمْ فِي الْفُرُوعِ؛ لِأَنَّ الْفُرُوعَ مَحَلُّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ.

(١) أَبُو هَارُونَ (٣٦٦٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٥٨١٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

(٢) سَبَقَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى التَّكْرِيمِ.

(٣) الْبُخَارِيُّ (٤٨٨٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٨) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. وَالْبُخَارِيُّ (٤٨٨٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٤) «التَّوْحِيدُ» (٢٤٨/١ وَ ٢٤٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا.

(٥) أَحْمَدُ (٢٥٦/١) وَهَمْ (٢٣١٤)، وَالْقَاسِمِيُّ (٣٧٤٥).

(٦) «الشَّرِيعَةُ» (١٠٥١/٢).

وكان أحمد وغيره^(١) يجعلون من أصول السنة: التمسك بما عليه الصحابة.

القسم الثاني: من عُرِف بالأخذ والرواية عن بني إسرائيل؛ فذلك مما يؤلف فيه، ولا يثرَب على من حكى التروية كما حكاه الصحابة، ما لم يكن في ذلك شبهة على ما يبع.

والثالث التابعون: فما جاء عنهم من مرويات في الصفات كصفوة الرُّحمة - رواها مجاهد عن عبيد بن عمير^(٢) - فإذا لم يكن في الباب ما بعضدها من مرفوع أو مقطوع، فالأصل عدم الاحتجاج بذلك؛ لأنَّ التابعين - خاصة الحجازيين - وإنَّ لم يخلطوا في هذا الباب، ولا يقولون برأيهم فيه، إلا أنَّ قولهم في ذلك من جنس المرسلات إلى النبي ﷺ؛ فالأصل التوقف، حتى يبيح مروياتهم إلى صحابه.

والأئمة - كمالك وأحمد وغيرهما - لا يجعلون قول التابعي حجة مقطوعة في الفروع والأصول، ولكنه يستأنس به ويحتج به؛ لقصد أصلي قد ثبت بدليل آخر.

❦ أسماء الله:

هو الأسماء الحسنى؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْأَعْلَى الْعَزِيزُ الْمُذْكَرُ بَدِيُّ الْإِبْرَاهِيمِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وليس له من يُشابهه في أسمائه: ﴿قُلْ تَقَرُّ لَهُ سُبْحَانَ﴾ [مريم: ٦٥]، وكلُّ اسم له معنى؛ فيثبت الاسم والمعنى جميعاً؛ وذلك أنه من إحصائها معرفة معانيها، والعمل بمقتضاها؛ كما قال ﷺ:

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣١٧).

(٢) السنة لعبد الله (١٠٨٥ - ١٠٨٧ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٨٠ - ١١٨٣).

(إِنْ هُوَ شَيْءٌ وَتُسَمَّى أَسْمَاءُ مَنْ أَصْلَافًا تَحِلُّ الْجَنَّةُ)^(١).

ولا يُقال بنفي الأسماء؛ كما تقول الجهميَّة، ولا يأتيناها مجردة عن معانيها؛ كما تقول المعترلة، بل يأتيناها مع معانيها.

وأسماء الله: عَلَّمَ للمسمَّى، ودالَّةٌ عليه، وإنَّ أريدَ بها دالَّةٌ، فالاسم هو المسمَّى، ولا يجوز القول بأنَّ الاسم غيرُ المسمَّى، ما لم يُردَّ بذلك اللفظُ العربيُّ لا كلامُ الله، أو كان في سياق الإعراب؛ فهذا يُرادُّ الاسمُ، لا المسمَّى ذاته.

وقد أظهر المتكلمون إطلاق أنَّ أسماء الله مخلوقة؛ ليخرجوها عن ذاتِهِ سبحانه؛ فلا يَلْتَوِضُوا بما تقتضيه الأسماء من الصفات؛ وهذا قولُ الجهميَّة والمعرلة^(٢).

وقد كان أهلُ العربيَّة من الصَّوِّ الأوَّل يُنْكِرُونَ ذلك؛ كما قال الأصمعيُّ: (إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الاسمُ غيرُ المسمَّى، فاحْكُم عليه بالزندقة)^(٣).

❦ حقيقة الصفات:

والصفات حقيقة ظاهرة؛ وهي على نوعين:

النوع الأوَّل: حقيقة ظاهرة تليق بالخالق، وهي تَظْهَرُ عند إضافة الصفة إلى الله تعالى، وهذه يَجِبُ إثباتها هو سبحانه.

(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٥/٦ - ١٨٦).

(٣) شرح أصول الاعتقاد (٢٤٦ و ٢٤٧).

النوع الثاني: حقيقة ظاهرة تليق بالمخلوق، وهي تظهر عند إضافة الصفة إلى المخلوق؛ وهذه تثبت لصفة المخلوق، ويجب نفيها عن صفة الخالق؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (التورى: ١٦١) وهذه الحقيقة اللائقة بالمخلوق لا تظهر من إضافة الصفة إلى الله تعالى، إلا عند المعطلة والمثبته؛ وهو ما أدى بهما إلى نفي الصفة بحقيقتها اللائقة بالله تعالى وتعطيلها.

وقد كان السلف يتفون أن يكون إثبات الحقيقة يلزم منه التشبيه؛ ولذا يقول إسحاق بن راهويه: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه، وأما إذا قال - كما قال الله تعالى -: يد وسمع ونصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا: كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً»^(١).

وقد أراد إسحاق أن يدفع التوهم الذي يقع في بعض النفوس؛ أن إثبات الحقائق يلزم منه القول بتشبيها.

فقد كان المعطلة يتفون حقائق الصفات خروفاً مما يليق بالمخلوق؛ فحملهم ذلك على تأويل الصفات، ثم هم تأولوا الصفات على معانٍ لا تخرج عما فرأوا منه من حقائق الصفات؛ فالذي انتهوا إليه من تأويلها تضمن محظورين:

الأول: أن قولهم هذا هو تعطيل في صورة تأويل؛ فصرخوا الصفة عن الحقيقة المرادة إلى غيرها؛ فمطلت عن المقصود.

(١) الترمذي بعد حديث (٦٦٢).

الثاني: أَنَّ المعنى الذي أُثْبِتَهُ بَعْدَ تَأْوِيلِهِمْ، هُوَ نَفْسُ الْمَعْنَى الَّتِي يَكُونُ مِنَ الْمَخْلُوقِ عِنْدَ صَرْفِ حَقِيقَةِ صِفَتِهِ عَنْ ظَاهِرِهَا:

فَمَثَلًا: الْإِسْتَوَاءُ وَالنُّزُولُ: فَمَنْ يُثَبِّتُهُمَا عَلَى الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَلِيقُ بِالْخَالِئِ، وَيَنْزِلُفُهُمَا مِنَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ، لَمْ يُشَبِّهْ خَالِقًا بِمَخْلُوقٍ، وَلَمْ يَتَأَوَّلْ، وَمَنْ نَفَى الْحَقِيقَةَ الَّتِي تَلِيقُ بِالْخَالِئِ، فَتَأَوَّلَ الْإِسْتَوَاءَ بِالْعُلُوِّ، وَالنُّزُولَ بِالرَّحْمَةِ، اسْتَعْمَلَ لُغَةَ الْعَرَبِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَصِحُّ مِنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِئِ جَمِيعًا كَمَثَلِك، وَإِنْ اخْتَلَفَ عُلُوُّ الْخَالِئِ وَنُزُولُهُ عَنِ عُلُوِّ الْمَخْلُوقِ وَنُزُولِهِ، فَلَيْسَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ كَرَحْمَةِ الْمَخْلُوقِ، وَلَا عُلُوُّهُ كَعُلُوِّهِ؛ فَلَمَّاذَا لَا يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَتَوَّلُونَ مَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ؛ كَمَا يُثَبِّتُونَ الْمَعْنَى بِالتَّأْوِيلِ، وَيَتَوَّلُونَ مَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ؟

❦ الْإِقْرَارُ بِإِثْبَاتِ الصِّفَةِ يُعْجِلُ التَّضْوِيزَ:

وَاللَّهُ ﷻ لَا يَنْزِلُ شَيْئًا فِي كِتَابِهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَتَلَوَّ النَّاسُ الْحُرُوفَ، وَلَا يَفْهَمُونَ شَيْئًا مِنَ الْمَعْنَى بِإِطْلَاقٍ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ بِتَضْوِيزِ الصِّفَاتِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهَا، يَتَنَاقَشُونَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَسْتَوْنَهَا صِفَةً، ثُمَّ يَفْرَضُونَ مَعْنَاهَا كُلَّهُ، وَيَتَوَّلُونَ حَقِيقَتَهَا؛ فَكَيْفَ عَرَفُوا أَنَّهَا صِفَةٌ إِذْ؟ فَالْحَكْمُ عَلَى الْمَعْنَى بِكَوْنِهِ صِفَةً لِثَبَاتِ الْعِلْمِ بِقَلْبِهِ مِنْ مَعْنَاهُ؛ فَإِنَّ مَجْرَدَ إِضَافَةِ الشَّيْءِ لِلرَّبِّ لَيْسَ دَلِيلًا وَاحِدًا لَكَوْنِ الْمِضَافِ صِفَةً لِلْمِضَافِ إِلَيْهِ؛ فَالْإِضَافَةُ هِيَ قَدْ تَكُونُ إِضَافَةً تَشْرِيفَ، وَقَدْ تَكُونُ إِضَافَةً صِفَةً، وَتَحْدِيدُ أَحَدِي الْإِضَافَتَيْنِ إِقْرَارًا بِالْمَعْنَى حَقِيقَةً.

وَقَدْ صُنِّفَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُخَافِرَةِ كَثِيرًا فِي إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ، وَالرَّدُّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْمُعْظَلَّةِ كَسَعِيدِ بْنِ الْحَقَّافِ فِي كِتَابِ «الْإِسْتَوَاءِ»،

وقد قال: «قَصَدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى النَّافِيَةِ هُوَ بَيْنَهُمْ لَصِفَاهُ»^(١).

وعلى هذا المحققون منهم: كما نقلَ ذلك ابنُ رشدٍ في «البيان والتحصيل»؛ قال: «بَيَانٌ هُوَ يَتَذَكَّرُ وَوَجْهًا وَهَيْئَتَيْنِ»^(٢)، ثم عزا لبعض الشيوخ تأريلاً ذلك، وأنَّ المراد بالوجود: الذات، وبالهَيْئَتَيْنِ: إدراك المَرْتَبَاتِ، والمراد بالهَيْئَتَيْنِ: النعمتان، ثم قال: «وَالصَّوَابُ: قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ الَّذِينَ أَتَوْهَا» وهو الذي قاله مالك^(٣).

وهذا ما قرَّره أبو القاسم السَّهْلِيُّ المغربي المالكي في كتابه «تنتائج الفخر»، عند كلامه على صفة اليد، وأنها لا تَوُودُ بِالْعَمَلِ وَلَا بِالْفُكْرِ، بل على الحقيقة، وقال: «كَانَ مَعْنَاهَا مَفْهُومًا عِنْدَ الْقَوْمِ الَّذِينَ تَزَلُّ الْقِرَاءَةُ بِأَعْيُنِهِمْ» ولذلك لم يَسْتَظْ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَعْنَاهَا، وَلَا خَافَ عَلَى تَقْيِيدِ تَوْقِيفِ الشَّيْءِ، وَلَا احتَاجَ مَعَ قَهْوِهِ إِلَى شَرْحٍ وَتَبْيَإٍ^(٤).

وذلك أنَّ إثبات حقيقة الصفة لله، لا يعني القول بمشابهتها لحقيقة صفة المخلوق؛ فلكل حقيقة تليق به، والله «الَّذِينَ كُتِبُوا عَلَيْهِمْ» وَهُوَ الْكَوْنُ الْعَبِيدُ»^(٥) (الشورى: ١١).

وقد كان متفقاً الأُشَاعِرَةُ كَالْبَاقِلَانِي، يُتَشَبَّهُونَ لَهُ تَعَالَى الْوَجْهَ وَالْيَدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بل عَدَّ الْبَاقِلَانِي فِي «التمهيد»^(٦) نفي ذلك من تَحَازِيِ الْمُعْتَرِضِ، وَخِلَافِهِمْ وَاقِحٌ مَلْفِيهِمْ، وَعَدَّ الْفَخْرُ الرَّازِيْ إِبْهَاتَ

(١) نَقَرْنَا قَلْبًا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَبْدِ الْمَجِيدِ حَمْدًا، ضَمِنَ كِتَابَ الْمَدَارِسِ الْكَلَامِيَةِ بِالْمَغْرِبَةِ (ص: ٣٠٩).

(٢) «البيان والتحصيل» (١/١٦٠: ١٦١).

(٣) الموضوع السابق.

(٤) «التمهيد» (ص: ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٥) «تنتائج الفكرة» (ص: ٢٢٩).

الأشعري للبد، وأنها غير الثففة، وللوجوه، وأنه غير الوجود: أن ذلك إثبات، لا توفقت فيه، كما في كتابه «المحصل»^(١)، حيث خالفت فيه رأي الأشعري، وتوقف وفؤس.

ومن شبهات المعطلة: قولهم بحدوث الأسماء والصفات، وبهذا استدل بعض متكلمي المغرب، وهو سلفيمان الفراء، «فقد سأل ابن سحنون بسند رجة: يا أبا عبد الله، الله سئى نفسه؟ فقال ابن سحنون: الله سئى نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسنى»^(٢).

❦ كلام الله:

❦ قال ابن الجوزي: «كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلق»:

والله متكلم متى شاء بما شاء، والقرآن كلامه، وكلامه بان من خلقه، وخلق خلق، ولا يكون كلامه مخلوقا، لكونه مسموعا ومفروا، ومحفوقا ومكتوبا ومتدبرا، بل المخلوق الأداة، وهي: أذن الإنسان ولسانه وشفاه، وريقه وأهوائه، وقلبه وعقله، والوزن والجبر، قال تعالى: ﴿كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الاعراف: ١١٣]، وقد أخذ الكلام بالمصدر: «تَكْلِيمًا» يُعْلَمُ أنه كلام على الحقيقة.

والعرب تسمي ما يعقل من القول إلى الإنسان كلاما، بأي طريق وصل إليه، كتابة أو غيرها، ولكن لا تحفظه بالمصدر، فإن أخذ الفعل بالمصدر،

(١) (ص ١٣٧).

(٢) مطبقات علماء إفريقيا للبخاري (ص ١٩٨).

لم يُحْصَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَوْءٍ، وَقَدْ قَالَ ثَقَلَبٌ فِي قَوْلِهِ:
﴿تَحْقِيلِي﴾ (المعاد: ١٦٤): «خَرَجَ الشُّكُّ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ»^(١).

وهذا إجماعُ النحويين؛ كما حكاه عنهم أبو جعفر الثَّعَالِبيُّ^(٢).

والقولُ بخلق القرآنِ بذعة، لم يُقَلَّ بِهَا معروفٌ بصَلاحٍ، فضلاً عن معروفٍ يعلمُ في الصدورِ الأوَّلِ.

﴿شَيْدَةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ﴾

قال مالك: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ»^(٣).

وقال أيضاً: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَبِيدُ وَلَا يَنْفَدُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»^(٤).

وكان يَصِفُ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ كَلَامِ اللَّهِ بِالزُّنْفَرَةِ، وَيَأْتُرُ بِقَتْلِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ مَالِكٍ فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا مِنْ أَصْحَابِهِمْ: مَنْ يُخَالِفُ فِي أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهُوَ إجماعُ القرويينِ المفضلينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ.

وقد بَلَغَتْ قِسْمَةُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ أَصْحَابَ مَالِكٍ فِي الْمَدِينَةِ وَالْمَغْرِبِ، وَتَبَيَّنُوا عَلَى الْحَقِّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا، يَقُولُ مُوسَى بْنُ الْحَسَنِ: «سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ أَبِي أَرْثَسٍ، وَمُطَرِّفَ بْنَ حَبِيبِ اللَّهِ، وَقَدْ دُعِيََا إِلَى الْمَحْنَةِ فِي الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ، فَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمَا

(١) «تهذيب اللغة» (١٠/٢٦٥). (٢) «إرباب الرأى» (١/٥٠٧).

(٣) «الشيعة لعبد الله» (١٤٥)، و«الشيعة للخليل» (١٩٩٩ و ٢٠٢١)، و«الشيعة» (١٦٥).

(٤) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

الكتاب، قال أبو بكر: أَكْفَرُ بِاللّٰهِ بِعَدِ نَيْفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَجَالِسُ مَالِكٍ، وَرِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ؟ فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ بِكَ بِشَيْءٍ.^(١)

وقد قال أبو محمد يحيى بن خلف المقرئ: «كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ سَنَةً ثَمَانٍ وَبِشْرَيْنَ، فَأَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: كَايَرُ زُهَيْرٍ؟ افْتَلَوْهُ، قَالَ: إِنَّمَا أَحْكِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ، قَالَ: لِمَ أَسْمَعُهُ مِنْ أَحَدٍ؟ إِنَّمَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ.

قال أبو محمد: فَعَلَّطَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَلَقِيتُ بَصْرًا، فَلَقِيتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَحَكَيْتُ لَهُ الْكَلَامَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ مَالِكٍ؟ فَقَالَ: كَايَرُ، فَلَقِيتُ ابْنَ لَهَيْعَةَ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَحَكَيْتُ لَهُ الْكَلَامَ؟ فَقَالَ: كَايَرُ.

فَاتَيْتُ مَكَّةَ، فَلَقِيتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، فَحَكَيْتُ لَهُ كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كَايَرُ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عِيَّاشٍ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَحَكَيْتُ لَهُ كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كَايَرُ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كَايَرُ، فَهُوَ كَايَرُ، فَلَقِيتُ عَلِيَّ بْنَ حَاصِمٍ، وَهَشِيمًا، فَقُلْتُ لهُمَا، وَحَكَيْتُ لهُمَا كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَا: كَايَرُ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَأَبَا أَسَامَةَ، وَعَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكِلَابِيَّ، وَيَحْيَى بْنَ زُهَيْرٍ، وَبِكْرًا، فَحَكَيْتُ لَهُمْ؟ فَقَالُوا: كَايَرُ، فَلَقِيتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَأَبَا إِسْحَاقَ الْفَرَّازِيِّ، وَالْوَلِيدَ بْنَ مَسْلَمٍ، فَحَكَيْتُ لَهُمُ الْكَلَامَ؟ فَقَالُوا كُلُّهُمْ: كَايَرُ.^(٢)

(١) «البيهقي» (ص ٣٤٩).

(٢) «الإبانة» (٦٥١/ الرد على الجهمية)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٤١١ و ٤١٢).

وقد ذكر الله القرآن في أربعة وخمسين موضعاً منه؛ فلم يُذكر في شيء منها إلى خلقه، وذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعاً ثلث ذلك العدد؛ فصرح في جميعها بخلقها؛ كما ذكره ابن عطية، وقال: «وهذا يدل على أنه غير مخلوق»^(١).

❦ ظهور القول بخلق القرآن في المغرب:

ولما ظهر القول بخلق القرآن في المغرب بين بعض المتكلمين؛ كسليمان الفراء، ومحمّد بن الكلبي، وهنّ السني، وكتبوا فيه، وقد كتب ابن الحداود وإبراهيم الضبي كتاباً في ردّ دعوى القول بخلق القرآن.

ولم يكن المسلمون في المغرب يعرفون القول بخلق القرآن في القرون الأولى، حتى ظهرت فتنة في المشرق، وقد هُموا بقتل سليمان الفراء، حينما قال بخلق القرآن؛ كما ذكره ابن عسري العراقي في «البيان»^(٢).

وكان أهل الإسلام في المغرب يصفون القائل بخلق القرآن من المغاربة بأنهم: «أهل الجراقة»؛ لأنهم ساروا على نهجهم، وأخذوا بقولهم؛ أي: أن هذا القول لا يُعرف من قبل في بلادهم عند المسلمين، وإنما يقول به بعض فلاسفة أهل الكتاب المغاربة في التوراة والإنجيل، الذين أخذوا الفلسفة وعلم الكلام في دينهم على الطريقة التي سلكتها بعض الطوائف الإسلامية، وقد كان الفيلسوف موسى بن ميمون القرطبي اليهودي يقول: «بإجماع أمّتنا أن التوراة مخلوقة»^(٣)، وأصل فلاسفة

(٢) «البيان الثريب» (١/ ١١٩).

(١) «المعجم الوجيز» (٥/ ٢٢٢).

(٣) «دلالة الحائرين» (١/ ١٦٦).

أهل الكتاب الذي دعاهم للقول بهذا الكلام هو أصل الفلاسفة المتسبين للإسلام، الذين قالوا: إن القرآن مخلوق!

﴿أصل فتنة خلق القرآن، والكلام النفسي:﴾

وكان أصل الفتنة في القول بخلق القرآن في المشرق والمغرب: إنما هو في المسموع والمقروء والمكتوب، والمحفوظ والمتنبر، وبهذا يقول الجهمية والمعتزلة.

حتى جاء ابن خلاب، وأثبت الكلام النفسي، وقال بخلق ما عداه من المسموع والمقروء والمحفوظ، والمكتوب والمتنبر، وظن هو ومن قال بقوله: أنهم يُثبتون الكلام، وأن قولهم خارج عن محل النزاع؛ توهمًا أن النزاع إنما هو في الكلام النفسي مع الجهمية والمعتزلة فحسب، وإنما النزاع في الكلام كله، وجرى مع ابن خلاب الأشاعرة؛ فآخذوا يُثبتون الكلام لله، ويريدون به: ما قام في النفس، لا ما أدرجه الإنسان بسمعه وبصره، وقلبه وعقله، وبلغه الإنسان بصوته ولسانه.

وهذا الطريق لا يُعرف قبل ابن خلاب، وكان الأئمة عند ظهور فتنة القول بخلق القرآن لا يفرقون، ويعرفون أن فتنة القول بخلق القرآن، كانت لشبهات من أعطوها: شبهة أن المسموع والمقروء منفصل عن الذات؛ فلا يكون منها؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل في «عقيدته» التي رواها عنه قاضي قرطبة أسلم بن عبد العزيز أبو الجهم: «أشهد أن الله تبارك وتعالى يقول، وقوله الحق، خلقه خلق، وقوله بائن من خلقه» ﴿بِكَمْ مَثَلِ هَيْسَ جَدِّ أَفَرَكْتَلِ مَا دَمَ عِلْمُكَ مِنْ لَدُنْ فَكَ لَمْ تَلِ قَبْلُكَ﴾ (ال عمران: ٦٥٩) بقوله: ﴿لَنْ﴾ ليس بمخلوق^(١).

فانظر كيف ذكر أحمد بن حنبل كلام الله من خلقه، ويريد بذلك:
المسموع والمقروء وبقية جهاته؛ لأن الكلام النفسي لا حاجة للقول
ببنيته من خلقه.

وهذا الكلام من أحمد مما انفرد به المتأخرون عنه؛ ذكره الحفني
في «أخبار الفقهاء والمحققين»^(١)، مستنفاً.

وعلى هذا جرى تقرير أثره الشك في القيزان وما وراءها، ومنهم:
ابن أبي زيد؛ كما قال ابن أبي زيد: «يجب أن يُعتقد أن الله تعالى أسمع
موسى عليه السلام القائم بذاته، لا كلاماً قائم بغيره»؛ نقله عنه القرطبي في
«الذخيرة»^(٢)، ونحوه قاله هو في «الجامع»^(٣).

وقد قال ابن الحنبل: «كل من زعم أن موسى سَمِعَ الكلام من
الشجرة على الحقيقة، فقد كفر؛ لأنه يعني: أن الله تعالى لم يكلم
موسى، ولم يفضل به كلامه»^(٤)، وقوله هنا: «من الشجرة على الحقيقة»؛
يعني: أنه يقصد الكلام المسموع؛ فالله تكلم به، وأسمعه موسى حقيقة،
ولم يخلفه في الشجرة، أو أمرها فتكلمت به حقيقة.

ويخطئ طوائف من المتكلمين؛ حيث يظنون أن خلاف السلف مع
أهل البدع، إنما هو في الكلام النفسي وحده، ويظنون أنهم بعيدون عن
النزاع بإنانيهم له، وقولهم بأن كلام الله المسموع والمقروء والمحمول
مخلوق، ويسمونه كلام الله مجازاً؛ كما يقول بعض أهل الكلام؛
كالأشاعرة.

(١) «أخبار الفقهاء والمحققين» (ص ١٦).

(٢) «الذخيرة» (١٣/ ٢٣٥).

(٣) «الجامع» (ص ١٠٧).

(٤) «مباحث النفوس» (٢/ ٧٢).

الْحَرْفُ وَالصَّوْتُ:

ومن هنا نشأ الكلام على مسألة «الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ»، وأن الله تكلم بكلام حرفاً وصوتاً؛ لأنَّ الكلام في اللغة في الأصل لا يُطلق إلا على ما كان بحرفٍ وصوت، وأما غيره، فيحتاج إلى تقييد، كأن يقال: «كلام مكتوب»، و«كلام في النفس»، والله أثبت الصوت لتفسيده بقوله: ﴿وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِكُوفٍ مُنَوَّعٍ ۚ إِنَّ كَذِبَهُ رُفِيعٌ﴾ [البرقعات: ١٥ - ١٦]، والنساء لا يكون إلا بصوت، ويقول النبي ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَافٍ)^(١)، وقال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ^(٢))، ويقول كما في «الصحيح»: (يَتَلَوَّى بِصَوْتٍ: إِذْ لَمْ يَتْرُكْ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ فَرْثِكَ نَفْثًا إِلَى الثَّانِي)^(٣)، وفي السنن أن المنادي هو الله^(٤).

وقد سَمَّى الله المسموع كلاماً ووَحْيَةً: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ فَنُتِيعَ لِمَا يُؤْتُونَ﴾ [طه: ١١٣]، وقال: ﴿عَنْ يَسْتَسْمِعُ كَلِمَةً لِقَوْلِهِ﴾ [التوبة: ٤٦]، ولا يكون السمع في لغة العرب إلا بصوت.

وهذا ما يفرِّقه السلفُ صحابةً وتابعين، وتابعهم والتابعهم؛ قال ابن مسعود: (إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ)^(٥)، وهذا ما يَكْتِبُهُ الأئمةُ كأحمدَ والبخاري، وصُفِّ فيه اثنتانِ مصنفات: كابن مَنَظَرٍ، وأبي نُصَيْرٍ السَّجَزِيِّ، والنووي، وكان الأئمةُ يشهدون على المخالفين في

(١) البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر.

(٢) الترمذي (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود.

(٣) البخاري (٢٧١١ و ٢٧٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٤) الترمذي (٣١٦٩).

(٥) «السُّنَنُ لِمَعْدِ اللَّهِ» (٥٣٦)، والإمامة لابن بطة (١٦/الرد على الجهمية)، وعلمه

البخاري (١٤١/٩) ينفرد.

ذلك، وتحكي إجماع الخلق والمفاهيم على إثبات الصوت والحرف، وأن القول بنفي لا يعرف قبل ابن خلاب والقلائسي، والصالح والاشعري، إلا ما كان من الجهمية والمعتزلة من نفيهم لكلام الله كله.

قال أحمد بن حنبل: «إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ»؛ فكان يُجَلُّ الحكاية، ويُضِلُّ القائل بذلك؛ كما نقله عنه عبد الواحد بن الحارث التميمي في «اعتقاد أحمد»^(١)، وقد نصَّ على ذلك البخاري في كتابه «تخلي أفعال العباد»^(٢)، فقال: «صَوْتُ اللَّهِ لَا يُشَبَّهِ صَوْتُ الْخَلْقِ»؛ لأنَّ صوت الله يُسَمَّعُ مِنْ بَعْدٍ، كما يُسَمَّعُ مِنْ قُرْبٍ.

ولا يَمْنَعُ صوت الله حواجز، ولا يحتاج في إيلائه إلى هواء، وإنما يُسَمِعُهُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَحْجِزُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ.

وكان أحمد يُجَنِّلُ نفي الصوت والحرف هو قول الجهمية؛ لأنه يؤدي إلى أصلي واحد، وهو التعطيل^(٣).

وقد نقل عبد الله، عن أبيه أحمد بن حنبل: «أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، فَقَالَ أَبِي: بَلْ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرَوَّى كَمَا جَاءَتْ»^(٤)، ونقل عنه عبد الله والمروزي وصفاً من نفي الصوت بالجهمية^(٥).

❦ من حجب نفاذ الصوت والحرف لله:

وأعظم ما جعل طوائف المتكلمين يقولون بنفي الصوت والحرف: أنهم أضلوا قواعد كلامية تجري على المخلوقات؛ فأرادوا إجراؤها على

(١) «اعتقاد أحمد» (ص ٣٣ و ٣٤).

(٢) «تخلي أفعال العباد» (٢/ ٢٤٠).

(٣) «الشيعة لعبد الله» (٥٣٤).

(٤) «الشيعة لعبد الله» (٥٣٤)، وشرح العقيدة الاصطبلانية (ص ٦٨).

(٥) «الشيعة لعبد الله» (٥٣٤).

الخالقي وصفاته؛ فعملوا صفات الخالق، وأظهر حُججهم في هذا الباب هي:
 الأولى: أن الحروف والأصوات متعاقبة، وأن الكلمة لا تكون كلمة
 إلا وحروفها متواليّة، وهذا التعاقب يعني حدوثها، والله منزّه عن
 الحوادث؛ وهذا يُفَرِّقُون فيه، فيتنصرون التعاقب في صفّة الاستواء
 والنزول، والقبض والبسط، فيظنون تلك؛ لأنها حوادث، والله منزّه عنها،
 ولو اطرّدوا، لقروا تعاقب السمع والبصر؛ لأنه على أصلهم فالنظر يقتضي
 سماع الله للكلام خلقه متواليّا، فقول العبد: «يا ربّ» يلزم منه أن السمع
 يسبق الباء قبل الألف والراء والياء؛ وهذا حدوث في السمع، كما هو
 حدوث في المسموع؛ وسبق الله منزّه عن الحوادث، ومثله البصر؛ فصلا
 العبد ركعتين؛ يُبصر الله ببصره تكبيرة الإحرام قبل التسليمتين؛ وهذا
 حدوث في البصر، كما هو حدوث في البصر؛ والله منزّه عن الحوادث.

ويلزم من هذا التاصيل: فنّ السمع والبصر، وجعل السمع والبصر
 هو العلم فقط؛ ولكن الله يعلم بالفعل قبل حدوثه، وبراء عند حدوثه،
 ويعلم بدعاء العبد له قبل حدوثه، ويسمعه عند حدوثه.

وذلك التاصيل الغايذ يرجع إلى أنهم اتخذوا قواعد تجري على
 حوادث المخلوقين؛ فعملوها تجري على الله وصفاته، والله يفعل ما
 يشاء، كيفما شاء، متى شاء، وبين ذلك ثلاثة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، فعلى الله الكلام
 بالمشيئة، وقال: ﴿إِنَّا﴾ الدالة على المستقبل.

الثانية: أن إثبات الحرف والصوت يلزم منه إثبات الخلق واللسان،
 والحاجة للهواء؛ وهذا غير التشبيه الذي يستقر في نفوسهم؛ والحق أنه
 لا يلزم من إثبات الصوت والحرف حقيقة إثبات تلك اللوازم، فالله أثبت

للمخلوقات الكلام والنطق والإسماع بلا حاجة لذلك، وهي جمادات؛ كما قال تعالى من السموات والأرض: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَالِغٌ عَلَيْكُمْ﴾ [نصت: ٢١]، وقال من الجبال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ كَلِمَتِهِ الْجِبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالْكُوفُ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال من الجوارح إنها تقول: ﴿أَلَمْ تَكُنْ لَكَ الْوَهْدُ أَلَمْ تَكُنْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [نصت: ٢١] وهذا في مخلوق؛ فكيف بخالق ليس كمثله شيء؟ ١٢

ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّأْصِيلَ يَنْسَجِبُ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ كَالْبَصَرِ؛ فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْبَصَرَ بِحَتَّاجٍ إِلَى خَلْقِهِ وَأَوْرَ؛ كَمَا بِحَتَّاجٍ الْكَلَامُ لِخَلْقِهِ وَمَوْرَ؟ ١٣

وهؤلاء يتوهمون أنهم إِنْ تَقَوَّا الصَّوْتَ وَالْحَرْفَ، وَاتَّبَعُوا الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ؛ أَنَّهُمْ يُبْقُونَ صِفَةَ الْكَلَامِ لِلَّهِ، وَكَمَا قَالَ أَحْمَدُ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ: «قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا، فَعَبَّرَ عَنِ اللَّهِ، وَخَلَقَ صَوْتًا، فَاسْمَعُ»^(١).

وكلام متقدمي المالكية يجري مجرى السلف؛ فكلامهم جارٍ في إثبات أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كُلَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَدْ سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوَيْدٍ عَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ: «أَرَأَيْتَ كُلُّ مَخْلُوقٍ: هَلْ يَذَلُّ لِمَخَالِيْقِهِ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ! ثُمَّ قَالَ ابْنُ سُوَيْدٍ: إِنَّ قَالَ: كُلُّ مَخْلُوقٍ يَذَلُّ لِمَخَالِيْقِهِ، فَقَدْ كَفَرَا؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْقُرْآنَ ذَلِيلًا عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي يَرَى الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَرَأَيْتُ لِكَلِمَةٍ عِزًّا ۖ إِذْ رَأَيْتُ الْقِبْلَ مِنْ يَمِينِ يَدِهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ يُزِيلُ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيرٌ﴾ [نصت: ٤١ - ٤٢]، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَذَلُّ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ»^(٢).

(١) الرد على الجهمية (ص ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) إرشاد المفكر (١/ ٤١٨ - ٤١٩).

وكلامه هذا كله لا يجري على الكلام النفسي فحسب، لأنه استدلَّ
بالكلام المكتوب المنزَّل، كما في الآية: ﴿ثُمَّ لَكُمْ أَنْتُمْ﴾، ﴿تَبَرُّوا﴾،
والمكتوب والمنزَّل على قولهم، ليس هو الكلام المعنوي القائم بالنفس.
وهكذا في كلام أبي عمرو الداني في «منظومته»:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُقْصَلُ بِأَنَّهُ تَمْلَأُهُ السُّنُورُ
عَلَى وَشْوِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقِ
مَنْ قَالَ يَوْمَئِذٍ مَخْلُوقٌ أَوْ مُخَلِّدٌ فَقَوْلُهُ مُرَوِّقٌ
وَالْوَلَفُ يَوْمَ بَذْعَةٍ سَحِيلَةٍ وَيَمْلُ ذَلِكَ اللَّفْظُ جَنْدَ الْجِلَّةِ^(١)

وكلامه: في الكلام المنزَّل أنه غير مخلوق، بل بدع القائل بالوقوف
فيه.

وكلام الله الذي كلمه لجهنم ولنبينا ﷺ، هو ما نُسَّعة ونقرؤه،
وهو غير مخلوق، ولو كانت أصوات المخلوقين وأقوالهم والسُّنَّهم
مخلوقة، كما هم مخلوقون.

وقد كان الأئمة يُكثِّرون القول بخلق القرآن لِمَلِكُ كَوْنِهِ مَسْمُوعًا فِي
الْأَرْضِ، وَمِنْزَلًا إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ أَشَدُّ بْنُ الْفَرَاتِ، وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ مَالِكٍ:
فَوَيْحَ أَهْلِ الْبَدْعِ، هَلَكْتَ قَوَالِكُمْ، يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ تَمْلَأَنَا، يَقُولُ
ذَلِكَ الْكَلَامُ الْمَخْلُوقُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُتَكَبَّرُ﴾^(٢)، ١٩٤: ١٩٥.

وأهل اللسان العربي يَحْكُمُونَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِكَلَامِ اللَّهِ غَيْرَ الْمَخْلُوقِ:
هو المنزَّل والمقروء والمسموع، ولهذا ذكَّرَ غير واحدٍ منهم، كاتب
عَبِيدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَامٍ: «أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ حَلَفَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ، فَفَرَأَ

(١) «الأجزاء المنبهة» (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) «طبقات علماء الرافضة» (ص ٨٢).

القرآن، لم يَحْتِ؛ لأن القرآن كلام الله^(١).

ومن الجهل بالتفريغ: التفريق بين كلام الله لفظاً ومعناً، وزعم أن هذا مخلوق، وهذا غير مخلوق؛ كما قال ابن الأعرابي اللغوي: «ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق»^(٢).

❦ الواقعة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم:

ولا يجوز الوقوف في مسألة القرآن بزعم التوسط والإسكان عن قول: مخلوق، ولا غير مخلوق؛ لأن هذا شك في صفات الله، والواقفون في مسألة كلام الله يُسمَّون: واقفة؛ لأنهم لا قاموا بالحق، ولا ناموا عن الباطل، وقد قال أحمد عمن يقول بقول الواقعة: «لا يكون من أهل السنة، ولا كرامة»^(٣)، وكان عبد الله بن محمد الضعيف يقول: «فَعُدَّ الخوارج أحيث الخوارج، وفَعُدَّ الجهمية هم الواقعة»^(٤).

وسبب تشديد الأئمة على الواقعة: أن ظاهر الحال أنهم أهون من الخلق؛ لأن القول بالوقف يُغري ضعفاء أهل الحق به؛ توهماً للسلامة والتوسط، فهو يُخرج أهل الحق إلى الباطل، ويُخرج أهل الباطل إلى باطل آخر؛ ولهذا يقول إسحاق بن راهويه: الواقعة شرٌ عندي ممن يقول: القرآن مخلوق؛ لأنه يقتدي به غيره^(٥).

(١) الشُّكُّ للخلال (١٨٥١ و ١٨٥٢).

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٦٢٣)، ومجمع الأبيات (٦/٢٥٣٣).

(٣) مسائل حربة (١٨٠٤).

(٤) مسائل أحمد؛ رواية أبي داود (١٧٤٩).

(٥) مسائل حربة (١٨٠١)؛ راجع للخلال في الشُّكِّ (١٨٠١).

﴿ مِنْ أَدَلَّةِ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ ﴾

هذا : ويستدلُّ الجَتهِيُّ والمعتزلةُ على خَلْقِ القرآنِ بعموماتِ القرآنِ وإطلاقاتِهِ :

- وذلك : كإدخالِ القرآنِ في عمومِ خَلْقِ الله لكلِّ شيءٍ في قوله : ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الرَّحْمَدُ : ١٦ ، الزُّمَرُ : ١٦٢] لأنَّهم يَرَوْنَ كلامَ الله شيئاً غيرَ الله ، فَيُدْخِلُونَهُ في غيره .

لكنَّ كلامَهُ منه ، ثُمَّ إِنَّهُ قد جاءَ في القرآنِ والحديثِ : أَنَّ اللهَ شيءٌ : كقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ مِنْهُ آيَةً كَبِيرَةً قَالَ اللَّهُ ﴾ [النَّامُ : ١٥١٩] فهل يجوزُ أَنْ يقالَ : إِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ نَفْسَهُ ؟ ومثلهُ : القرآنُ ، فيسَمَّى شيئاً كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ قَالَ الْيَاسِرَ إِنَّكَ وَكَم يُخْرِجُ إِلَهُهُ خُفً ﴾ [النَّامُ : ١٥١٣] وفي حديثِ سُهيلٍ : قَالَ ﷺ : (أَتَمَّكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ) (١) ، فإذا لم يَدْخُلِ اللهُ في الشيءِ المخلوقِ ، فكذلكَ كلامُهُ : لأنَّهُ منه .

وكذلك : فَإِنَّ العمومَ يُطْلَقُ في القرآنِ ، وله ما يَخْصُصُهُ مِنَ الْجِسْمِ وغيرِهِ : كقوله تعالى ص ١٠١١ ﴿ قُلْ هُوَ عَزَّ ﴾ [الْأَحْقَافُ : ٢٥] ، وقوله تعالى ص ١٠١١ ﴿ وَأَنزَلْنَاهُ مِنْ سَكَنٍ مَنَظَرٍ ﴾ [النَّحْلُ : ١٢٣] وهنا لا يُمكنُ القولُ بعمومه .

- ومن الأَخْلَى بالعموماتِ عندَ الجَتهِيِّ والمعتزلةِ : استدلالُهم على خَلْقِ القرآنِ بقوله تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الْبَقَرَةُ : ٥٩ ، الشُّعَرَاءُ : ١٤] لأنَّ القرآنَ موجودٌ بينهما .

ولو قيلَ بالعمومِ ، لَنَزِمَ القولُ بأنَّ ما كانَ فوقَ السمواتِ غيرَ

(١) البخاري (٥١٣٢) و٥١٣٥ و٥١٤٩ و٧١١٧ ، ومسلم (١٤٢٥) ، والنظَرُ للبخاري .

مخلوق؛ لأن الآية جعلت خلق الله هو السموات والأرض وما بينهما، ومعلوم أنه فوق السموات أشياء مخلوقة، فإذا جاز أن يكون فوق السموات شيء مخلوق، فيجوز كذلك أن يكون بينهما شيء غير مخلوق.

ثم إن الله فرق بين كلاميه، وهو (أمره)، وبين خلق السموات والأرض وما بينهما؛ في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَنْزِلُ الْأَمْزُ بِقَرَرٍ﴾ [الطلاق: ١٢]؛ فوضعت الأمر بالتنزيل، والسموات والأرض بالخلق، وأمر الله: كلامه وقوله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٤٢].

- وكذلك: فإن استدلالهم بمجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة على كونهما مخلوقتين - كما في الحديث^(١) - لا يؤم للقول بذلك على الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَيَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وكلامه منه تعالى.

- وقوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَاتِدٌ﴾ [الأنبياء: ٢]، يراه به: تحدث من الغرض؛ لأنه أخبر ما نزل من الكتب من الغرض؛ كما قاله إسحاق بن راهويه^(٢).

والنزول قد يتكرر، فيسمى آخرها: أخفئها؛ فائدة تعالى ينزل كل ليلة نزولاً يبين به وحده، ونزوله الليلة أحدث من نزوله ليلة أمس.

وقد وصفت الله بعض كلاميه بالسبق بقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَاتُكَ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُفًّا﴾ [البقرة: ٢٥]، وقيل: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَاتُكَ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُفًّا﴾ [الأنبياء: ٢١]. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَاتُكَ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُفًّا﴾ [الأنبياء: ٢١].

(١) مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة. (٢) مسائل حرمية (١٨٠٥).

ويقابلُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿بِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٩].
 راجع عمران: [٦١] فهنا حدوث النجوى لكلام الله وهو جلُّهُ، وهكذا يكون
 في الصفات العقلية: بين الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والقبض
 والبسط، ثُمَّ إِنَّ غَضَبَ الله على فِرْعَوْنَ سابقٌ لِقَبْضِهِ على أبي لهب.

وكلمة: ﴿تَحْكُمُ﴾ [الأنبياء: ٢، والشورى: ٥] في الآية: لا يرادُّ بها
 المعنى الاصطلاحيُّ عند المتكلمين الذي أضلوه على المخلوقات؛ فنزلوه
 على الخالق، فغلَّب هذا المعنى لِقَبْضِهِمْ؛ ولهذا كان بعضُ السلف ينهى
 عن وصف القرآن بـ: «مُحْكَمٌ» كَقَبِيصَةٍ؛ فقد كان يقول: «مَنْ قال:
 «مُحْكَمٌ»، فهو يقول: إِنَّهُ مخلوقٌ، وَمَنْ قال: إِنَّهُ مخلوقٌ، فهو كافرٌ
 بالله»^(١).

ومهما كان القرآن على جهوٍّ أو تصريفٍ - مسموعٍ أو مكتوبٍ، أو
 مقروءٍ أو محفوظٍ أو متبَيَّنٍّ - فهو كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ومن الله،
 وربما يتهيَّب الإنسان لأجلِ خيالِ المماثلةِ والتشبيهِ من قولِ ذلك،
 فيسبِّحُ الكلامَ بما ورَّده بالنصِّ؛ ولهذا كان أحمدٌ يقولُ لبعضِ
 أصحابه: «لَا تُجَزِّعْ أَنْ تقولَ: ذلك كلامُ الله ومن الله، ومن
 قاتِ الله»^(٢).

وفي خبرِ ابنِ عباسٍ: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ)^(٣): دليلٌ على أنَّ
 كلَّامَهُ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ الله لم يَخْلُ من الكلامِ والعلم؛ فلا يقال: إِنَّ الله
 لم يَتَكَلَّمْ إلا بعدَ خَلْقِ الْقَلَمِ، ولكنَّ كلَّامَهُ غيرُ مخلوقٍ، وهو من
 ذاتِ الله؛ ولهذا لا يُذَكَّرُ في مخلوقاته.

(١) «السُّنَّةُ لِلْعَلَّامِ» (١٩٤٦).

(٢) «السُّنَّةُ لِلْعَلَّامِ» (١٩٤٤).

(٣) ابن أبي شيبة (٢٣/٢٧ و ٢٧/٢٧).

❦ صفة التجلي هو تعالى:

❦ قال ابن عربي: ﴿وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكَّا مِنْ جَلَالِهِ﴾:

تجلي الله للجبل: حقيقة تلويق به، لا كتجلي المخلوقين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَلْوَهُ لِيَكُنِيَ جُجْجًا دَكَّا﴾ (الاعراب: ١٤٢)، والتجلي: صفة فعلية خبرية، وهي بمعنى الظهور والبيان^(١)، ومقتضى اللسان العربي: عخله على ذلك؛ فالقرآن نزل به، وقد جاء إثبات التجلي على الحقيقة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في «المسند»^(٢).

وعلى هذا المعنى من الإثبات يجري السلف وأهل الشئ؛ فلا يتأولون ما ورد على معنى يتكلفونه ليخرجوا به عن المعنى المتوهم الذي يحلزون.

وقد قال ابن عبد البر: «وقول رسول الله ﷺ: ﴿يُنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الْاُولَى﴾، عندهم مثل قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَلْوَهُ لِيَكُنِيَ جُجْجًا دَكَّا﴾ (الاعراب: ١٤٢)، ومثل قوله: ﴿وَبَكَرَ رَبُّكَ وَاللَّيْلُ سَمًا﴾ (الفجر: ٢٢)؛ كلهم يقول: ينزل ويتجلي ويحي، بلا كيف، لا يقولون: كيف يحي؟ وكيف يتجلي؟ وكيف ينزل؟ ولا: من أين جاء؟ ولا: من أين تجلي؟ ولا: من أين ينزل؟ لأنه ليس شيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء، ولا شيء له.

وفي قول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى تَلْوَهُ لِيَكُنِيَ جُجْجًا دَكَّا﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليا للجبل، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل.

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٧٧).

(٢) أسد (٢/ ١٢٥ و ٢٠٩ رقم ١٢٢٦٠ و ١٢١٧٨).

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَقَابِلِ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى
رُؤُوسَهُ، لَجَّ بِكَ﴾ [الامراء: ١٤٣]؛ فَلْيَنْظُرْ فِي تَفْسِيرِ يَقِفُ بِنِ مَحَلِّهِ، وَمَحَلِّهِ مِنْ
جَرِيرٍ، وَلَقِفْتَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ ذَلِكَ، فَهِيَمَا ذَكَرْنَا مِنْ كِتَابَيْهِ^(١).

❦ صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى:

وَيُثَبِّتُ النُّزُولُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِلَا تَأْوِيلَ
وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَكْيِيفَ وَلَا تَعْطِيلَ، وَمَنْ يَتَأَوَّلُ النُّزُولَ أَوْ يَعْطِلُهُ يَسْتَحْضِرُ
أَحْوَالًا تُشَابِهُ الْمَخْلُوقَ، وَالْحَرَكَةَ وَالْإِنْتِقَالَ لَمْ يَرِدْ بِهَا النَّصُّ، فَتَرْكُ،
وَلَا تُثَبِّتُ وَلَا تُنْفَى؛ وَلَوْ كُنَّا عَلَى النَّصِّ؛ كَمَا كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَأْتُرُ
بِذَلِكَ، يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: «كُنْتُ أَنَا وَأَبِي فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ
قَاسِمًا يَقْرَأُ فِي حَدِيثِ التَّزْوِيلِ؛ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،
يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلَا زَوَالٍ، وَلَا انْتِقَالَ، وَلَا تَغْيِيرَ حَالٍ»؛ طَارَتْهُ
أَبِي وَاصْتَرَّ لُؤْلُؤُهُ، وَلَزِمَ يَدِي، فَأَمْسَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: قِفْتَ بِنَا عَلَى
هَذَا الْمُنْخَرِصِي، فَلَمَّا حَافَا، قَالَ: يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رُؤُوسِكَ
مِنْكَ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْصَرَفَ^(٢).

وَمِنْ الْأَثْمَةِ: مَنْ يُثَبِّتُ ذَلِكَ؛ كَحَرْبِ الْبُخْرَمَانِيِّ^(٣)، وَعُثْمَانَ
الْبَارِمِيِّ^(٤).

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَنْفِيهِ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ^(٥)، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَمِّي بْنِ
أَبِي طَالِبٍ فِي كِتَابِ «الْهَدَايَةِ»، إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ^(٦)، وَمِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٧).

(١) «التَّهْذِيبُ» (١٥٣/٧).

(٢) «مَسَائِلُ حَرْبٍ» (٢٦/١٥٦٠).

(٣) «الْقَضَى» (١/٢١٥) وَ (٣٥٩ - ٣٥٦).

(٤) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى» (٤٠٢/٥).

(٥) «الْهَدَايَةُ» (١/٢٠٩) وَ (٦٩٠)، وَ (١٣/٧٦٧ - ٧٦٨).

(٦) «التَّهْذِيبُ» (٧/١٣١ - ١٣٧).

وطائفة ثالثة: تُثَبِّتُ الْمَعْنَى، وَتَتَوَقَّفُ عَنِ اللَّفْظِ؛ لَعَلَّهَا وَرَوْدُهُ^(١).

وَالْإِسَاءَةُ مِنَ الزِّيَادَةِ عَلَى النَّصِّ أَحْوَجُ؛ كَمَا فَقَلَهُ أَحْمَدُ؛ وَهَذَا لَا يُنَافِي الْحَقِيقَةَ بِإِثْبَاتِ النَّزُولِ وَالتَّجَلِّيِ لَهُ حَقِيقَةً؛ بَلَا تَأْوِيلٍ وَلَا تَشْبِيهِ وَلَا تَكْيِيفٍ.

وَالزِّيَادَةُ عَلَى النَّصِّ قَدْ تَدْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى تَأْوِيلِ صِفَاتٍ أُخْرَى مِنْ حَقِيقَتِهَا أَوْ الْقَوْلِ بِمَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ النَّصُّ؛ كِمَسْأَلَةِ خَلْقِ الْمَكَانِ عِنْدَ النَّزُولِ؛ فَلَمَّا سُبِّحَ ابْنُ الْمُبَارَكِ؛ فَقِيلَ لَهُ: «كَيْفَ يَنْزِلُ اللَّهُ؟» أَلَيْسَ يَخْلُقُ ذَلِكَ الْمَكَانَ؟ فَقَالَ: يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ^(٢)؛ فَلَمْ تَدْفَعْ ابْنَ الْمُبَارَكِ زِيَادَةَ السَّائِلِ عَلَى النَّصِّ إِلَى تَأْوِيلِ الصِّفَةِ، بَلْ أَتْبَعَهَا، وَأَرْجَعَ السَّائِلَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، بِمَا تَضَمَّنَ تَحْقِيقَةُ السَّائِلِ.

وَمَنْ أَتَيْتَ صِفَةَ الْإِسْتَوَاءِ وَالتَّنَزُّلِ عَلَى حَقِيقَةٍ ثَلَاثِيٍّ بِاللَّهِ لَا كَمَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ، لَا يُبَدِّعُ لِنَفْسِ الْحَرَكَةِ وَالْإِنْتِقَالِ، وَإِنْ كَانَتْ السُّئَالَةُ الْوَقُوفَ عَلَى النَّصِّ؛ وَقَدْ سَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ إِسْحَاقَ مَسْتَكْبِرًا عَنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا: يَصْعَدُ، وَيَنْزِلُ؟ فَقَالَ إِسْحَاقُ: «تَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ وَيَصْعَدَ وَلَا يَخْرُجُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَلَمْ تُكْرَرْ^(٣)؟

وَالْمُتَكَلِّمُونَ يَتَأَوَّلُونَ النَّزُولَ وَالْمَجِيءَ وَغَيْرَهُمَا لِاسْتِحْضَارِ مَا لَا يَرَوْنَ صِحَّةً لِنَفْسِهِ لِلخَالِقِ، وَلَوْ سَلِمُوا مِنْ هَذَا الْاسْتِحْضَارِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْقِيَاسِ لَصَحَّ لَهُمُ الْإِحْتِقَادُ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُظَاهِرُونَ التَّأْوِيلَ وَيَكْتُمُونَ التَّوَهُّمَاتِ، وَهِيَ أَصْلُ مَا ظَهَرَ مِنْ تَأْوِيلِهِمْ، وَكَانَ الْأَنَمَةُ يُحِبُّونَ التَّنَزُّلَ حَقِيقَةً وَيُظَاهِرُونَ عَلَى بُعْدَانِ تَأْوِيلِهِمْ لَهُ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ فِي

(١) المعْرِفَةُ السَّلَاقَةُ لِلصَّابِقِ (ص ٥١).

(٢) الْمَوْضِعُ السَّابِقُ.

(٣) فَتَرْجُحُ أَمُولِ الْإِحْتِقَادِ (٧٧٤)، وَطِلَالُ التَّأْوِيلَاتِ (٢٢٢).

أصول الدين - لَمَّا اثْبَتَ النزول حقيقةً :- لا بمعنى نزول رحمته ونوابه على ما اذهبت المعتزلة والأشعرية^(١).

﴿القرآن كلام الله غير مخلوق﴾:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ قَبِيضٌ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ يَبْتَدَأُ»﴾:

أراد ابن أبي زَيْدٍ أَنْ العرفاء بكلام الله: هو ما بين أيدينا من المسموع والمخلوق، والمكتوب والمحفوظ، وليس قَصْرُهُ على ما في النَّفْسِ، فَإِنَّ هَذَا الْقَصْرَ لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ فِي كَلَامِ السَّلَفِ، وَكَلَامُهُ هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ كَلَامِ مَالِكٍ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ فِي «الجامع»: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَبِيدُ وَلَا يَبْتَدَأُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»^(٢).

لأنَّ الله باقٍ، فيبقى كلامه، وليس بمخلوقٍ، حتى يخلق كلامه، وحكم الصفوة حكم الذات، ومن قال بخلق الصفوة، فليزعمه القول بخلق الذات؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وَالسَّلَفُ يَعْلَمُونَ: أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْخَارِجُ مِنْهُ الْمَسْمُوعُ وَالْمَقْرُوءُ، وَالْمَكْتُوبُ وَالْمَحْفُوظُ، وَلَيْسَ الْكَلَامُ النَّفْسِيُّ فِي الذَّاتِ؛ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ الْمُشْكِلِينَ^(٣)، وَلِهَذَا نَقَلَ عَشْرُونَ بَيِّنَةً مَا أَفْرَكَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ؛ وَهُوَ: «أَنَّ اللَّهَ الْخَالِقُ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ؛ إِلَّا الْقُرْآنُ؛ فَإِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ غَرَجٌ، وَإِلَيْهِ يَهْوَى»^(٤)، وَنَحْوُ هَذَا قَالِ ابْنُ عُثَيْمٍ: «الْقُرْآنُ

(١) «أصول الدين» (ص ١٢١).

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣).

(٣) «الإحصاء للباقلاني» (ص ١٠١، ١٠٢)، و«غاية المرام للأمدى» (ص ٨٨).

(٤) «الرد على الجهمية» للشافعي (٣١٤)، و«مسائل حرب» (١٨٢١).

خَرَجَ مِنَ الْإِيمَانِ^(١)، وَيَتَحَوَّى قَالَ أَحْمَدُ^(٢)، وَكَوْنُهُ مَسْمُوعًا وَمَقْرُوعًا لَا يَعْنِي: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ بَائِنٌ عَنْهُ؛ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ^(٣): «كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بَائِنٌ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ».

وَيَقُولُ بَشَرٌ بِنِ الْحَارِثِ الْحَافِي: «نَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ قَوْلٌ، وَخَلْقُهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقُهُ بَائِنٌ مِنْ قَوْلِهِ»^(٤).

وَقَوْلُهُمْ هَذَا دَقِيقًا لِتَوْحِيدِهِ أَنَّ الْمَسْمُوعَ وَالْمَقْرُوعَ وَالْمَكْتُوبَ يَجْعَلُهُ سَمْعُهُ وَقِرَآءَتُهُ وَكِتَابَتُهُ مَخْلُوقًا؛ بَلْ هُوَ مَبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ، وَهَذَا لَا يَفَالُ لِمَا قَامَ بِذَاتِ اللَّهِ؛ كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَوَحَّمُ بَيِّنُونُهُ.

الإيمان بالقدر:

قَالَ أَكْبَرُ النَّبِيِّينَ: ﴿وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، خُلُوعٌ وَشُرٌّ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ زَيْنًا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ﴾:

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَاجِبٌ؛ تَحْتَمِلُ عِلْمُ اللَّهِ، فَكَمُلَ تَقْدِيرُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةٌ قَبِيْرٌ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ لَخَالِقَةٌ﴾ [المر: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وَعِنْدَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنَ بِكَلِمَاتِهِ وَتُؤْمِنَ بِرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْأَحْكَامِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ)^(٥)، وَقَالَ ﷺ: (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى التَّمَجُّزِ وَالْكَفْسِ)^(٦).

(١) «الشيعة للخلال (١٩١٣)». (٢) «الشيعة للخلال (١٨٥٩)».

(٣) «شرح أصول الاعتقاد (٣١٧)».

(٤) «المرشدة (٢١٦)»، و«العلو (٤٦٥)»، و«الأربعين في صفات رب العالمين» (١٦).

(٥) مسلم (٨) من حديث عمر. (٦) مسلم (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر.

ولا يَخْلُفُ السلفَ أهلُ السُنَّةِ في ذلك؛ كما قاله ابنُ عبد البرِّ، وغيره^(١)، وقد كان ابنُ عباسٍ يسمي القدرَ: «نظام التوحيد»^(٢).

وفطرهُ الإنسانَ قاطعةً بالإيمانِ بالقدرِ؛ لأنَّ من كمالِهِ الخالقِ كمالُ جَلِيهِ، ومن كُنِيَ علَمُهُ، كُنِيَ تَقْدِيرُهُ وتَدْبِيرُهُ لِمَا خَلَقَ، وقد كانت العربُ حتى في الجاهليَّةِ تؤمنُ بالقدرِ، ولا تَكْتَلِبُهُ، وقد قال عَمْرُو بْنُ كَلْتُمٍ:

وَأَنَا سَوِّفُ تُدْرِكُنَا الْمَنَاجِيَا مُسْتَدْرَةً لَنَا وَمُسْتَدْرِيْنَا^(٣)

ويقولُ لَيْدٌ بْنُ رَبِيعَةَ:

..... إِنَّ الْمَنَاجِيَا لَا تَطِيئُ سَهَانَهَا^(٤)

ويقولُ عَتْرَةُ:

يَا عَيْلَ أَبْنِ مِنَ الْمَجِيَّةِ مَهْرِيَّيْ إِنَّ كَانَ رَمِي فِي السَّاءِ قَضَاهَا^(٥)

ويقول هانئُ بْنُ مسعودٍ الشَّيْبَانِيُّ لما عَطَلَتْ فِي الجاهليَّةِ في يومٍ ذي قارٍ: «إِنَّ الْقَدْرَ لَا يُتَّجَى مِنَ الْقَدَرِ»^(٦).

ويروى فيه حديثٌ مرفوعٌ: (لَا يُخْضَى خَلْوٌ مِنْ قَدَرٍ)^(٧)، وهذا نظيرُ ما جاء عن ابنِ عباسٍ: «إِذَا جَاءَ الْقَدْرُ، حَالَ دُونََ الْبَصَرِ»^(٨).

(١) «الاستبصار» ٢١٠/١٨ و ٢١٦/٢٦، وشرح النووي ١٥٥/١ و ١٩٥/١٦ - ١٩٦، وفتح الباري (٤٧٨/١١).

(٢) «القدر» للقرطبي (٢٠٥)، وشرح أصول الاعتقاد (١٢٢٤).

(٣) شرح القصائد المشهورات (١١٧/٢)، وشرح التعليقات السبع للزوزني (ص ٢١٦)، وشرح القصائد المشهورة للتهريزي (ص ٢١٩).

(٤) ديوان ليد (ص ١٧/عار صادر)، (٥) ديوان عترة (ص ٩٢).

(٦) «أحاديث الثقات» (١٦٩/١).

(٧) «الدعاء» للطرطبي (٣٣)، و«المستوفى» للحاكم (٤٩٢/١) من حديث عائشة.

(٨) ابن أبي شيبة (٣٢٥/٣)، والحاكم (٤٠٥/٢).

وكلُّ مَنْ صَحَّ لَهُ الْعَقْلُ، كَتَبَ أَنَّ مَنْ ثَبَّتَ لَهُ كِمَالُ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَثْبُتُ لَهُ كِمَالُ التَّقْدِيرِ، وَهَذَا الْكَوْنُ وَالْخَلْقُ بِنِظَائِهِ وَدَقِّقِهِ وَثَبَاتِهِ، وَتَلَاوُظِ أَسْبَابِهِ بِمُسَبِّبَاتِهِ، أَمَّا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِتِمَامِ عِلْمِهِ، وَاحْتِكَامِ خَلْقِهِ، وَدَقِّقِ تَقْدِيرِهِ.

وقد جعلَ اللهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ مِتْلَافًا مَعَ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ وَتِلْكَ الْأَرْضُ يَبْدُئُهَا يَتَبَوَّأُهَا يُعْلِفُهَا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْلَمَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا كانَ هُوَ كِمَالُ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ، فَلِمَ يُثَبِّتُ لَهُ التَّقْدِيرَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْتَرُّ إِلَّا عَالِمٌ قَادِرٌ، وَمَنْ نَفَى التَّقْدِيرَ، فَيُلْزَمُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ؛ فَالْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْأَعْلَمُ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المعك: ١٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ وَكُورٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ وَالْعَالِمُ وَالْقَادِرُ هُوَ الْمُفَقِّرُ لَهَا أَعْمَالَهَا، وَالْمُدَبِّرُ لَهَا أَرْزَاقَهَا، وَنَظَامُ حَيَاتِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ يَوْمَ الْأَنْتُمْ وَالْأَرْضِينَ﴾ [الطه: ٢].

وقد كانَ طَيْرٌ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَأَحْمَدَ، يَسْتَبْشِرُ الْفَقْرَ: «أَلَذَّةُ الْفَقْرِ»^(١). وَكَانَ مَالُكَ يَشْفُقُ عَلَى مُنْجَرِي الْفَقْرِ، وَيَرَى أَنَّهُمْ يُسْتَبْأَوْنَ؛ فَإِنْ نَابَوْا، وَإِلَّا فَيُلْأَوُا، وَكَانَ لَا يَرَى الصَّلَاةَ خَلَقَتْهُمْ، وَلَا يَرَى تَزْوِجَهُمْ؛ وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رَجُلٌ مِّنْ مُّشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ٢٦١].

تقدير الخير والشر:

وكلُّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ؛ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ:

(١) (الشُّكُّ لِلْعَلَلِ (٩٠٤).

قال **عنه**: (وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرًا وَشَرًّا) ^(١)، ويُروى في حديث جابر؛ قال **عنه**: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرًا وَشَرًّا) ^(٢).

والله لا يفتقر لعباده شرًا محضًا، كما أنه لا يخلق شرًا محضًا ولا راجعًا على الخير ولا مساويًا له، إلا وهو يؤول إلى خير في صميمه، وقد يرى العباد وجهًا من وجوه التقدير، فيرون شرًا محضًا أو غالبًا أو مساويًا، ويغفل عنهم ما لَوْ رَأَوْهُ، لَعَلِمُوا عَظِيمَ خَلْقِ اللَّهِ وتقديره وحكمته.

وقد شرع الله الاستعاذة من الشرِّ النَّسِيِّ الذي يراء العبد من القضاء عليه؛ كما في «الصَّحِيحَيْنِ»؛ قال **عنه**: (تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَفَرِّكِ الشَّقَاءَ، وَسُوءَ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ) ^(٣).

والعقل قبل النقل دالٌّ على أنَّ الخالق لا يخلق شرًا محضًا، بل يُقَرُّ بهذا فلاسفة؛ كَبَارِزُ سِيَّنُودَا؛ كما في «الرسالة الموجزة في الله والإنسان»، وكان من أصل يهودي، فيرى بُتُو الشرِّ في الدنيا؛ لأنَّ إدراك الناس ضعيف محدود؛ لكونه ينظر من ناحية؛ فينقص نظرة للأحداث؛ حيث يتلقى الشرَّ من ناحية التي يرى فحسب.

ومن لم يسلَّم للنقل، لم يستقر له رأي على قديم؛ فالعقول مهما بلغت، تتباين نتائجها في الأمر الواحد:

فَأَقْلَاهُونَ بِرَى الشرِّ من الجهل، ليس من الآلهة وتقديرها، وسُطْرًا يفي القدر كله.

(١) مسلم (٨) من حديث عمر. (٢) الترمذي (٢١١٤).

(٣) البخاري (٦٣٤٧، ٦١١٦)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة.

لا يُنسَبُ الشرُّ إلى الله :

وليس من الأدب مع الله نسبة الشرِّ إليه على سبيل التخصيص ، وقد قال النبي ﷺ : « كما في مسلم » : (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) (١).

ومن أدب إبراهيم الخليل مع ربه : قوله : ﴿وَإِذَا مَرِئْتُ مِنْهُ فَأَتَيْتُهَا﴾ (الشعراء : ٨٠) فنسب المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله، مع أن كل شيء من الله.

وكذلك في قول الخبير لما كان يخرق السفينة، وظاهرة شرًّا قال : ﴿لَمَّا كَثُفَتْهُمَا فَجَاءَتْ شِجَارَكُنَّ فِى الْبَحْرِ مَرْيُتٌ أَن نَّأْتِيَهَا﴾ (الكهف : ١٧٩) فنسب عيبتها إلى نفسه، ولكنه لما ذكر الخير الحاصل للغلامين، نسب إلى الله فقال : ﴿فَلَمَّا دَبَّرَهَا أَبْصَرْنَا أَنَّ إِلَهُنَا قَدْ فَتَنَ الْفِرْعَوْنَ﴾ (الكهف : ٨٢)، مع أنه هو الذي عرق السفينة، وهو الذي أقام الجدار، ولكن الله جعله سببًا، والله لا يفتل شرًّا محضًا، فنسب الخير إلى الله، ونسب الشر الظاهر إلى غيره.

والشبهة التي جعلت قلعاء الفلاسيقة من أرباب الجمل، يتفنون علم الله بخلقهم، هي وجود الشر في الكون، وقد بين مذهبهم وشرحه ابن ميمون القرطبي الفيلسوف اليهودي (٢).

وقد قرَّ بعض الفلاسفة والمتكلمين إلى نفي نسبة تقدير الشر إلى الله، وأراد تنزيه الله، فوقع فيما هو أعظم من ذلك، وهو : أن يجعل في الكون مدبرًا وغالبًا غير الله، وأنه يكون في كونه ما لا يُرى، فيُعضى وهو لا يُرى المصيان قُلتًا، تعالى الله عن ذلك.

(١) مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أدلة الحائرين (١٨/٣ - ٥٢٠).

ولم تكن العرب تعرف إنكار القدر حتى دخلت فيهم العلوم
الفلسفية والكلامية، اليونانية والفارسية والهندية؛ فظهر نفوذ القدر في
العراق والشام قبل غيرها.

وكان أول من أشهر القدر: مَنبَذُ الجَهَنِيِّ، وقد أخذَه من نصراني
يقال له: سَوسَن^(١)، ولم تكن النصارى على قول واحد في القدر:
فمنهم: جبرية؛ كالتشكوريين.

ومنهم: قدرية؛ كالنخعية.

ومنهم: متوسطون؛ كأوغسطين.

ومن كذب بالقدر، قُرْمَةُ زوالِ أشياء عظيمة لا يصح يزوالها إيماناً
فلا يصح من نافي القدر توكل على الله، ولا رجاء، ولا دعاة له،
ولا رضا بما يُنزَلُ من البلاء؛ إذ كيف يُسأل من لا يقدر على العطاء
والاختيار في الكون؟ وكيف يتوكل عليه ويُرجى ويُرضى على تقديره،
وهو لم يقدر؟

الجدال في القدر:

والقدر: من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير ما ورد في
الشرح؛ فلا مجال للمقلد أن يصل إلى غايته ونتيجته التي ينتهي إليها،
والعقل إنما تبعث في مُحْكَمَاتِ الإدراك العقلي، لا في مُحَالَاتِهِ، فيَحْتَمِلُهَا
في محالاتٍ ليس لها؛ فإذ نهى عن الخوض في كل ما لا سبيل
لإدراكه، ولا العلم به؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾
[الاسراء: ٣٦].

(١) القدر: للقرطبي (٣٤٨)، وشرح أصول الاعتقاد (١٣٩٨).

والنهي عن بحث غيب القدر إنما هو المعجز العقلي عن إدراكه، لا لكونه في ذاته لا يُدرَك؛ فاطَّ يَعْلَمُهُ؛ لأنه مَفْتَرُهُ، وقادرٌ سبحانه أن يجعل مَنْ شاء بين خلقه مُدرِكًا له، ولكنه جعل ذلك في بيِّنةٍ بيِّراً يُؤمنُ بها، ولا يُبحث عنه.

ولهذا جاء الوحي بالإيمان بالقدر فقط، وجاء في الأدلَّة ما يقتضي الإمساك، بل وبأمر به؛ فقد كان النبي ﷺ يُسأل عن المعالي والفناء، فيقول: (اسْتَلُوا؛ لِكُلِّ مُبْتَدَأٍ لَنَا خَلْقٌ لَهُ)^(١)، وقد دخل على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فاحترَّ وجهه، وقال: (أَبْهَذَا أُمِرْتُمْ؟) أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَٰذَا مِمَّا كُنَّا قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَٰذَا الْأَمْرِ^(٢)، ويُروى عن ابن مسعود: (إِنَّا دُكِرَ الْقَدَرُ، فَأَنَسِكُوا)^(٣)، وهو كما قال ابن عبد البر: «لا يُدرَكُ بِجَهَالٍ، ولا يَنْفِي مِنْهُ شَيْءٌ»^(٤).

﴿أَفْعَالُ الْعِبَادِ وَخَلْقُهَا﴾

وأفعال العباد مخلوقةٌ كقولهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ١٦]، وأفعالهم شيء، و﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ولكن قَوْلَهُمْ خُلِقَتْ بلا اختيارٍ منهم، وأما أفعالهم، فخلقت باختيارهم، والقرآن مليءٌ بالدلائل على ذلك، وتلك الآيات الدالة على خلق أفعال العباد، هي أثقلُ الآيات على المعتزلة؛ حتى كتب القاضي عبد الجبار كتابين؛ تعسفًا وتكليفًا في تأويلها وتحريفها^(٥).

(١) البخاري (٤٩١٥)، ومسلم (٢٦١٧) من حديث علي.

(٢) الترمذي (٢١٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) الطبراني في «الكبير» (١٩٨/١٠) رقم (١٠٤٤٨) من حديث ابن مسعود مرفوعاً.

(٤) «المهتدة» (١٣٩/٢) و(١٣/٦ - ١٤).

(٥) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص ٣٢٣)، والمغني في أبواب المصلحة (٣/٨).

ولم يكن السلف وأئمة الصلوة الأولي يشككون في خلق أفعال العباد، حتى قيل بنفي القدر، فثبت القول بخلق العباد لأفعالهم، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَائِعٍ وَصَنَعَهُ)^(١)، وقال حذيفة: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَائِعَ الْكَرْمِ وَصَنَعَهُ)^(٢).

وقد نشأ القول بنفي القدر في المشرق، ولم يكن معروفاً في المغرب، حتى انتقلت أقوال المعتزلة إلى المغرب، وكان الأئمة يذكرونه على من أظهره فيهم، وقد كان محمد بن سحنون يقول في رد قول بعض أهل الاعتزال: «الإقرار بغير مخلوق، وما سوى ذلك من الأفعال مخلوقة»^(٣).

وجعل الله للمكلفين شيئاً يختارون بها الخير والشر، ثم يحاسبهم على ما اختاروه، فإذا ارتفع الاختيار منهم، ارتفع التكليف عليهم؛ كالفرق بين القائم والتائم، والعاقلي والمجنون، والعايد والمخول، والذكي والناسي، والعالم والجاهل؛ فهؤلاء قد يتساوى تصرفهم في الظاهر بالنسبة بفعل المحذور، وترك المأمور؛ فيحاسب الأول، ولا يحاسب الثاني؛ لأن الاختيار في الأول وجد، وفي الثاني لمجد؛ فثبت الحساب والعقاب، وجواً وحقاً.

﴿أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النفوس الظلم:

وقد توهمت القدرية - من المعتزلة وغيرهم - أن القول بإلزام القدر يلزم منه القول بقلم الله لعباده؛ فيكون ذلك حجةً للعباد على

(١) «خلق أفعال العباد» (١٢٤)، «والشئ لا ين أبي حنيفة» (٣٥٢ و ٣٥٨) من حديث طيفه مرفوعاً.

(٢) «خلق أفعال العباد» (١٢٥).

(٣) «رياض النفوس» (١/ ١٥٤).

رئهم، فيريدون تنزيه الله عن فعل القبيح من الظلم والتعسف، ففعلوا الفذر بشيء منوهم دخلوا فيه، فشيئوا فلز الله بإكراه المخلوق للمخلوق.

والتشبيه المتوهم: أصل ضلال الفرق في الله، وفي أسمائه وصفاته، قال الله شيئاً ليقدره: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ وَقَدَرْتُهُ﴾ [التيسر: ٤٩]، وقال شيئاً لمحببيه الثابت على الخلق: ﴿وَقَدَرْنَا لَكُمْ إِلَهًا مَّا أَكْبَرْتُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٩]، وقال نافي الظلم عن نفوسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سجدة: ٤٦].

ولا يلزم من إثبات ما في هذه الآيات القول بالتناقض، وقد كان توهم الظلم يقع في بعض النفوس حتى في الصلح الأولي، وذلك لضعف العقل وقصوره عن فهم دقائق العلم وبرهانه.

ففي صحيح مسلم، عن أبي الأسود الدبيلي، قال: قال لي جبران بن الحضيبي: أراءيت ما يعمل الناس الزم، ويكذبون فيه: أشيء قضيت عليهم، وقضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أنكأهم به نبيهم، وثبت الحجة عليهم؟

فقلت: بل شيء قضيت عليهم، وقضى عليهم.

قال: فقال: أنلا يكون حكماً؟

قال: ففزعك فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله، وملك يبيو له ﴿لَا يَسْتَلْ عَنَّا بِعَمَلٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ [الأنبياء: ١٢٢].

فقال لي: يرضحك الله، إني لم أريد بما سألتك إلا لأخبر عطفك^(١).

وكان الأئمة من السلف - ومن تبعهم من أهل الحديث والفقه والعريفة - يفرغون أن لا تناقض بين الإيمان بالعلم، وبين إيجاب العمل

والحساب عليه؛ يقول أبو عمرو بن العلاء: «أشهد أن الله يُخِيلُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَلَهُ عَلَيْنَا الْحَقُّ، وَمَنْ قَالَ: ثَقَالُ أَخَابِكَ، قُلْتُ لَهُ: أَهْنِي مَنَّا فَتَسْكُ^(١)؛ ثُبُتَ الْقَدَرُ، وَتَمَيَّكَتْ عَنِ الْجِدَالِ فِيهِ.

وكان ابنُ العلاء - وهو من أهل القرن الثاني - من أعلم أهل العربية باللسان، وحُفَّةِ علته العريضة عاتقة من كلام وبيان الجاهليين ونصائحهم؛ قال الأصمعي: «جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ عَشَرَ صَبَاحٍ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَخْرُجْ بَيْتَ إِسْلَامِي^(٢)».

ونحو هذا قال يونس بن حبيب لما سُئِلَ عن القدر؟ قال: «لَا يَفْكَرُ لِي فِيهِ»^(٣).

❦ العلم بالأسباب لا يُخرج صاحبه من قَدَرِ الله:

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْرُجَ الْخَلْقُ عَنْ مَرَاوِ اللَّهِ وَمُشِيَّتِهِ، حَتَّى لَوْ غَلِمَ الْأَسْبَابَ الَّتِي تُخْرِجُهَا عَنْهَا، فَلَنْ يَتَمَكَّنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُغْلِقُهَا عَلَيْهِ؛ لِيَبَيِّنَ لَهُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَمُشِيَّتِهِ.

وقد جاء رجلٌ إلى الخليل بن أحمد، فقال: «إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَبَيِّنْ لِي ذَلِكَ، قَالَ الْخَلِيلُ: يُبَصِّرُ شَيْئًا مِنْ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ الْحَاو؟ قَالَ: مِنْ أَصْلِ اللِّسَانِ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ النَّو؟ قَالَ: مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، قَالَ: أَجْمَلُ هَذَا مَكَانَ هَذَا، وَهَذَا مَكَانَ هَذَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدٌ مُدَبِّرٌ^(٤)».

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٣٩).

(٢) «تجويد الرواية» (١/٧٦).

(٣) «تهذيب الكمال» (٨/٣٢٨ - ٣٢٩).

(٤) «البيان والتبيين» (١/٣٢١).

وزعم بعض الفلاسفة والمتكلمين عظم علم الله بالجزئيات فيزعمون أن الله يعلم الأشياء على وجود ثابت كلي، لكنه لا يدخل تحت تحولات الزمان، فلا يعلم الجزئيات التي يكون حدوثها بموجب تحولات الإحاطة بها، فيحدث تغيراً في ذات العالم.

وقد أشار إلى هذا الجوزني في «الزمان»^(١)، وهذا ضلال مبين؛ فكل ما في الوجود خلق الله، وإذا كان خلقه، فهو عالم به، وقد استغنى الله على من فضل بين العلم والخلق: ﴿أَلَا يَتْلُمَنَّ خَلْقَ وَهَرِ الْخَلْقِ﴾ [الشك: ١٤].

وقد رد انتماء الشئ هذه الضلالة، ووجدت في بعض مقالات المغاربة، ورد عليهم أنتماء كتابي العربي^(٢)، بل قال المازني لشيئ فاساها: «ويؤذي لو سخوت هذا من هذا الكتاب بما يضر»^(٣)، يعني: من كتاب الجوزني.

❦ مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «يُمِيلُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَلِّقُهُ وَيُخَلِّقُهُ مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَقِّدُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ جُلُودٍ وَقَدَرَةٍ، مِنْ شَيْءٍ أَوْ سَعِيدٍ»:

لا يخرج النائم عن تقدير الله لهم، وتقديره لهم لا يعني: أنه سبحانه لا يريد من الكافرين شرها إلايمان، ولا يرزاه لهم، ولكنه سبق في علوه ما هم فاعلون؛ فمن أراد الخير، هداه، ومن أراد الشر أضله.

(٢) «المواسم» (ص ١٣٨).

(١) «الرحان» (١/ ١٤٠ - ١٤٦).

(٣) «المضاح المحصورة» (ص ١٢٥).

قَالَ لَا يَحْرَمُ مَرِيدُ الْخَيْرِ مِنْهُ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَكُلُّ
يَتَّقِي إِلَى سَابِقِ جَلِيلِهِ؛ لَا مَجِيئَ لِأَعْيُ عَنْهُ»^(١)، وَقَالَ: «وَتَحْدَلُ مَنْ
عَصَاهُ وَكَفَرَتْ بِهِ، فَأَسْلَمَتْ وَمَسَرَّتْ لِدَلِيلِ قَصَبَتِهِ وَأَسْلَمَتْ» «وَمَنْ يُشِيرُ مَنْ
يَحْدَلُ لَهُ رُكْبَتُهُ»^(٢) (الكشف: ١٧)، وَقَالَ هُنَا: «يُحِيلُ مَنْ يَشَاءُ لِيُخَذِّلَهُ
يُخَذِّلُهُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَلِّقُهُ بِفَضْلِهِ».

وَأَمَّا النَّبِيُّ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ بِالْإِسْلَامِ عَمَّا سَكَّتْ عَنْهُ الشَّرْعُ فِي
الْقَدْرِ، وَوَجوبُ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ؛ لِعَجْزِ الْعُقُولِ عَنِ الْإِدْرَاكِ؛ فَمَنْ
دَخَلَهُ، بِحُكْمٍ فِيمَا تَعَجَّزَ عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، فَتَحَيَّرَ وَتَقَيَّلَ وَتَزَيَّعَ، وَقَدْ
دَخَلَ فِي هَذَا الْبَابِ طَوَائِفُ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى ضَلَالٍ.

المُخَالِفُونَ فِي الْقَدْرِ:

وَقَدْ خَالَفَ فِي الْقَدْرِ طَوَائِفُ: جُمْهُارٌ، وَخَلَفَةٌ، وَأَشْبَاهُ خَلَفٍ قَائِلُونَ
بِالْكُفْبِ:

• أَمَّا الْجُمْهُارُ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الْقَدَرَ: فَيَجْعَلُونَ تَصَرُّفَ الْمَخْلُوقِ مُتَفَرِّقًا
كَتَصَرُّفِ الْخَالِقِ، وَلَا مَشِيئَةً لِلْخَالِقِ فَوْقَ مَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ بَعْدَ خَلْقِهِ،
وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ، وَسَبَّبَ لَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ.

وهؤلاء هم القدرية، وقد أظهرَ هذا القولَ مَعْبِدَةُ الْجَهَنَّمِيِّ، وَغَيْلَانُ
الدُّنْطَقِيِّ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَالْقَدَرِيَّةُ أَشْرُ النَّاسِ، وَرَأَيْتُهُمْ أَهْلَ عِلَيشٍ وَسُخَافَةٍ
عَقُولٍ وَبِدْعٍ، بَاطِلُ كَثِيرَةٍ عَلَيْهِمْ؛ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ
الَّذِي يَبْنَوْنَ عَلَيْهِ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ (التوبة: ١١٠)، وَمِنْهَا: ﴿وَالْوَحْيُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَنْ

يُؤْمِنُ مِنْ قَوْلِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ نَسِيَ» (معهود: ١٣٦)، وقال: ﴿وَلَا يَذْكُرُ إِلَّا كَافِرًا
صَافًى﴾ (سج: ١٢٧)، وقال: ﴿وَمَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ وَهُمْ ﴿١﴾ إِلَّا مَنْ قَدْ نَسِيَ﴾ (الصافات: ١٦٢ - ١٦٣)، وقال: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيَأْكُلَهُمْ لُحُومَهُمْ﴾ (العنكبوت: ١٦)، في أي كثيرة^(١).

والقنيرة أصلوا لقولهم بالكلام والنظر، ثُمَّ اسْتَدَلُّوا بِأَدْلَى مِنْهَا فِي قُلُوبِهِمْ، تَوَقَّعُوا حُجَّةَ لِقَوْلِهِمْ:
وذلك كالآيات التي تبين أن العباد يفعلون ويتركون، فيؤمنون
ويتكفرون، ويسفون، ويطيعون ويعصون.

وهذا كله داخل في مشيئة العبد، ولا يخرج مشيئة الله النافذة عليه.
وكاستدلوا لهم بأدلة إتيان الله لخلقهم وصنعهم؛ كقوله تعالى: ﴿سَخَّ
اللَّهُ الْوَيْلَ النَّارَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٨٨)؛ فجعلوا لازم ذلك قبيح تصرفات
الناس إلى الله؛ لما تضمنته من عدم إتيان وإحلال، وضلال وكفر.

والله سبحانه يريد أصل خلقه حيث أبدعه وأنشأه، وأما فساد أفعال
الناس؛ فمن مشيئتهم التي أودع الله بها إيجامه، فلم يخرجوا عن إرادته
وتقديره، والآية نفسها دالة على إثبات الفعل للناس؛ فإله قال: ﴿سَخَّ
اللَّهُ الْوَيْلَ النَّارَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٨٨)، فلما ذكر صنع
الخالق، أضاعه إلى نفسه: ﴿سَخَّ اللَّهُ﴾؛ لأنه لا مشيئة لأحد معه فيه،
ولما ذكر فعل الناس، أضاعه إليهم: ﴿يَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لما لهم من اختيار
ومشيئة بعد مشيئته.

وليس ما يستفيحه الناس من ذوات وأفعال دليلًا على إسبغها

لغير الله؛ فانه يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وهناك من الناس من يؤلّد مشوّماً مريضاً خبيثاً؛ كالمجنون والمشلول، ومن يؤلّد برجلٍ أو يدٍ أو عينٍ، أو يكثر من عشرة أصابع، أو برأسين؛ وهذا كله لا يُجيزُ نسبة تلك الأجساد لخالقٍ غير الله؛ وإنما جعلها الله كذلك ليحكمه.

وقد كان لازم قولهم: أنّ العباد يخلقون ما يفعلون؛ فجعلوا إلهين وخالقاً غير الله؛ فشابهوا بذلك المجوس الذين يتجسّدون إلهين: إله الخير، وهو النور، وإله الشر، وهو الظلمة.

• وأما الغلاة: فهم الذين يقولون بالجبر؛ أي: أنّه لا اختيار للمكلفين، ولا مشيئة، وحال المكلف كحالي الجمادات؛ فالملائكة والإنسان والجان؛ كالكوكب والأجرام؛ فالإنسان مسير بلا اختيار؛ يقوم ويقعد ويتكلّم، كما تطلع الشمس وتغرب.

وهؤلاء هم الجبرية، وقابلوا نفاة القدر بقول، وأول من أشهره: الجهم بن صفوان، وقد كان شيخه الجهم بن ذرّهم يقول به.

وهم كسابغيهم قالوا بالجبر، أرادوا تنزيه الله من وجوه مقابل للنفاة بالكلام والنظر، ثم استدلّوا بالدّلّة الوحي:

- وذلك؛ كآيات الدالّة على أنّ الله خالق كل شيء، وعلى نفي خالقي غيره؛ كقولهم تعالى: ﴿اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿عَلَّ مِنْ خَلْقِي حَورَ لُؤْلُؤٍ﴾ [طه: ٣].

- وكذلك الأدلّة التي تجعلُ تصرف الإنسان تحت مشيئة الله وتدبيره؛ كقولهم تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وجعلوا ذلك سلباً لإرادة الإنسان.

وَحُتُّوا الْأَدْلَةَ مَا لَا تُحْتَوَلُ، وهي أدلة عليهم لا لهم، أدلة للحق الذي يقول به السلف؛ فإِنَّ تعالى خَلَقَ النَّامِ وَأَفْعَالَهُمْ؛ فهو خالق كُلِّ شيء، وجعل لهم مشيئة تَدُلُّ على اختيارهم وتصرفهم، ولكن بعد إذن الله ومشيئته، فلو كان للكواكب مشيئة كمشيئة النامي، لَذَكَرَهَا، وهم يَحْتَمِلُونَ النَّامِ كَالْكواكب ومساير الجَمادات؛ فلماذا حَصَّ الله النَّامِ بالمشيئة، ولم يُحَصِّ الكواكب بمثلها إلا لتمييز بينهم، وقد قال الله مضيفاً فعلَ النبي ﷺ بالرمي إليه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فَأَثَبْتَ لِنَبِيِّ رَمِيًا واختياراً: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وَأَثَبْتَ لِنَفْسِهِ الْقُوَّةَ والمشيئة الممضية لذلك: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

ولازم قولهم: أَنَّ التكاليف الشرعية جبر، وأن الطاعة والمعصية من العباد جبر.

وقد أثبت الله لعباده مشيئة بعد مشيئته، وإرادته بعد إرادته؛ قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَهُ﴾ [٢٨ - ٢٩]، وقال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْامِرَ اللَّهِ﴾ [٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ عَنِ اللَّهِ﴾ [٣٠ - ٣١]، وقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَهُ﴾ [٣١ - ٣٢].

فَقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَهُ﴾ [٢٨ - ٢٩]، وإبطال لقول الجبرية، وقوله: ﴿وَمَا تَنَالُوا الْبِرَّ أَفَّ أَنْ يَتَّقِيَهُ﴾ [٢٩ - ٣٠]، وإبطال لقول القدرية؛ فكيف لعبد أن يفعل ما لا يشاؤه الله؟ لا يفعل أحد في الكون شيئاً بغير علمه وإذنه.

وأدلة الجبرية هي أدلة يُعرف بها فساد قول القدرية، وأدلة القدرية هي أدلة يُعرف بها فساد قول الجبرية، وكثيراً ما يُعرف فساد قول طائفة

بأدلة حصرها عليها، وفي طوائف الضلال من المجادلة والتقص بعضها لبعض ما لا يوجد عند غيرهم، خاصة في الطوائف التي تتقابل في قول باطل: واحدة في انصاء جميعنا، وثانية في انصاء شملنا.

وكان أئمة السنة في المغرب يترئون قول القدرية والجبرية، ويحتاجون من قال به؛ يقولون: عوذ بن يوسف الخزاعي - وهو من علماء الفيروان، وكان أكثر من سحنون، ومن أصحاب عبد الله بن وهب -: «إذا أردت أن تكفر القدرية، فقل له: ما أراد الله ﷻ من خلقه؟ فإن قال: أراد منهم الطاعة، فقد كفر؛ لأن منهم من عصى؛ وكلُّ إله لا يتم إرادته، فليس إله، وإن قال: أراد منهم المعصية، فقد كفر؛ لأن منهم من أطاع؛ وكلُّ إله لا يتم إرادته، فليس إله»^(١).

• وأما القائلون بالكسب: فجمهور الأشاعرة ومتأخروهم؛ يترئون قول الخلق والمشيئة، ولكنهم يجعلون أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله وقدرته وحده، لا باختيار العبد ولا قدرته، ولا أثر له في ذلك، وإنما هو كاسب لها، وكسب العبد عندهم هو مقارنته لقدرته من غير أن يكون هناك من تأثير أو تدخل في وجوده سوى كونه محلاً له؛ كما بقوله صاحب «المواقف»^(٢).

وقد تأثر الأشاعرة القائلون بالكسب بالفرائية والتجاركية قبلهم.

وهذا القول مشابه قول الجبرية، ومن أشد ما شجع به المعتزلة عليهم؛ فهم ينفون أي قدرة للعبد أو تأثير في أفعاله؛ فإن الله قادر على إيجاد الحوادث التي يريد بها الإنسان بدون فعله، فهو مؤجلها وحده، ولو كان الإنسان مشاركاً مفترقاً في إحداثها في الظاهر، فلا أثر له في الحقيقة.

(١) الرياض النورية (١/٣٨٦).

(٢) «المواقف» (٣/٢٠٨ - ٢١٤).

وقولهم هذا قريب من حتمل رجل كبير قوي حجارة ثقيلة يغير عليها وحده، فبشارته فيها طفل صغير - بيد ضعيف - لا يقوى على تحريك الحجارة، فضلاً عن حتملها؛ فهد الطفل مقترنة بالفعل، لكنها غير مؤثرة في الحتمل.

وهذا القول من الأقوال التي لا يقبلها النص، ولا يعطىها العقل، ولا يؤيدها الجسد؛ فالعقل يفرق بين الرغبة التي تغلب بذاته بلا اختيار، وبين فعله باختياره.

وقد كان جماعة من فضلاء الأساطرة لا يقولون بذلك؛ كالباقلائي^(١)، وغيره.

§ الحتمية السببية:

ونشأ قول القائلين بالحتمية السببية؛ وهم الذين يجعلون الكون منتظماً بنظام محكوم لا يخرج عنه، وكل واقعة لا يمكن أن تكون إلا كذلك، ولا شأن لأحد فيها؛ فإن اختيار الله إنما كان في أصل الإيجاد، لا في تتبع المعادلات ونتائجها؛ فلا يزعمون أن للإله إرادة تتعرض لذلك النظام بالتبديل والتغيير.

وهؤلاء جبهة في المبتدأ، وقدرته في المنتهى؛ وبهذا يقول كثير من الفلاسفة الغربيين مثل سبينوزا، وكانت، وهيجل، ومنهم من يستثني الروح؛ فيرى أن كل جسد محكوم بقوانين الطبيعة، إلا الروح؛ فهي طليقة من هذه القوانين، ويرى أن عليها أن تجاوزه الجسد، وتلتبس القود من الله بالمعرفة في جهادها.

(١) «الإصناف» (ص ١٢ - ١٤).

﴿ نَفِي الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴾ «تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَعْدِيٍّ عَنْهُ غِنًى، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِوَانِ وَرَبُّ أَهْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، الْبَاسِطُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ»:

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مُقْتَضَى نَفْيِ الْقَدَرِ: أَنَّهُ يَكُونُ فِي مَلِكِ اللَّهِ مَا لَا يَرِيدُهُ اللَّهُ؛ لِإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ حَادِثُ الْكَوْنِ بِتَقْدِيرِهِ؛ فَهُوَ أَرَادَهَا قَدَرًا، وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَتَوَلَّقِي أَحَدٌ مَعَ غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَرَادٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَرِيدُ مَا لَا يَرِيدُهُ الْآخَرُ؛ فَلِذَا زُمَ نَفْيُ الْقَدَرِ: أَنْ يُحْصَرَتْ فِي كَوْنِهِ بِمَا لَا يَرِيدُهُ، وَيُعْجَزُ عَنْ دَفْعِهِ؛ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ فَلَا يَكُونُ فِي مَلِكِ اللَّهِ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ؛ وَيَقْدَرُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مُحِبُّوهُ أَوْ مُكَرِّهُوهُ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ فِي «مُسْلِمٍ»: «وَلِكُنِّي عَلَى مَا أَفَاءَ قَائِلٌ»^(١)، وَفِي «الْمُسْتَقْبَلِ» بِإِلْفٍ: «وَلِكُنِّي عَلَى مَا أَفَاءَ قَائِلٌ»^(٢).

وَبَعْضُهُمْ^(٣)؛ بِكَرَّةٍ إِطْلَاقِي قَوْلٍ: «وَاللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ»؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ أَوْسَعُ:

وَفِي هَذَا التَّعْلِيلِ نَظَرٌ؛ فَالْحَدِيثُ فِيهِ ثَابِتٌ، وَهُوَ يَنْتَضِي إِثْبَاتُ اللَّهِ، وَتَنْزِيهُهُ لَهُ:

○ فَالْإِثْبَاتُ: فَهُوَ إِثْبَاتُ الْقَدَرِ وَالْجُحْمِ لَهُ.

(١) مُسْلِمٌ (١٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ. (٢) الْمُسْتَقْبَلُ (٦) / ١١٠ رَقْمٌ (٣٨٩٩).

(٣) «الْمُنَاقِبُ» (ص ٤٥٥).

○ وأما التنزيه: فإن الله لا يشاء من الأقدار إلا ما هو خيرٌ كابلٍ أو غائب، وله حكمه فيه كله، وما لا يشاؤه الله، لم يُذكر في الحديث؛ لأن الله بمنزلة من العبيد؛ فما اختار الله من التقدير إلا ما هو أحسن من غيره، وأتم وأحكم، وما لم يشأه دون ما شاءه حسناً وتاماً وحكمةً، وبمختلف الثبائن في ذلك بحسب اختلاف الأعيان والأفعال والأحوال، والأزمان والأمكنة.

وقد جعل الله خلقه على نوعين في باب الاختيار والمشية:

□ خلق: لا اختيار لهم ولا مشية؛ كالجمادات من الكواكب والنجوم، والحجر والتراب؛ فهذه غير مكلفة؛ لأنها غير مختارة.

□ وخلق: لهم اختيار ومشية؛ وهم على قسمين:

أولاً: مكلفون بالدين والدنيا؛ وهم العقلاء؛ كالملائكة والإنس والجن؛ فهؤلاء يُمدحون بحسب ما يختارونه من الامتنان لله، وبحسب ما يجدونه من صبر على ذلك ومشقة وثقل:

وقد جعل الله في بعضهم: شهوات ورغبات يبتليهم بها، ويختبرهم في اتباع أمره، وتقديروا على شهواتهم ورغباتهم؛ وهذا كالإنس والجن.

ولم يجعل في خلقه بعضهم شيئاً من الشهوات والغرائز ثنائهم الحق؛ ولهذا فهؤلاء الملائكة لا يخضعون عن أمر الله؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَقْضُونَ إِلَهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَسْمَعُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الصوم: ١٦).

ومن هنا: فضل أكثر العلماء من أهل السنة الصالحين من بني آدم على الملائكة.

ثانياً: مكلفون بالدنيا بلا عقل؛ وهي البهائم؛ فاطع خلقها، وجعل فيها إدراكاً، ولم يجعل فيها عقلاً؛ فتدرك دنياها، ولا تفهم تكاليف

حُجَّتُهُ، وَلِيُفْهِمُ رَسُولُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ إِلَّا خَلَا يَبَا غَيْرُ﴾ [طاهر: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا فِي سَكَنِي لَقَدْ رَسُولًا﴾ [الزلزال: ٣٦]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا لَقَدْ رَسُولًا﴾ [يونس: ١٠٧] فَكَانَتْ الرُّسُلُ تَتَنَاقُحُ لِلْبَلَاغِ، نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ: حَتَّى لَا يَهَيِّبَ الْحَقُّ مِنَ الْأَرْضِ بِالْكَلْبَةِ، قَالَ تَعَالَى عَنْ تَنَاقُحِ رُسُلِهِ: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قَوْلًا﴾ [الشورى: ١٤٤].

وَتَنَاقُحُ الرُّسُلُ حَتَّى تَقُومَ الْحُجَّةُ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَتَضَعُ أَعْدَاؤُهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ٦٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَفَّ لَنَا يَكُنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ وَجَعَلْنَا بِكَ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَاجِبٌ، وَالْكَافِرُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ كَافِرٌ بِجَمِيعِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ مَأْتَمِرٌ بِآلِهِ وَمَكَلُوبٌ، فَكُفُّوا وَدُسُّوا، لَا تَقْرَأُ بَيْنَ أَعْيُنِ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الْأَوَّلَ يَكْفُرُونَ بِآلِهِ وَدُسُّوا﴾ [النساء: ٦٥٠] فَجَعَلَ الْكُفْرَ بِهِ وَرُسُلِهِ وَاحِدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ اتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، بَلْ إِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ يَقْتَضِي تَصَدِيقَ الْخَبَرِ، وَالْإِتْرَافَ بِالْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ، وَأَمَّا الْإِتِّبَاعُ، فَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

خَتَامُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلرُّسُلَاتِ:

وَكُلُّ نَبِيٍّ يَبْعَثُهُ اللَّهُ لِأُمَمٍ وَقَوِيهِ، وَيَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مُقْبِلَةً بِزَمَانٍ تَنْتَهِي بِهِ، إِلَّا رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ عَامَّةً لِلْعَالَمِينَ جِنًّا وَنَسَاءً، وَجَعَلَهَا دَائِمَةً وَخَاتِمَةً لِلرُّسُلَاتِ السَّابِقَةِ، فَلَا يَجُوزُ التَّنَدُّبُ بَأَيِّ رِسَالَةٍ سَابِقَةٍ بَعْدَ بَعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا عَمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِحَقِّهَا

الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما أتوا، ثم قلت: «الشمس والليل»
 (الامراء: ١٥٨)، وقولوا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)،
 وقولوا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَكْمَةً لِّالنَّاسِ بَيِّنًا وَكَلِيمًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبا: ٢٨)، وفي الحديث: قال ﷺ: (كُلُّ
 الشَّيْءِ يُبْعَثُ إِلَى قَرْبِىَّ خَاصَّةً، وَيُبْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً)^(١).

وأوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمد لو بُعث وهم أحياء،
 وأخذ الميثاق عليهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
 ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَكْمَةً لِّالنَّاسِ بَيِّنًا وَكَلِيمًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
 (الأنبياء: ١٠٧)، وقال ابن عباس: ﴿مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَأَنْ يُّبْعَثَ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ حَيٌّ، لِكُلِّ مَنْ يُّبْعَثُ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى
 أَمْرِ الْمِيثَاقِ: لَأَنْ يُّبْعَثَ مُحَمَّدٌ، وَهُوَ أحياء، لِكُلِّ مَنْ يُّبْعَثُ، وَأَمْرُهُمْ بِإِجَابَتِهِ عَلَيْهَا؛

فَيُبْعَثُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئَةِ وَالْمَشْرِكِينَ، وَيُبْعَثُ إِلَى الْعَرَبِ
 وَالْعَجَمِ، وَالْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ فِي الْخُطَابِ إِلَّا
 بِمَا يُوجِبُ تَرْكُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ سَابِقٍ، فَكُلُّ دَاخِلٍ فِي الْإِسْلَامِ،
 فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

فإنه أمر اليهود والنصارى باتباع النبي ﷺ، وهم أقرب الأمم إلى
 أمه محمد، وكتبهم أقرب الكتب المنزل إلى القرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) البخاري (٣٣٥ و ٤٢٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٠ و ١٢/ ٥٤٦)، وعزه الحافظ في فتح الباري (٦/ ١٣٤) للبخاري.

الَّذِينَ آوَوْا إِلَى الْكِتَابِ فَأُولَئِكَ مَتَّعْنَا لِمَا مَتَّعْنَاكُمْ ﴿١٧٧﴾ وَقَدْ خَالَفَهُمُ اللَّهُ فِي الْقِرَائَةِ كَثِيرًا بِ: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ»، وَب: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».

﴿حُكْمُ اتِّبَاعِ دِينِ غَيْرِ الْإِسْلَامِ﴾

وَمَنْ زَعَمَ: أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، يَجُوزُ لَهُ اتِّبَاعُ مَا شَاءَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْكِتَابِ الْأُخْرَى، وَأَنْ يَتَّبِعَهُنَّ هُوَ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ نَاجٍ فِي الْآخِرَةِ، مَعَ عُلُوبِهِ بِالرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ -: فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ ﷻ قَالَ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي مَخْمُودٌ بِهَيْبِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ^(١).

وعند تجويز بقاء اليهودي والنصراني على دِينِهِ، لا يعني تعيُّن دِينِهِ، بل عَدَمُ الْجَوَازِ: لِيَبْدَأَ كُفْرًا، وَعَدَمُ صِحَّةِ عَمَلِهِ، وَأَنَّ مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِنْ مَاتَ عَلَى دِينِهِ، وَلَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِذَا كَانَ لَمْ يُتَّبِعْهَا وَيَنْقُذْ لَهَا؛ كَقَوْلِهِ بَرِي أَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْعَرَبِ، أَوْ أَنَّ النَّاسَ يُخْتَارُونَ بَيْنَ الْوَلَلِ، وَكُلُّهَا تُوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ؛ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ نَسْخَ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ، وَأَخْبَرَ بِتَحْرِيفِ مَا سَبَقَ مِنَ الْكِتَابِ مِمَّا بِيَدِي أَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿وَالْكُفْرُ - حَيْثُ - جَاءَ مِنْ جِهَاتٍ، أَعْظَمُهَا﴾

الأولى: عَدَمُ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَجْوِيزُ الْخُرُوجِ مِنْ رِسَالَتِهِ، وَأَنَّ الْأُمَرَ الْمُتَوَاتِرَةَ فِي الْكِتَابِ وَالشُّكُّ بِاتِّبَاعِهِ لَا مَعْنَى لَهَا عَنْهُمْ.

الثانية: الْإِيمَانُ بِصِحَّةِ كُتُبِ أَخِيَرِ اللَّهِ بِتَحْرِيفِهَا، وَتَسْوِغِهَا بِالْقُرْآنِ؛

وهذا تكذيب هو والرسول، ودوي أن النبي ﷺ وجد قطعاً من الثوراة مع حمز بن الكلاب، فقال له: (لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حل له إلا أن يقتلي^(١))، حتى إن عيسى ﷺ ينزل في آخر الزمان، يقتل الدجال والخزي، ويكسر الصليب، ولا يقضي إلا بشريعة محمد ﷺ^(٢).

الثالثة: أن كل جهاد النبي ﷺ للأمة الكافرة يهوداً ونصارى، ومشرقيين وسجوساً: أنه عدوان، وأن قتالهم كان سفكاً لدم معصوم، وغنائمهم سلب لمال معصوم، وسبيهم استعباد لأنفس حرّة؛ إذ إنه قاتلهم وهم غير ملزمين برساليه وهذا كفر عظيم، وضلال مبين.

الرابعة: أن جميع الأحكام في الشريعة التي نزلت على تعاليم المسلمين عن الكفار - أو بعضهم - باطلة؛ كآبواب الثوالة والمعاذاة، والشجاج والذباح، والفتيات والمواريث، وأحكام الرقة ودخول البيت الحرام، والقراري بحضرة العرب، وغير ذلك.

وأما كون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده: فلقولوا تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ دِينِكُمْ وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، وقولوا ﷺ في «الصحيحين»: (أنا خاتم النبيين^(٣))، وفيهما من حديث سعد بن أبي وقاص: أن النبي ﷺ قال لعلي: (ما ترضى أن تكون بني إسرائيل هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بقوي^(٤)).

وكل دعوة للنبوّة بعده، فهي كذب، ومذمومة كاذبة؛ يحكم بطلها ولو زعم أنه لا يخرج عن حقي الأنبياء وأنه لا جديد لَدَيْهِ عنهم؛ لأن وحي

(١) ابن أبي شيبة (٢٦٩٤٩)، وأحمد (٣٨٧/٣) رقم (١٥١٥٦).

(٢) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

السما انطلق بموت النبي ﷺ إلى قيام الساعة، ولم يبق منه إلا الرؤيا الصالحة.

ومن زعم أنه يأبى وحى؛ فإن كان صادقاً، فهو من الشياطين يسؤلون له: فإله سئ وشراسهم وحياً ومنزلاً: ﴿قُلْ أُنذِرُكُمْ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١١) ﴿قُلْ عَمَّ أَفْهَمُ﴾ (١١٢) (الجمرات: ٢٢١ - ٢٢٢)، وقال: ﴿وَلَا تُكَلِّمُوا الْكَافِرِينَ﴾ (١١٣) (البقرة: ١٧٥) (١٢١).

الإسلام وحرية الدين:

ولم يجعل الله لأحد خياراً غير الإسلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ يَكُنْ كَمَنْ هُوَ فِي الْأَشْجَارِ مِنَ الْمَكِينِ﴾ (١٢٢) (الجمرات: ٢٢٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ﴾ (١٢٣) (الجمرات: ٢٢٣).

وأما حرية الدين: فإله تعالى كما أنه أمر الناس كافةً باتباع نبيه ﷺ، وعدم الخروج عنه، إلا أنه خص أهل الكتاب اليهود والنصارى بعدم القتال على الدخول في الإسلام؛ وإنما خيرهم عند فئدة المسلمين وقوتهم عليهم: بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وتجاوز المهادنة والمواقعة والمسألة - بينهم وغيرهم من المشركين، وبين المسلمين - بشروطها المعروفة؛ كما يتبينها في التفسير^(١).

ومن دخل الإسلام من أي بلد كانت، فلا يسأله الخروج من الإسلام بحال، ولا يأخذ أحكامه السابقة قبل دخوله الإسلام لو كان يهودياً أو نصرانياً، ويجب على إمام المسلمين إقامة حد الردة عليه، وقد استفاضت في ذلك الأحاديث، وبه قضى معاذ وأبو موسى في اليمن؛

(١) سورة البقرة آية (٢٠٨)، وسورة التوبة آية (٢٩)، ومواضع من سورة الأنفال.

فيمس اوتد من اليهود^(١)، وفيه قال ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ، فَاَقْتُلُوْهُ)^(٢)، وقد قاتل أبو بكر الصديق والصحابة المرتدين.

ومن كان له شوكة وقوة من المرتدين، ولا يقبل للمسلمين به، فتجوز مهانته ومسالمة لمصلحتهم، وحفاظا على شوكتهم، كما كانت طوائف من الفرق تقيم بين المسلمين وهي واقعة في مكفرات كثيرة، وكان المسلمون يتركونهم ويهاذنونهم، وربما عاملوهم عند الحاجة؛ وذلك لكثرة الطوائف وانشغال المسلمين بأمر جماعتهم، وربما بعثوا من خارجهم يخشون تريسة بهم.

شبهات في حرمة ترك الإسلام:

وأما الاستدلال ببعض الأدلة التي يظهر منها قبول الرد، أو زعم بعضهم منها مساواة الإسلام بغيره؛ كقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ [الكهف: ٢٦]، فهذه ليست أدلة لمساواتنا هذه:

• أما قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فقد نزل في اليهود الذين بقوا على يهوديتهم، وأراد بعض الصحابة إكراههم على الدخول ابتداء في الإسلام.

وهذا لا إشكال فيه؛ فإنه لا يجوز إكراه أهل الكتاب عليه ابتداء؛ كما تقدم بيانه؛ وهذا - مع كونه لا يعني الإكراه بعينه وبينهم، ولا أنهم لو دخلوا الإسلام، جاز لهم الخروج منه - فتلك مسائل مختلفة؛ كما

(١) البخاري (٢٣٤١ و ٢٣٤٢ و ٢٣٤٤ و ٢٣٤٥ و ٢٩٩٣)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) البخاري (٣٠١٧ و ٢٩٩٢) من حديث ابن عباس.

روى أبو داود من حديث ابن عباس: قال: «كُتِبَ التَّوْبَةُ تَكُونُ مَقْلُوبًا، فَجَعَلَ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوَّكَ، فَلَمَّا أُجْلِبَتْ بَنُو النَّبِيِّ، كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لَا تَدْعُ أَبْنَاءَنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَجَنَّأَ الرَّسُولُ مِنْ النَّكْرِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)»^(١).

والقائل بأن هذه الآية تنزل على جواز الخروج من الإسلام، أو أنه مسار لغيري، فصرّب بفهم ظاهر آية ألف آية وحديث وأبطلها، وهذا لا بقوله من جهة الشرع عالم، ولا من جهة النظر صاحب فكر؛ فالدليل لا يصرّب به دليل آخر يخالفه من وجوه وبقراته من وجه؛ فكيف بإبطال القلب دليل، بظاهر دليل؟

• وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ (الكهف: ٢٦) فقد حثّ بعضهم^(٢) هذه الآية على التخيير بين الإسلام وغيره، والمساواة بينهما؛ وهذا لا تنزل عليه الآية؛ لا في ظاهرها، ولا في باطنها:

□ أما المساواة: فالآية تنفيها؛ فقد سَمَّيَ الإيمانَ بالنبي ﷺ إيمانًا، وسَمَّيَ الإيمانَ بغيره كفرًا.

□ وأما القول بأنها نفي التخيير بين الإيمان والكفر: فهذا كلام من لا يفهم لسان العرب؛ فالآية هي تهديد ووعد، وهو أسلوب معروف عند وضوح الحجّة وإقامتها على أحد يَتِمُّ تهديده وتعليل بقولهم: «إِنْ شِئْتَ أَفْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَاتْرُكْ»؛ يعني: ستجد ثوابك وعقابك.

وهذا يدل عليه كمال الآية؛ فإن الله لما قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾

(١) أبو داود (٢٦٨٧).

(٢) انظر: «مكتشبه» (٧٧٢/٢).

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَكْفُرُ؟ [الكهف: ٢٩]، قال بعد ذلك مشروحا: ﴿وَلَا أَتَذَكَّرُ﴾^(١)،
وَاللَّيْلُ كُلُّ لَيْلٍ، يَوْمَ تُنْزَلُ السَّحَابُ [الكهف: ٢٩] وبهذا فسرها الصحابة
والتابعون، ولا خلاف بينهم في ذلك^(٢).

ولكن من نظر في هذه الآية، نظر إلى كلمة منها، وهي قوله: ﴿لَنْ شَأْنٌ﴾ (الكهف: ٢٩)، ولم ينظر إلى السياق فتوهم أن المشيئة تعني حرية الاختيار، والمشيئة هنا هي كقولنا تعالى: ﴿أَن يَخْلُقَ فِي الْغَدِّ مِثْرًا لِّمَنْ يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥١)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٢)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٤)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٦)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٧)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، ﴿أَن يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

ولم يَخْتَلِفِ الْمُفْسِّرُونَ مِنَ السُّلَاقِ عَلَى صِحِّهِ هَذَا الْمَعْنَى؛ وَبِهَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ^(٢٦).

وجاء بمعناه الحديث؛ كما في قوله ﷺ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَحَافِظٌ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ التَّرَكُّ) ^(١٢٧) وليس هنا تخييراً بين العقوب والبراء وهو معروف في لسان العرب؛ فنامر بالشيء وتخيّر فيه، والمراد: الوعيد والتهديد؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَسْعُوا فُتُورًا﴾ (الحج: ٥٥) وليس في هذا أمر بالكفر، ولكنه تهديد.

وكما يكون في التهديد والوعيد يكون في الرجاء، لكنه لا يتم من مثل هذا السياق التخيير؛ كما في قول النبي ﷺ: (لَعَلَّ اللهَ اطْلَعَ عَلَى أَقْبَلِ بَذْرِ، فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ حَفَرْتُ لَكُمْ)^(٤١)؛ فلا يقول عاقل: «انه يجوز لأهل بذر الكفر والفسوق والعصيان»، ولكن الآية السابقة

(١) تفسير الطبري (١٥/٢٤٤ - ٢٤٥)، والطبر المستور (٩/٥٢٩).

(7) *المعروف المسمى*

(3) الترحيل (١٩٠٠)، وابن حاجه (٢٠٨٩ و ٢٢١٣) من حيث أثر الترحيل.

[1] البخاری (۳۰۰۷)، و مسلم (۷۴۹۴) من سنن عبد الله بن أبي طالب،

تَهْدِيَةٌ وَوَعْدٌ، وَالْحَقِيقَةُ رَجَاءٌ، وَلَيْسَ فِيهَا جَمِيعًا تَضَاهِيٌّ وَإِبْطَالٌ
لِلْأَوَامِرِ وَاللَّهِ.

❏ الإيمان بالكُتُب السماوية، والحكمة من إرسال الرسل:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ عَاقِلَاتٍ مِّن دُونِهَا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُعْطُونَ﴾ وَنَسَخَ بِهِ دِينَهُ الْقَدِيمَ، وَغَدَى بِهِ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ:

الإيمان بالكُتُب السماويَّة من أركان الإيمان، فيجِبُ الإيمان بها جميعها؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا آمَنَ بِالْكِتَابِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ رَبِّي إِنَّنِيَ لَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 136].

والمكذَّبُ بواحدٍ منها مكذَّبٌ بها جميعها ؛ لأنها جميعاً كلامُ الله
وغيره ، وحُكْمُهُ وتثبيته ، وقد وضعتُ الله الكافِرَ بها بالضلالِ البعيدِ ؛
كما قال : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَوَافٍ عَلَيْهَا قَوْمًا يُقَدِّرُونَ الْإِنشَاءَ أَجْلًا لَّيْلًا ﴾ [طه : ١٢٢] ،
والمكذَّبُ الذي أنزلَ من قَبْلُ وَمَنْ يَمْكُرْ بِأْتِهِ فَمَا يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْكُمْ وَلَا مِنْكُمْ وَلَا مِنْكُمْ .
والنور الآخر قد عَلِمَ سَلَامًا بِيَدِهِ (الساد : ١٣٦) .

وَكُلُّ الْكُتُبِ نَدْوُو إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلٍ إِلَّا نُوحٍ إِلَهُ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا فِي عُثْمَى أَنْزَلْنَا رُسُلَنَا أَنْبِئُوا اللَّهَ وَنَبِيِّيًّا أَنْعُمُوا عَلَيْنَا﴾ [الأنعام: ٣٦]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنِ الْفِرْعَوْنِ: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكَتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ يَنْبِئُكَ عَنْكَ﴾ [الشعراء: ١٨].

والإيمان بالكُتب لا يَلْزَمُ منه الاختيارُ من شرائعها ما يشاء الناسُ؛

فإن هذا لا يجوز في شريعة محمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛
 فإن في شريعته الناسخ، وفيها المنسوخ؛ فلا يجوز العمل بالمنسوخ؛
 فالإيمان بالكتاب وتعظيمه شيء، والعمل به شيء آخر، والقرآن نسخ ما
 قبله من تشريعات الكتب السابقة؛ فالقرآن قاضي على شرائع ما سبق،
 وحاجم عليها؛ كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
 وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].



﴿وَقُلْ أَتُؤْمِنُونَ بِرَبِّي﴾: ﴿وَأَشْرَحْ بِهِ بَيْنَهُ الْقَوْمُ﴾، وَهَذِي بِهِ الصَّرَاطُ
 الْمُسْتَقِيمُ: ﴿

بيان لمنزلة القرآن والجحيم منه؛ فقد جعله الله حجة على عباده؛
 لجعله بينا محكما، واضحا مفضلا؛ كل من أراد الحق فيه، وجدّه، ومن
 لم يلقه زئج، زاع، وأما القرآن، فكله حق؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ
 الْكِبَلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجَمُ عَنْ حُكْمٍ ظَاهِرٍ﴾ [ص: ١٢].

﴿مصدر تفسير القرآن:

ومن الله إنزاله، وعليه بيانه؛ فليس لأحد أن يجتهد فيه براهو
 وهواه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ إِتْمَنِ لَهُمْ مَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ وَلَقَدْ هَمَمْنَا
 بِالْمَكْرِ﴾ [النحل: ١٤٤] وهذا البيان من الله، لا من غيره؛ كما قال
 تعالى: ﴿إِنَّا فَزَّلْنَا الْفَجْرَ فُرْقَةً ۖ ثُمَّ يَدُّ عَلَيْكَ جَنَابُ رَبِّكَ﴾ [القيامة: ١٨ - ١٩]،
 ولكن البيان نسب إلى النبي ﷺ باعتبار بلاغته له؛ وألا فإن النبي ﷺ
 مأمور بالاتباع لأمر الله؛ كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا كَلِمَ الْوَعْدِ وَمَنْ عَاثَاكَ
 لَعْنَةُ رَبِّكَ﴾ [عنود: ١١٢].

ومن صبح لسانه الغرير، وفهم لغات العرب، لم ينجح إلى تكلف

وتنطع في تأويل القرآن، فلا أصل فيه: أن يفهمه العربي عند نزوله، ولكن لما بعد الزمان، وضعت اللسان، احتاج الناس إلى الرجوع إلى تأويل السلف من الصحابة والتابعين؛ حتى لا يحيلوا القرآن على غير مراد الله.

وقد عصم الله نبيه ﷺ فكان مفسراً للقرآن بقوله وفعله، ومرجعاً لمعانيه بحياته، وقد كان يتخلف به، ويقوم بما أمر الله فيه؛ وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ حُلْفَةُ الْقُرْآنِ»^(١)، وقد أمره الله بتلاوة كلامه وتعليمه للناس: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ أَمْيَاتِهِمْ وَرَزَقَهُمُ الْكُفَّةَ وَالْحِصْنَةَ»^(٢) قال عمران: ١٦٤، والحكمة هي سنة؛ فإنها لا تتعارض مع القرآن لعصمته ﷺ، وإنما هي مبينة مفسرة له.

وكل ما استقر عليه فهم الصلح الأول من القرآن، فهو مراد الله فيه؛ لأن الله أنزله بلسانهم ليفهموه، ولا يسكت النبي ﷺ على معنى باطل استقر في نفوسهم؛ فهذا يخالف مقتضى الرسالة، والله مطلق على ما في نفوسهم من فهم.

ولو علم الله أن عائشة أو أكثرهم فهموا القرآن على غير مراد الله، لأنزل الله البيان في ذلك؛ لأن هذا مقتضى حفظ دينه وتمايمه وكمايله؛ فكما أن القرآن وتامم الدين هو للمعاني كما هو للحروف؛ قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي»^(٣) (البقرة: ٢٢).

وجب الإيمان بكل ما جاء في كلام الله وكلام رسوله؛ لكل ذلك وحى من الله، وقد قرأ الله طاعته بطاعة نبيه، ومعصيته بمعصيته؛ لأن

النبي ﷺ الأمرُ بأمر الله، الناهيُ بنهيهِ، ولا يخرجُ عن ذلك؛ فمن أحبَّ الله، ولم يُطعِ نبيَّهُ، فدعوهُ كاذبُهُ؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

ومن جهلَ شيئاً من كلام الله، وجبَ عليه السؤالُ عن مرادِ الله عند من تعلَّمهُ من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أهل العلم؛ وقد قال ابنُ أبي رَزْوَيْهِ «الجامع»: «وَتُصَلِّقُ بِمَا جَاءَنَا عَنْ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَمَا نَبَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْحِكَايَةِ: يُوجِبُ الْقَتْلَ بِشُكْكِهَا، وَتُجْرُ بِغَيْرِ مُشْكِلٍ وَمُتَشَابِهٍ، وَتَكُلُّ مَا غَابَ عَنَّْا مِنْ حَقِيقَةِ تَفْسِيرِهِ، إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ يَعْلَمُ فَأَبْدِلِ الْمُتَشَابِهَ مِنْ كِتَابِهِ، وَالرَّابِيعُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: ﴿مَتَا يَوْمَ كَلِّ قَوْمٌ عَنْ رَبِّكَ﴾ (آل عمران: ١٧).

وقال بعضُ الناس: إنَّ الرابعيين يعلمونُ مشكلَهُ، ولكنَّ الأولَّ قَوْلُ أَهْلِ التَّوْبَةِ: وَحَلِيهِ يَنْتَلِ الْكِتَابُ^(١).

الإيمانُ بالقيامةِ وما فيها:

﴿قَالَ لَيْسَ لِي رَيْدٌ: «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأْنَاهُمْ يَوْمَئِذٍ»﴾:

الإيمانُ بالبعثِ بعد الموتِ من أركانِ الإيمان، ولا يصحُّ إيمانُ أحدٍ إلا به، وقد قال النبي ﷺ - لما سأله جبريلُ عن الإيمان -: (الإيمانُ: أن تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخرِ، وبأنَّ للهِ خبيرةً وشراً)^(٢).

ولنعلمُ البعثَ والإيمانَ به أقسمَ الله عليه في مواضع ثلاثٍ؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ قَطُّ وَلَئِنْ لَكُمُوعِدٌ﴾ (سبا: ٣)،

(١) سبق تفصيله.

(٢) «الجامع» (ص ١١١ - ١١٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرًا مِنْ أَنْ يَبْتُغَىٰ عَلَىٰ يَدَيْهِ فَتَحَبُّوا لَهُ نَفْسًا لِّمَوْنِهِمْ وَتُكَرَّرَ إِلَيْهِ أُولُوكُمْ وَإِنْ يَنْتَظِرُوكُمْ أَلْحَقُوا بِهِمْ قَوْلَ مَنْ هُوَ قُلُوبُهُمْ عَلَيْهِمْ غَلِظَةُ اللَّهِ إِنَّهُ لَتَوَكَّلُ اللَّهُ ۚ وَكُرَّارُ الْإِنشَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَىٰ وَجْهِ وَاحِدٍ، بِأَنَّ عَلَىٰ شِدَّةٍ عَظَمَتِهِ، وَشِدَّةٍ كَفْرِ الْمُكَلِّبِ بِهِ.

وقد قرَنَ الله الكُفْرَ باليوم الآخر بالكُفْرِ به سبحانه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلُوا لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَإِلَهُهُ الْمَلَكُوتُ وَلَا يَلْزِمُ الْآخِرَ﴾ (الحج: ١٢٩).

وكُلُّما كان الإنسان أَكْثَرَ يَقِينًا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَالشَّوَابِ وَالْعَفَابِ، كَانَ أَكْثَرَ عَمَلًا فِي الدُّنْيَا، وَأَشَدَّ حَشِيَّةً لَهُ؛ فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ حِسَابًا، خَافَهُ، وَمَنْ رَجَا لِقَاءَهُ، اسْتَعَدَّ لَهُ، وَطَوَّلَ الْأَمَلِ يُضَعِّفَ ذَلِكَ فِي الْقُلُوبِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَا يُرِيدُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَلَا يَنْزِلَ إِلَيْكُمْ فِي الْغُبَاتِ﴾ (يونس: ١٧).

ولَمَّا ذَكَرَ اللهُ كُفْرَ الْكَافِرِينَ وَعِصْيَانَهُمْ، ذَكَرَ سَبَبَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ عِصْيَانَهُ ۖ وَكَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِهِ﴾ (النبي: ٢٧ - ٢٨)، وَقَالَ: ﴿لَا يَزِيدُ الْإِنْفِرَ بِكُذُوبِهِ إِلَّا تَوْبًا ۚ فَذَلِكَ الْوَيْلُ لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْآيَةَ﴾ (الأنعام: ١ - ٣).

وكثيرًا ما يَذْكُرُ اللهُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لِيَسْتَفِيحَ النَّاسُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِي يُرِيدُوا إِلَهُي﴾ (البقرة: ٢٨١)، وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِي قُلُوبُهُمْ عَنْ كَلْبِهِمْ﴾ (البقرة: ٢٨، ١٢٣)، وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِي قُلُوبُهُمْ عَنْ كَلْبِهِمْ﴾ (النمل: ١٣٣).

التَّخْفِيقُ فِي الصُّورِ:

وقد أَخْبَرَ اللهُ بِالتَّخْفِيقِ فِي الصُّورِ فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثَ مَوَاقِعَ؛ لِلتَّخْفِيقِ، وَالتَّخْفِيقِ، وَلِلْعِبَادِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنُجَّ مَنْ فِي

لَتَشْكُوتَ وَنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شِئْنَا اللَّهُ وَكُلُّ أَنفُسٍ كَاتِبَةٌ ﴿١٨٧﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي السُّورِ فَاصْبِرْ مَن فِي السُّكُوتِ وَنَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شِئْنَا اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ النَّفْثَ فَإِنَّا نَمُوتُ فَيَمُوتُ بِظُلْمٍ﴾ (الزمر: ١٨٨).

واختلف في النكاح:

فيل: إنها اثنان.

وقيل: إنها ثلاث.

وقيل: إنها أربع.

وقد يثبت ذلك في «الخراسانية»^(١).

﴿بَعَثَ الْأَجْسَادَ وَجَزَأَهَا﴾

والله يُعيدُ أجساد الناس التي كانت في الدنيا، لا غيرها، ويُحيي العظام التي كانت في الدنيا، لا غيرها؛ كما قال تعالى: ﴿لَوْ كُنَّ يَرَوْنَ حَيَاتِ يَدِي لِلَّهِ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ يَوْمَ يَكُونُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٩)، وقال تعالى: ﴿كُنَّا بِأَعْيُنِنَا قَوْمَ ثَوْدَةَ﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ جَاءَتْ لَؤُ حَيَاتٍ﴾ (١) لَوْ خَلَقْنَا بِنَا يَحْيَى فِي مَلَكُوتِهِمْ فَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُهُ فِي الْأَرْضِ فَلَنُرْكَمَ أَلَّا نَمُوتَ﴾ (الاسراء: ٥١ - ٥٢)، ولكن الله يزيد في أحبابهم وحالهم من جنس ما يزيد الله فيهم في الدنيا؛ فيكثر الصغير، ويهزل العظيم، ويشتد الضعيف، ويضعف السمين، والزيادة فيهم لا تعني: أنَّ الأبدان ليست الأبدان، ولا أنَّ الجلود ليست الجلود، ولا أنَّ العظام ليست العظام.

وقد قال ابن أبي زيد في عقيدته في «الجامع»: «وَأَنَّ النَّبِيَّ أَطَاعَتْ

(١) «الخراسانية» (ص ٤٤٤).

وَعَصَتْ مِنَ الَّتِي تَبَعَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَجَارَى، وَالْجُلُودُ الَّتِي عَافَتْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الَّتِي تَشْهَدُ، وَالْأَلْسِنَةُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ مِنَ الَّتِي تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ^(١).

وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الْمُتَعَمِّدِينَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْخَلْقِ، لَمْ يَكْفُرْ بِالْبَعْثِ إِلَّا بِأَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ ذَاتَهُ كَمَا هِيَ؛ فَهُوَ يُجْعِلُ هَذَا، وَأَمَّا خَلْقٌ غَيْرُهُ مِنْ جَدِيدٍ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ خَلُّوا وَكَفَرُوا.

﴿أَشْرَاطُ السَّاعَةِ﴾:

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا قَبْلَ السَّاعَةِ مِنْ عَلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ وَأَشْرَاطٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرُوا إِلَّا كَلِمَةً لَنْ يَأْتِيَهُمْ بِتَنَاقُذٍ فَذَلِكَ نَجْةٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ﴾ [محمد: ١٨]، وَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ؛ كَخُرُوجِ الدَّجَالِ، وَالْمَائِدَةِ، وَبَاجُوجٍ وَمَاجُوجٍ، وَنُزُولِ عِيسَى، وَخُرُوجِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. وَلِلْسَّاعَةِ أَشْرَاطٌ كَبِيرَى وَصَغِيرَى، وَعَاشَةُ الصَّغِيرَى سَابِقَةٌ لِلْكَبِيرَى، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهَا، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الصَّحِيحُ الْمَتَوَاتِرُ، وَمِنْهَا ذَوْنُ ذَلِكَ، وَمِنْهَا الضَّعِيفُ بِسِيرِ الضَّعِيفِ، يُسْتَأْنَسُ بِهِ وَلَا يُجْزَمُ بِهِ، وَمِنْهَا الْوَاهِي وَالْمَطْرُوحُ وَالْمَكْدُوبُ؛ وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ رَوَايَتُهُ إِلَّا لِيَانِ تَكَارُرِهِ.

﴿تَنْزِيلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْوَاقِعِ﴾:

وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَجْلِ ظَنِّ فِي أَنْ نَاقِلَهُ لَوْ شَخْصًا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي حَدِيثِ يَسِيقُ السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْأَوَامِرَ قَطْعِيَّةً، وَتَطْلِيْقُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ ظَنِّيٌّ؛ فَلَا يَتْرَكَ قَطْعِيٌّ

(١) «الجامع» (ص ١١٢).

لَقَدْ نَزَّلْنَا وَأَمَّا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَغْفُلُ فِيهَا الْعَوَامُ، وَبَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ: بِإِنْزَالِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى حَوَادِثٍ وَأَعْيَانٍ، ثُمَّ يَحْتَلُونَ بِمُقْتَضَى نَزِيلِهِمْ، وَيَحْتَلُونَ أَنَّهُمْ يَحْتَلُونَ بِالنَّصِّ الثَّابِتِ، وَهُمْ يَحْتَلُونَ بِظَنِّهِمْ، لَا بِالنَّصِّ، وَكَثِيرًا مَا سَفِطَتْ دَعَاةٌ، وَوَقَعَتْ فِتْنٌ فِي النَّاسِ، وَاسْتَبِيحَتْ حُرُمَاتٌ، بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وتجوزُ السلفُ لتنزيلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بِأَبْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي يَنْبَغُهُ عَمَلٌ وَلِشَرِيحٍ؛ فَلَهُمْ كَانُوا يَنْزِلُونَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِحْتِيَاطِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَحْتَلُونَ ذَلِكَ اسْتِنَاسًا، لَا أَصْلًا يَسْتَقِلُّ بِهِ الْعَمَلُ وَالْفَرَكُ.

وقد جعلَ اللهُ لِلْسَّاعَةِ أَمَارَاتٍ؛ رَحْمَةً بِالنَّاسِ لِيَعْتَزَّ مَنْ أَرَادَ لَهُ الْإِعْتِبَارَ، وَيَرْجِعَ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْعُقُودَةُ؛ حَتَّى لَا تَقُومَ السَّاعَةُ إِلَّا وَقَدْ انْفَلَتَتْ أَعْدَارُ النَّاسِ، وَقَامَتِ الْحُجُجُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْكُوفَةُ عَلَيْهِمْ.

وَعَلِمَ السَّاعَةَ عِنْدَ اللهِ لَا بِجَلِّيَّهَا لَوَقْتُهَا إِلَّا هُوَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الْغُيُوبِ وَالْغُيُوبُ الْقَتِيلَةُ﴾ [القصص: ٢٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا هُوَ﴾ [الأعراف: ٢١٨٧]، وَمَنْ زَعَمَ عَلَمَهُ أَوْ ادَّعَى لِعِبَرِهِ الْعِلْمَ بِيَوْمٍ مَعَيَّنٍ مَحْدُودٍ تَقُومُ فِيهِ السَّاعَةُ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَكُتِبَ خَيْرُهُ.

الحساب والعقاب:

﴿قَالَ كَذِبًا إِنَّكَ وَمَنْ يُكَذِّبُكَ﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَاعَتْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَضَفَّحَ لَهُمْ بِالثَّوَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ السَّخَائِرَ، بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَنْتَبِ مِنَ الْكِبَائِرِ ضَاقًا إِلَى مَحِيئَتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا سِوَهُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]:

يُحْصِي اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كُلَّ أَعْمَالِهِمْ، دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، لَا يَتْرُكُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ دَقِيقَ حَسَنَةٍ وَلَا سَكَنَةً قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْقُصُ اللَّهُ جَمِيعًا بِكَيْفَتِهِمْ يَمَّا عَمِلُوا أَلْحَسَنَةُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٤٦]، وَقَالَ: ﴿وَنَقُولُ بِرَبِّكَ مَا كَانَ كُنَا الْعَشِيقَ لَا يَقُولُ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا إِلَّا أَلْحَسَنًا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَكِيمًا وَلَا يَخَافُ رَبُّكَ أَكْفًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَلَدَ جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَكْسِبُهَا الْعَبْدُ تَكْتَبُ لَهُ بِعَشْرَةٍ، وَالسَّيِّئَةَ لَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ إِلَّا بِوَاحِدَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالسُّوْءِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَانٍ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ وَمَنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَقَدْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ^(٢)، وَأَبِي قَتَادَةَ ^(٣)، وَأَبِي قُرَيْبٍ ^(٤)، وَغَيْرِهِمْ ^(٥).
وَمِنْ لُطْفِهِ: أَنَّ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ لِمَنْ تَابَ، فَمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مِمَّا كَانَ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَ قُفْرًا، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاطَلُهُ ذَنْبٌ، فَمَغْفِرَتُهُ تَعْمُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَكُونُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُتَوَرِّطُونَ﴾ [الزمر: ٥٣].

بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عِبْدِهِ، قَالَ ﷺ: ﴿لَا أَرَى بِتَوْبَةِ عَبْدٍ مِنْ أَخْوَفِهِمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي الرُّحَى فَلَا...﴾ ^(٦)، وَقَالَ:

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) البخاري (٤٦) و (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨) و (١٢٩) و (١٣٠).

(٣) مسلم (١٦٢). (٤) مسلم (٢٦٨٧).

(٥) كُتِبَتْ مِنْ هَذَا عَنْ عَبْدِ أَحْمَدَ (١/٣٢١ و ٣٤٥ و ٣٤٦) وَمِنْ ١٨٩٠٠ و ١٩٠٣٥ و ١٩٠٣٩، وَابْنُ حِبَّانَ (٦١٢١).

(٦) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذَيِّبُوا، لَلْعَلَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِكُمْ
بَلَايُودٌ فَيَسْتَغْفِرُونَ) ^(١)، لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ عَلَى الْخَطَا، فِي الْحَدِيثِ:
(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَغَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ) ^(٢).

﴿حَكُمَ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ﴾

وَمَنْ ارْتَكَبَ الصَّغَائِرَ، واجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ، كَفَّرَ اللَّهُ صَغَائِرَهُ عَنْهُ، وَلَمْ
يُؤَاجِلْهُ بِهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَهْتَدُونَ عَنْهُ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَلَنُعَذِّبَنَّكُمْ ثُمَّ لَنَكْرِمَنَّكُمْ﴾ [النساء: ١٢٦]، وَجَعَلَ لَذَلِكَ أَسْبَابًا كَثِيرَةً:

مِنْهَا: عَمَلُهُ الصَّالِحُ؛ كَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ،
وَرَمَاضَانَ إِلَى وَمِضَانَ، وَالْحَجَّ الْمَبْرُورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُذْنِبِ ذَنْبَهُ بِمَشِيئَتِهِ وَلِقَدَرِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْعَبْدُ سِيئًا
وَمَعْلَا مَقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَعَى فَضْلِهِ، وَسَبَّحَ رَحِمَتَهُ لِقَضَائِهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْكِبَائِرِ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، فَهَم تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ
عَلَيْهِمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَالَّذِي دَلَّلَتْ عَلَيْهِ نصوصُ الْوَحْيِ، وَاجْتَمَعَ
عَلَيْهِ السَّلَفُ: أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ خَيْرَ النَّاسِ عَلَى فَرِيقَيْنِ:

فَرِيقٌ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَمِمَّا يَهَيِّئُهُ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابٍ خَارِجَةٍ عَنْ
الْعَاصِي، كَدَعَاؤِ وَلِيِّهِ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ عَمَلٍ لَهُ صَالِحٍ آخَرَ، عَظَّمَهُ اللَّهُ فَغَلَبَ
عَمَلُهُ السَّيِّئَ، أَوْ أَنْ يَكْتَبَلَ شَفَاعَةُ غَيْرِهِ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ
أَنْ يُجَرِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ فِيهِ، يَكْفُرُ بِهَا مِنْ مَعَاصِيهِ؛ كَالْمَصَائِبِ
وَالْهَمَمِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مَا يُلْحَقُهُ مِنَ كَرَمٍ وَشِدَّةٍ فِي الْبَرَزَخِ، وَالْمَوْقِفِ

(١) مسلم (٢٢٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) الترمذي (٢٢٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥٦) من حديث أنس.

والقرض على الله وهول الصراط، وغير ذلك^(١).

وفريق: لا يَخْفِرُ الله له كِبِيرَتُهُ؛ فيعَلِّبُهُ بما يَطْهَرُهُ الله به في النار، ثُمَّ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ.

والأصل: أَنَّ الْفَرِيقَ الْأَوَّلَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي؛ لِيَسَعَوْ رَحِمَةُ اللهِ وَسَبْقُهَا لِنَفْسِهِ.

﴿مَصْبُورٌ مَّنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاكَ الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿قَالَ أَنَّى لِغَيْرِكَ﴾: ﴿وَمَنْ عَاقَبَهُ اللهُ بِنَارٍ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَادْخَلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ﴾: ﴿فَكَيْفَ يَسْمَلُ وَيَفْكَالُ دَرَكًا حَرَامًا يَسْوَدُّ﴾ (الفرقة: ٧)؛

مَنْ شَاءَ اللهُ عَاقَبَهُ مِنْ عَصَاكَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِيهَا كَالْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ الله وَعَدَ بِالْإِثَابَةِ عَلَى قَرَّةِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ؛ فَمِنَ «الصَّحِيحِينَ»، قَالَ ﴿﴾: ﴿أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ يَنْقَالُ حَبَّةٌ مِنْ حَرَّتِكَ مِنْ إِيمَانٍ﴾^(٢)، وَفِيهَا قَالَ: ﴿حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَقْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَخْبُدُ اللهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيُغْرِقُونَهُمْ بِالنَّارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَكْرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ؛ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَكْرَ السُّجُودِ؛ فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ كُلُّوا انْتَحِشُوا﴾^(٣)، وَفِيهَا قَالَ ﴿﴾: ﴿يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾^(٤)، وَفِي «الصَّحِيحِينَ» أَوْ أَحَدِهِمَا، مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي سَعِيدٍ،

(١) انظر: المجموع الفتاوى (١٧/٤٨٧ - ٥٠١)، وشرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٤١).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (١٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

وجابر^(١)، وعبد الله^(٢).

❧ وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة:

فلعنَّ الخوارج والمعتزلة: إلى سلب الإيمان منه، وأنه لا يدخل الجنة، ويخلد في النار.

ونعنت طوائف من المرجئة: إلى أنه لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه.

ولقد ذلَّ الذليل في «الصحيحين»^(٣) على تعذيب أقوام في النار من عصاة بني آدم، وإخراج أقوام من النار قد استجشوا واحترقوا، إلا مواضع السجود فيهم، وأنه يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان.

ومنه الأحاديث تشهد لصحة ما ذهب إليه أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، وفيها رد على مذاهب هذه الطوائف المخالفة.

❧ الشفاعة وأحكامها:

❦ قال الشيخ: «ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ، من شفع له من أهل الكتاب من أتى»:

الشفاعة ثابتة، وهي حق لعمري لا يتكبر أصلها مسلم، والشفع ضد الوثأر وهو: غم واحد أو أكثر إلى واحد أو أكثر، ليصل إلى حاجة يعجز عنها بنفسه.

(١) البخاري (٦٨٨٨)، ومسلم (١٩١).

(٢) البخاري (٦٨٧٩)، ومسلم (١٨٦).

(٣) سبق لخبرها قبل قليل.

وهذا من رحمة الله، وَسَعَى فضله: أَنْ جَعَلَ الأسبابَ الْمُنجِيَةَ مِنَ النارِ وَالْمُدْخِلَةَ لِلْجَنَّةِ مُتَعَدِّدَةً.

والشفاعةُ تكونُ للنَّجاةِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ أَوْ الْكَرْبِ، وَتَكُونُ لِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ، وَتَكُونُ لِرُزَالِ الْعَذَابِ، وَتَكُونُ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، وَتَكُونُ لِلارْتِفَاعِ فِيهَا قَرَجَةً فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّهُ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ الشَّفَاعَةِ:

■ **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِلنَّجاةِ وَالسَّلَامَةِ:** فَكَالشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ التَّوْقِفِ بِتَخْفِيفِ الْكَرْبِ عَلَيْهِمْ: بِأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِي حَسَابِهِمْ ^(١)، وَكَالشَّفَاعَةِ لِلنَّجاةِ مِنَ الْعَذَابِ لِمَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، فَيُنْجِيَهُ اللَّهُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ غَيْرِهِ ^(٢).

■ **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِتَخْفِيفِ الْعَذَابِ:** فَكَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَمَلِهِ أَبِي طَالِبٍ ^(٣)، وَشَفَاعَةِ وَشَفَاعَةِ غَيْرِهِ لِلْعَصَاةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّخَفِيفَ عَنْهُمْ ^(٤).

■ **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِرُزَالِ الْعَذَابِ:** فَكَالشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ النَّارِ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ النَّارِ: فَإِنَّ الْأَدَلَّةَ اسْتَفَاضَتْ أَنَّ أَتَوَاتِمًا مِنْ أَهْلِ الْكِبَايِرِ الْمُؤْمِنِينَ يُعْتَبَرُونَ فِي النَّارِ: إِنْ لَمْ يَرْتَحْنَهُمُ اللَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ ^(٥).

■ **وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ:** فَكَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَمَمِ أَنْ تَدْخُلَ الْجَنَّةَ بَعْدَمَا يُجَاوِزُونَ الصَّرَاطَ ^(٦).

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٧٤١٠)،

ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) البداية والنهاية (١٨٩/٢٠ - ١٩٢).

(٣) البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس.

(٤) البخاري (٦٥٦٠، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).

(٥) سبق قيل قليل من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وغيرهم.

(٦) كما عند مسلم (١٩٦، ١٩٧) من حديث أنس، و(١٩٥) من حديث أبي هريرة

وطيفة.

■ ولما الشفاعة التي تكون للارتفاع في الجنة: فهي شفاعة النبي ﷺ وغيره من الملائكة والأنبياء والصالحين لغيرهم: بأن يُلحظوا بهم، أو من قوتهم ممن نُصِرَ عملهم عن بلوغ تلك المرتبة^(١)، وكشفاعة الأزواج والآباء والأبناء والأرحام بعضهم لبعض^(٢).

ولا يَشْفَعُ إِلَّا مؤيِّمٌ، ولا تُقْبَلُ الشفاعة من غيره؛ لأن الله لا يَرْضَى عن الكافر:

وكلُّما ضَعُفَ إيمانُ العبد، ضَعُفَ احتمالُ شفاعته؛ حتى يكون أضعفَ الأمة إيماناً لا يَشْفَعُ لأحدٍ؛ لأنه لن يَشْفَعَ لمن قَوْلُهُ: «لأنه أقوى إيماناً منه، وليس نحوه أحدٌ يَشْفَعُ له».

وكلُّما علَتْ مرتبةُ المؤمن، قَلَّ الشايعون له؛ يُعَلِّقون عليهم، ويلوغي مرتبة تمام الرضا أو مقارنتها؛ ولهذا لم يثبت أن النبي ﷺ يَشْفَعُ له أحدٌ؛ لأنه أفضلُ الأنبياء والناس أجمعين؛ فكان أحقُّهم شفاعة لغيره، وغيره عنهم الشفاعة له.

ولا يَأْتِي بالشفاعة إلا الله، وليس إلا أحدٌ من الخلق؛ مهما علَتْ منزلته وارتفع شأنه؛ قال تعالى: ﴿كُلُّ الْوَالِدِ لِلشَّفَعَةِ جَمِيعاً﴾ (الزمر: ١٤)، وقال: ﴿وَتَقْبَلُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ وَمَا تَتْلُوا مِنْ حُكْمٍ فَاعْلَمُوا﴾ (يونس: ١٨).

والشفاعة لا تكونُ من أحدٍ حتى يكونَ فيها أمران:

- إنداء الله للشافع أن يَشْفَعَ.

- ورضا من المشفوع له.

(١) كما في حديث أبي موسى عند البخاري (٤٣٨٣ و ٦٣٨٣)، ومسلم (٦٤٩٨). وحديث أم سلمة عند مسلم (٩٢٠).

(٢) كما عند مسلم (٢٦٣٥) من حديث أبي هريرة. وهو في شفاعة الأبناء والآباء.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَشْفِي لَشَفَّيْتُمْ مِنْكُمْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِنَارٍ يَنْفَعُ﴾ [النجم: ١٢٦] فالكافِر لا يَشْفَعُ، ولا يَشْفَعُ لَهُ، لأن الله لا يرضى عن الكافرين؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَشْفَعُ عَنِّي أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِي﴾ [التوبة: ١٩]، والشفاعة لا بُدَّ فيها من رضا سبحانه، والكافِر لا يَشْفَعُ بالشفاعة؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا شَفَّعَهُمْ شَفَاعَةُ الْكُذِبِينَ﴾ [السنن: ٤١٨].

وقد أنكر بعض الطوائف الشفاعة بحسب أصولهم، وفرعوا على ذلك نقضها وإبطالها، ومنهم: مَنْ يُنْكِرُهَا حائِثَةً، ومنهم: مَنْ يُنْكِرُ بعضها:

فالخوارج والمعتزلة لا يَرَوْنَ صاحبَ الكبيرة مؤمناً؛ وعلى هذا: فلا شفاعة عندهم للمعصاة من المسلمين؛ لأنهم سلبوهم اسمَ الإيمان، وبما يلهم المرجئة الذين لا يَرَوْنَ الشفاعة للمعصاة أيضاً؛ لأنَّ المعصية لا تؤثِّرُ على الإيمان عندهم؛ وعلى هذا: فلا يدخلون النارَ بها أصلاً، فضلاً عن تخفيف العذابِ عليهم؛ فلا يدخل النارَ عند الخوارج والمعتزلة والمرجئة إلا نفسٌ كافرة.

فالخوارج والمعتزلة والمرجئة أنكروا باعتبار ما قرروا.

وأطلق أن الخوارج والمعتزلة والمرجئة يقولون بإنكار جميع أنواع الشفاعة علكَ عليهم.

❦ رؤية الله في الآخرة:

❦ ﴿قَالَ لَنْ يَرَىٰ لَّهُ بَشَرٌ خَلْقًا﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعْلَمَ مَا رَأَى خَلْقُهُ لَا وَجْهَ، وَأَعْرَضَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ]:

استفاضت النصوص على رؤية الله في الآخرة، ولم يَخْتَلِفِ الصحابة والتابعون ولا معروف يعلم من أتباعهم في ذلك:

قال تعالى: ﴿وَنُفِثَ بِهِمْ رَائِدَهُ ﴿١٣١﴾﴾ [يُنَادِيهِمْ] ﴿إِنَّ رَبَّكَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [النبأ: ٢٢ - ٢٣]؛ أي: تنظر إلى ربها بعيني رأيا، وهذا ما قرره السلف في تأويلها. وقد سأل أشهب مالك بن أنس عنها؟ فقال: «أَتَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ؟» قال: نعم، بأعينهم هاتين، قال أشهب: «لَنْ قَوْمًا يَقُولُونَ: ناظرة، بمعنى: منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا، بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]؛ أَتَرَاهُ سَأَلَ مُخَالًا ١٣٠... وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَنْتَبِهُونَ﴾ [المعقن: ١٥]»^(١).

فإذا كان هناك محجوبون، فهناك ناظرون؛ وهذا لازم القول، وقد استدلل بهذه الآية على الرؤية: مالك^(٢)، والشافعي^(٣)، وجماعة من أهل العربية؛ كغالب^(٤)، وغيره^(٥).

وقد جاء اللقاء بالله يوم القيامة في مواضع من الوحي؛ وبين ذلك قوله تعالى: ﴿فَيُشْفِقُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوُةَ سَكْمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ولازم اللقاء: الرؤية عند العرب^(٦)، وخبر الإجماع على ذلك؛ كما حكاه غلب^(٧).

وقد كان سخطون يلقن ابن القصار في مرضي موته: «أَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٨)، وكان أبو القباس بن طالب يستفتح خطبة الجمعة على

(١) شرح أصول الاعتقاد (٨٧١)، وترتيب المبارك (٤٢/٢).

(٢) شرح أصول الاعتقاد (٨٠٨). (٣) شرح أصول الاعتقاد (٨٠٩).

(٤) فائق الصراط (ص ٥٦١).

(٥) فتاويل مختلف الحديث (ص ٣٠٠ - ٣٠١)، وفرد على الجهمية للدارمي (١٦٦ و ١٦٧).

(٦) الشريعة لأجري (٩٨١/٢). (٧) الإبانة لابن بطه (٦٢/٧).

(٨) مباحث النفوس (٣٦٧/١ - ٣٦٨)، وقد سبق.

يَسِيرَ الْقَبْرَ وَانْ يَأْتِيَاب رُؤْيَا اللّٰهُ فِي الْآخِرَةِ^(١).

وَمِنَ الْأَدْلَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ زَيْنَ بْنَ أَبِي نَجْدٍ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لِحَبْلِ الْوَيْدِ إِذَا تَنَزَّلَ مِنْ سَكَنِهِ فَتَوَلَّى زَيْنَ﴾ (الأنعام: ١١٤٣) طائفة مَنَعَ مُوسَى مِنْ رُؤْيَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا زَمَ ذَلِكَ تَمَكُّنَهُ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ.

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى لَا يَسْأَلُ إِلَّا التَّمَكُّنَ، لَا يَسْأَلُ التَّمَكُّنَ.

وَكَمَلَك: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِلْحَبْلِ بِنَفْسِهِ، لِيُرِيَّ مُوسَى أَنَّ لَا طَائِفَةَ فِي خَلْقِهِ - الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا - عَلَى رُؤْيَا اللّٰهُ؛ لِأَنَّ الْجَبَلَ - وَهُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَشَدُّ خَلْقًا - لَمْ يَتَحَكَّلْ، فَاصْبَحَ دُكًا.

وَقَدْ جَعَلَ ابْنُ عَبَّادٍ دَلَالَةَ الْآيَةِ وَاضِحَةً عَلَى رُؤْيَا اللّٰهُ فِي الْآخِرَةِ^(٢)، وَبِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَعْنَى التَّجَلِّي: كَالْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ، قَالُوا: ائْتَجَلَى: ظَهَرَ وَابَانَ^(٣).

وَمَنْ يُعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، فَقَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُنَا، بِمَعْنَى: الْإِحَاطَةُ، وَعَدَمُ الْإِدْرَاكَ وَالْإِحَاطَةُ لَا يَنْفِي الرُّؤْيَا؛ فَقَدْ تَرَى مَنْ لَا تُدْرِكُهُ وَلَا تَحِيطُ بِهِ، وَالْإِدْرَاكَ فِي الْآيَةِ الْإِحَاطَةُ، وَهِيَ قَلْبٌ زَائِدٌ عَنْ مَجَرَّدِ الرُّؤْيَا، وَهُوَ مَمْتَنِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ طَائِفَةٌ فَتَرَّقَ بَيْنَ الرُّؤْيَا وَالْإِدْرَاكَ بِقَوْلِهِ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى وَطَرِغُونٍ: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْفَجْأَتَيْنِ قَالَ أَسْكَبْتُ تُورِيَّ إِنَّا لَنَدْرِكُكَ﴾ (الشعراء: ١٦١) رَأَوْهُمْ أَوَّلًا، ثُمَّ عَاوَلُوا إِدْرَاكَهُمْ ثَانِيًا.

وَكَانَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ يَشْتَدُّونَ عَلَى مُنْكَرِ رُؤْيَا اللّٰهُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ،

(١) ترتيب المجلد (٤/ ٢١٤). (٢) التمهيد (٧/ ١٥٣).

(٣) العين (٦/ ١٨٠)، وصحاحي الفرقان للزجاج (٢/ ٣٧٣)، وتهذيب اللغة (١١/ ١٨٥) - (١٨٦).

قيل لمالك: «إنهم يزعمون أن الله لا يرى»، فقال مالك: «السيف السيف»^(١).

وقد ضرب أسد بن القُرَاط في مجلسه بالمسجد بتعليق رجل أنكر رؤية الله في الآخرة، وكان يقول: «والله، لو أدخِلت الجنة، فخرجت من رؤية الله، لَفَعَلْتُ، ولأننا أَسَرُّ برؤية ربِّي مِنِّي بالجنة»^(٢). وللشافعي كلام قريب من هذا^(٣).

وقال ابنُ المَاجِشُون: «مَن زَعَمَ أَنَّ اللهَ لا يَرى يَومَ القِيَامَةِ، اسْتَبَّ»^(٤).

وصنف غير واحد من المغاربة في رؤية الله وثمًا على المنكرين لها من المتكلمين، فكتب يحيى بن عَمَرَ كتاب «الرؤية»، وكتب ابنُ وَشَّاح كتابًا أما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى، وأكثر من رواية الحديث والأثر في الرؤية؛ حتى كان مُعَلِّمًا للمغاربة في هذا الباب؛ حتى قال أبو موسى الأنصاري: «كان المغاربة يزودون أقوال رؤية الله عن محمد بن وَشَّاح الأندلسي».

قال ابنُ أبي زيد في «الجامع»: «وَأَنَّ اللهَ مُبْهَاجَةٌ يَرَاهُ أَوْلِيَاؤُهُ فِي الْمَعَادِ بِأَنْصَارٍ وَأُجُوهِهِمْ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَاهُ» ثمَّ قَالَ ﷺ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِ اللهِ مُبْهَاجَةٌ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لِلَّهِ ذُنُوبًا﴾ (يونس: ٤٦)، قَالَ: (الحقني: الجنة، والرفاعة: النظر إلى

(١) شرح أصول الاعتقاد (٨٠٨ و ٨٧٢).

(٢) رياض القوس (١/ ٢٦٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٦٠).

(٤) شبه وغيره من كتاب السلف والأئمة محمد بن وَشَّاح في كتاب «الرؤية».

وَجِئُوا اللَّهَ تَعَالَى»^(١)، فَبَلَ إِسْمَاعِيلُ: أَرَى اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَزِيدُ كَيْدًا ۖ إِنَّ رَبَّكَ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٢ - ٢٣]، وَقَالَ ﷻ فِي الْآخَرَى: ﴿لَا يَنْفَعُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّهُمْ شَيْءٌ﴾ [المطففين: ١٥]، قَالَ تَالِيكَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ذُوَّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَيَقُولُ أَلْفَ جَنَابٍ^(٢).

﴿الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعْتَمَعَهَا اللَّهُ:

﴿قَالَ لِيَرْزُقَنِي﴾: ﴿وَهِيَ الَّتِي أَلْبَسَ مِنْهَا آتَمَ نَبِيَّةً وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ بِلَاقَةٍ، وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْتَمَعَهَا قَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْحَدَّ فِي آبَائِهِ وَنَفْسِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مُتَجَوِّبِينَ عَنْ رُؤُوسِهِ﴾:

ذَكَرَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي ادْخَلَهَا آتَمَ وَزَوْجَتُهُ، وَلَمْ يَفْزِدْ: ﴿وَلَقَدْ يَكْفَاكُمْ أَنْتَكَزَ أَمْرٌ وَتَوَقَّعَ لَقْنَتُهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وَالْأَصْلُ: كَوْنُهَا جَنَّةُ الْخُلُودِ الَّتِي يُؤْوِلُ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، وَقَدْ كَانَ آتَمٌ وَخَزَائِدُ - وَمَعَهُمْ عُلُوُّهُمْ إِبْلِيسُ - فِي جَنَّةِ السَّمَاءِ؛ وَلِهَذَا أَحْبَبَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ أَفْطَلُوا بَيْنَ رَبِّمَا﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ أَفْطَلُوا بِحُسْرَى لَيْتَنِ عَدُوًّا وَلَكُنِّي فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَبَنِيَّ فِي جَنَّةٍ﴾ [البقرة: ٣٩]، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّ آتَمَ تَطَلَّبَ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَبَحَلُّهُ مِنْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿وَهَلْ أَفْرَجَكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آتَمٌ؟﴾^(٣)، فَقَدْ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا هِيَ الَّتِي سَيَقُولُونَ إِلَيْهَا.

(٢) «الجامع» (ص ١٧٣ - ١٧٤).

(١) «الجامع» (ص ١٠٩).

(٣) مسلم (١٩٥).

وقد جاء ذكرُ الجَنَّةِ التي دخلها آدمُ في القرآنِ معرَّفةً بلامِ التعريفِ، ولم يذكرها منكرًا؛ قال تعالى: ﴿لَسْتَ أَتَىٰ الْبَيْتِ الْجَنَّةِ﴾ (الاعراف: ٤٩)، وقال: ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَقْدِرُ﴾ (طه: ١١٧)، ولا جَنَّةَ يَمَعُهَا المخاطبونَ ويعرفونها عند سماعها إلا جَنَّةَ الخلدِ.

وقولُ ابنِ أبي زَيْدٍ: «وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعْلَقَهَا دَرَجَاتُ خَلْقٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ»، لا يبرِّئُ به: أنَّ بعضَ عصاةِ المؤمنين لا يدخلون النارَ، وإنما هذا ذكرُةٌ يقيّدُ الخلودَ، والمؤمنُ لا يخلدُ في النارِ ولو غلبَ فيها؛ ولهذا قيّدَ، فقال: «فَدَرَجَاتُ خَلْقٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ».

ولا يرى الكُفَّارَ ربُّهم يومَ القيامةِ؛ لأنَّ رويَّةَ نعيمٍ، ولا نعيمٍ لهم؛ وقد قال تعالى: ﴿فَلَا يَمَسُّهُمُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ سُجُودٌ﴾ (المطففين: ١٥)، وقال وجلُّ لِمَالِكٍ: يا أبا عبدِ الله، هل يرى المؤمنونَ ربُّهم يومَ القيامةِ؟ فقال مالكٌ: «لو لم يَرِ المؤمنونَ ربُّهم يومَ القيامةِ، لم يعبِّرِ اللهُ الكُفَّارَ بالجبابِ» قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَمَسُّهُمُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ سُجُودٌ﴾ (المطففين: ١٥)^(١).
وبهذا استدلالُ الشافعي وأحمد^(٢).

❦ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ:

قال في «الجامع»: «وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا، أُجِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ، لَا تَقْبَلَانِ وَلَا يَبْدَانِ»^(٣).
أخبرَ اللهُ بخلقِ الجَنَّةِ والنَّارِ، وأَنَّهُ أَعْدَعُهما قبلَ يومِ القيامةِ لأهلِهما؛ كما قال تعالى عن الجَنَّةِ: ﴿أُجِدَّتْ يُسُودٌ﴾ (ال عمران: ١٣٣)،

(١) «نزهة على الجبهة» (ص ١٣٣).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٠).

وقال عن النار: ﴿لَيْسَتْ بِكَافِرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٤، وآل عمران: ١٣١] فإعدادها سابق لعنلي العابدين، وأعدّها الله لسابق علميه وتقديره، ولما خرج بالنبي ﷺ إلى السماء، أَرَى الْجَنَّةَ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٧﴾ هُوَ جُزْءٌ مِّمَّا تُكَلِّمُ ﴿١٨﴾ مِنْهَا جَهَنَّمُ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وقد أَرَى الْجَنَّةَ والنار في أحاديث كثيرة^(١).

وقد رأى النبي ﷺ الجنة والنار في المنام، ورؤيا الأنبياء حق، ليست كأحلام الناس؛ وبهذا يستدل أحمد على أن الجنة والنار قد خلقتا؛ كما نقله عنه عَثَلٌ^(٢)، وأدلة خلق الله للجنة والنار صريحة متواترة، وقد جَزَمَ أحمد بكفر منكر ذلك؛ كما نقله عنه الأندلسي وغيره^(٣).

وكلُّ من نفى القنطرة، أَرَبَهُ القول بغير سببي خلق الجنة والنار.

﴿خلود الجنة والنار﴾

ولقد قالت بعض الطوائف: إن أفعال الله لها آخر، ومنها الجنة والنار، وعلى هذا قَتَبَانٌ؛ وهو قول الجهم بن صفوان^(٤).

وربما استدَلَّ بعضهم ببعض عموماً القرآن؛ كقولهم تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِشْرِينَ بُيُوتًا مِثْلَ بَيْتِ عَمَالِكَ لَافْتَدَوْا بِهِمْ سُوءَ ظَنِّي فِيهِمْ وَبِئْسَ مَا لَدَى الْعَالَمِينَ﴾ [التقصي: ٤٨٨].

وجميع السلف على أن الجنة والنار لا قَتَبَان، وإنما قُدَّة كلام قليل لبعضهم في فناء النار^(٥)، وقد ذكر الله أبدية النار في مواضع من

(١) كما في حديث أسماء عند البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٤). وحديث انس أيضا عند البخاري (٥٤٠)، ومسلم (٤٦٦).

(٢) طبقات الحنابلة (١/٣١١). (٣) طبقات الحنابلة (٢/٣٣٩).

(٤) مقالات الإسلاميين (٢/٣٩٦)، وهجره التعارض (٢/٣٥٨).

(٥) انظر: رسالة دفع الأستار، وفلارد على من قال بفناء الجنة والنار.

كتاب: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿تَحِيلِينَ فِيهَا لَيْلًا﴾﴾ النساء: ١٦٩، والأحزاب: ٦٥، والجن: ١٢٣، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَلِكْ رَحْمَةً تَحِيلًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ (نور: ٢٤)، وقد صحَّ الحديث بالإنشائي بالسؤدد في صورة كبش أبيض، فيذبح بين الجنة والنار^(١)، والقول بقاء الجنة أعظم من القول بقاء النار، وقد جزم أحمد بن حنبل بكفر من قال بقاء الجنة خاصة؛ كما في رسالته إلى مسدد^(٢).
وقد تكلمنا على ذلك بالتفصيل في «الخراسانية»^(٣).

صفة المجيء لله:

﴿قَالَ لَيْسَ بِزَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ بِزُومِ الْفِيَاةِ، وَالْمَلَكُ سَكًا﴾﴾ (النور: ١٢٢) يعرض الأسماء ويصايفها، وعقولها وتوابها: ثَبُتَ صفةُ المجيء لله تعالى حقيقة كما يليق به، لا كما يليق بالمخلوق، وإثباتها كتابات سائر أفعالي الاختيارية؛ كالاستواء والنزول وغيرهما، وقد ذكر ابن أبي زيد إثباتها حقيقة بقوله في «الجامع»: «بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ جَانِبًا»^(٤).

والإنشائي والمجيء: من الصفات الفعلية الخبرية؛ وقد قال تعالى: ﴿قَدْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَتَخْلُجُهَا وَلِيَمُنَّ الْأُمَرَاءُ﴾ (البقرة: ٢١٠)، وقال: ﴿قَدْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ التَّنْجِيَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَكُنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ رُكُوعٌ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ سَكًا﴾ (النور: ٢٢).

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد.

(٢) مخطوطات الخاتمة (١٢٦/٢). (٣) «الخراسانية» (ص ٣٥٠).

(٤) «الجامع» (ص ١٠٧ - ١٠٨).

وقد حكى أبو الحسن الأشعري الإجماع على إثبات المجيء هو يوم القيامة؛ كما في رساليه إلى أهل القفرا^(١).

وقد روى حنبل عن أحمد: أنه تأول المجيء بمجيء قلزته، وأن الإتيان إتيان أمره.

ولم يرو ذلك عن أحمد أحد غيره، وقد أنكره عليه بعض الأصحاب؛ لأنه لا يجري على أصوله؛ قال أبو إسحاق بن شاذان: هذا غلط من حنبل، لا شك فيه، وأراد أبو إسحاق بذلك: أن مدعیه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الناس؛ هذا ظاهر كلامه^(٢).

وهذا لو صح عن أحمد، فليس هو يجري على أصول أهل التأويل؛ لأن أصول أحمد: الإتيان لأفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة.

وربما استحضرت فناء الأفعال الاختيارية في كيفية معينة؛ فحملهم ذلك على التأويل أو التعطيل.

وقد سمع الإمام أحمد قاضياً يروي حديث النزول، ويقول: ابلا زوال، ولا انتقال، ولا تغيير حال، فارتعد أحمد، واصلق لونه، وقال لابن عبد الله: قف بنا على هذا المتخرف، فلما حاذاه، قال: يا هذا؛ رسول الله أغبر على ربو منك؛ قل كما قال رسول الله ﷺ، وانصرفت^(٣).

والإتيان والمجيء هو يثبت حقيقة تليق به، بلا تأويل ولا تكليف

(١) رسالة إلى أهل القفرا (ص ٢٢٧).

(٢) إبطال التاويلات (١/ ١٣٢)، ومجموع الفتاوى (١٦/ ٤٠٤ - ٤٠٦).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص ١١٠).

ولا تمثيل، وقد بين ابن أبي زيد ثبوت ذلك حقيقة؛ كما هو ظاهر كلامه في «الجامع»؛ حيث قال: «وَيْدًا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَضَعُ كُرْسِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتُضَلَّ الْقَضَاءُ»^(١).

والثبات المجيء والإتيان، والنزول هو حقيقة تليق به، لا يلزم منه التشبه.

وربما جرى بعض أهل الشك على الأصول الكلامية؛ فجعلوا لوازم لا دليل عليها إثباتاً ونفيًا، عند إثبات المجيء والإتيان والنزول؛ كالحركة والانتقال وحل العرش؛ فأرادوا تنزيه الله عن تلك اللوازم؛ فرجعوا إلى ما أثبت الشرع، فتأولوه.

والحق: الإمساك عن تلك اللوازم؛ فكونها لازمة للمخلوق، لا يجوز الخوض فيها في حق الخالق؛ فمن لا يشبهه شيء في صفاته لا يشبهه شيء في لوازمها.

واستنكار ابن عبد البر للفظ: «إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ» في «الاستنكار»؛ من هذا الباب؛ قال: «وَقَدْ قَالَتْ فِرْقَةٌ مُتَّبِعَةٌ إِلَى الشُّكِّ: إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ؛ وَهَذَا قَوْلٌ مَجْهُورٌ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لَيْسَ بِمَحْمُولٍ لِلْحَرَكَاتِ، وَلَا فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عِلَالِمَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ»^(٢).

ومثله: قوله في «المجيب» في كتابه «التمهيد»: «وليس مجيئه حركة، ولا زوالاً، ولا انتقالاً؛ لأن ذلك إما يكون إذا كان الجاني جسمًا»^(٣)؛ وهذا من ابن عبد البر هو قول أبي الحسن في «الرسالة» إلى أهل النضر^(٤).

(١) «الاستنكار» (٨/١٥٣).

(٢) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٣) «رسالة إلى أهل النضر» (ص ٢٢٧).

(٤) «التمهيد» (٧/١٣٧).

وقد كان الإسم أحمد يُذكر من يورث هذه اللوازم: «الزوال، والانتقال، وتغير الحال»؛ بِحُجُوقِ نفيها عند إثبات النزول، وقد سَمِعَ أحمدُ قاضياً يروي حديثَ النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغير حال، فارتدَّ أحمدُ، واصفرَّ لونه، وقال لا يبيد عبيد الله: قف بنا على هذا المتخرف، فلما حافاه، قال: يا هذا رسول الله الخير على ربو يترك، قل كما قال رسول الله ﷺ، وانصرفت»^(١).

وابن عبد البر نُجِبَ للاستواء على ظاهره؛ وهو على طريقة السلف في الصفات، وإن جرى في مواضع قليلة من كلامه التقرير على ما يُشابه في الظاهر طريقة أهل الكلام؛ وهذا لا يُخرجُه عن أصله الذي هو عليه؛ في عائق تقريره المجمل والمفضل.

الميزان والوزن:

﴿قَالَ رَبِّيَ رَبِّي: ﴿وَنُوضِعُ الْمَوَازِينَ لِيُوزَنَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ﴾﴾^(٢) ثَلَاثَ مَوَازِينَ فَأَوَّلُهَا مِمَّا تَقُولُونَ ﴿الْأَرْوَاحُ﴾: (١٨):

الميزان حق؛ كما قال مالك بن أنس وغيره^(٣)، وقد عده أحمد وابن الكلبي من أصول السنة^(٤)، وقد جاء ذلك في الكتاب، وتواتر في السنة، واجتمعت عليه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَنُوضِعُ الْمَوَازِينَ لِيُوزَنَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ﴾^(٥).

ويضع الله الميزان؛ لِيُنْزِلَ الْحُجَّةَ على عباده، فيوزن أفعالهم، ويُقَرَّبُوا صُحُفَهُمْ، ويُصَوَّرُوا مَوَازِينَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ؛ لِيَعْرِفُوا مَا يَسْعَوْنَ، مِن

(١) «الاعتقاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ١٦٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧ و ٣١٨).

النعم والعذاب، ويعرفوا مقدار ذلك، وإذا جازتهم رحمة من الله، عرفوا قدرها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمَّا سَكَتَ مَوْزِينُهُ ﴿٦﴾ وَقَدْ بَلَغَ فِي هَيْبَتِهِ مِيزَانُهُ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَثَمُهُ كَانَ بَرًّا ﴿٩﴾ وَنَا أَدْرَاكَ مَا وَصِيَّةُ ﴿١٠﴾ نَارُ حَيْكَةٍ﴾ [التارعة: ٦ - ١١].

وتورّد جميع الأعمال، ويحتمل الله لكل عمل وزناً بالعدل، وفي «المصحيح» قال ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لَهُ تَمْلَأُ الْبَيْزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لَهُ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)^(١).

وتورّد كذلك الأبدان، كما في الحديث: (يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالرَّجُلِ السُّومِي، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ يَغُوضَةٍ)، ثم قرأ: ﴿فَلَا تُؤْمِنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَأَاهُم﴾^(٢)، وفي فضل ابن مسعود قال ﷺ: (الْمُتَعَبِّبُونَ مِنْ وَقْفٍ سَائِلٍ؟ تَوَلَّى نَفْسِي يَدِي، لَهْمَا فِي الْبَيْزَانِ أَثَقُلَ مِنْ أُخْبٍ)^(٣).

وكذلك تورّد الكُفْبُ، كما في حديث صاحب البطاقة، وفيه: (فَطَاشَتِ السُّجُلَاتُ، وَفُتِلَتِ الْبَطَاقَةُ)^(٤).

ولا يثبت في حجم البيزاني حديث، وقد روي أن له كفتين، لظاهر حديث عمرو بن العاص، وهو حديث البطاقة، وفيه: (فَوَضَعَ السُّجُلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السُّجُلَاتُ)^(٥)، وبهذا يقول الأكثر، وحكى أبو إسحاق الزجاج الإجماع على ذلك^(٦).

(١) مسلم (٢٢٢) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) البخاري (١٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أحمد (١/١٢٠) رقم (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٠٦٩).

(٤) الرملي (٢٦٢٩)، وابن ماجه (١٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) الموضع السابق.

(٦) فتح الباري (١٣/٥٢٨).

ومتهم: مَنْ أَثَرُ الْكُفْتَيْنِ؛ كَابِي حَزْم^(١).

وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ؛ كَسَلْمَانَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبَعْضِ
التَّابِعِينَ؛ كَالْحَسَنِ^(٣)؛ أَنَّ لَهُ لِسَانًا؛ يَعْنِي: مَا بَيْنَ الْكُفْتَيْنِ مِمَّا يَبِينُ
الرَّجْحَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِفَتِهِ.

❦ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَكَيْفِيَّةُ اسْتِلَاوِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْدٍ: «وَرُوِيَ أَنَّ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَمَنْ ﴿فَلَمَّا مَنَ أُولَى
كَيْفَهُ يَبِينُ﴾ ❶ قَوَّيْتُ مَحَاسِنَ حَسَنَاتِهِ ❷» [الاصناف: ٧ - ١٨]، وَمَنْ أُولَى
خِيَانَةً وَزَادَ ظُهُورَ (فِي «الجامع»: بِشَمَالِهِ)^(٤) فَأُولَئِكَ يَسْلَوْنَ سَمِيرًا^(٥):

يَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ، وَيُحْصَوْنَ
عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ؛ حَتَّى يَرَى الْعَبْدُ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِغَيْبِهِ،
وَيَقْرَأُ؛ سِوَاهُ كَانَ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا؛ قَالَ تَعَالَى:
﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِنَفْسِهِ عَزِيزٌ ذُو قُرْبَىٰ وَنَحْنُ لَهُ الْيَاقِينُ﴾ [الانعام: ١٢٦]، وَطَائِفَةٌ:
﴿لَا يَكْتُمُ كَلِمَةً يَسْمَعُهَا﴾ [الانعام: ١٢٦]، وَطَائِفَةٌ:
عَمَلُهُ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ^(٦).

وَالْمَوْمِنُ يُؤْتَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ إِكْرَامًا وَبِشَارَةً لَهُ؛ فَهَلَا ظَاهِرًا حَيْثُ
إِنَّهُ يَشْرُ بَكْتَابِهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَ النَّاسُ مَعَهُ؛ لِنَا بُشْرًا بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا مَنَ أُولَى كَيْفَهُ يَبِينُ﴾ [الاصناف: ١٨]، وَطَائِفَةٌ:
[الحاقة: ١٩].

(١) «القصص في المال والنحل» (١/ ٤٥٥). (٢) «شعب الإيمان» (٢٧٨).

(٣) «مسائل حرب» (١٧٤٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١٠).

(٤) «الجامع» (١١٢).

(٥) «تفسير عبد الرزاق» (١/ ٣٧٤)، و«تفسير ابن جرير» (١٤/ ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢٣ و ٥٢٤).

وأما الكافر، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، لا يؤتى به من أمامه؛ لأن الأمان إكرام، كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَىكَ يَكْتُمُونَ إِلَيْكَ إِلَهُكَ فَأَنْتَ أَعْلَمُ السِّرِّ﴾ (النمل: ١٠).

واختلف في صاحب الكبيرة الذي لم يغفر الله له من المسلمين، وأراد عذابه؛ هل يأخذ كتابه بيمينه أو بشماله، على قولين:

- فمنهم ^(١) من قال: بشماله؛ لأن الله كتب عليه العذاب في النار إلى أمده؛ وهذا ينافي استبشاره بالنجاة، ومثله لا يقال فيه: إن حسابته يسره؛ كما في أصحاب اليمين؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَىكَ يَكْتُمُونَ إِلَيْكَ إِلَهُكَ فَأَنْتَ أَعْلَمُ السِّرِّ﴾ (النمل: ١٠). فمن كُتِبَ عليه النار من عصاة الموحدين، لا يَنْقَلِبُ مسروراً إلى أهله.

- ودفع آخرون ^(٢): إلى أنه يأخذه بيمينه؛ ولكن لا يستبشر استبشار الناجين، ولا يُسر كسرهم؛ فالتاس على مراتب في هذا.

- وفي ذلك قول ثالث: أن العصاة يأخذون كتبهم وراء ظهورهم، وأما المؤمنون: فيأخذونها بأيمانهم، وأما الكفار: فيبشالهم؛ وبهذا قال ابن حزم ^(٣)، وفيه نظر.

❦ الصراط وأحوال الناس فيه:

❦ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الصِّرَاطَ عَلِيُّ، مَجْدُورَةُ الْعِبَادِ بِفَتْحِ أَحْمَالِهِمْ؛ لَنَاجُونَ مَقْدُورُونَ فِي سُرْعَةِ النِّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ قَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْفَقَتْهُمْ فِيهَا أَحْمَالُهُمْ﴾:

(٢) «طابع الأتوار» (١٨٣/٢).

(١) «طابع الأتوار» (١٨٣/٢).

(٣) «المطبعة» (١٧/١).

والصراط حتى باتفاق السلف، وهو جسر موروثة على مني جهنم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا أَكْرَهًا﴾ (سهم: ١٧١) بمعنى: جهنم، والورود يكون على الصراط، لا يصل أحد إلى مكانه من الجسر إلا من فوقه إن كان مؤمناً، وإن كان غير مؤمن، فيسقط ويهلك مع الهالكين، وفي «الصحيحين» من حديث طويل، فيه: (وَيُضْرَبُ جَسْرُ جَهَنَّمَ)، قال رسول الله ﷺ: (فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدَعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، وَيَوْمَ تَلَابَيْثُ يَفْلُ شَوْكُ السُّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السُّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا وَقْتُ شَوْكِ السُّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَفْلُمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَتُخْطَفُ النَّاسُ بِأَعْيَالِهِمْ، يَنْتَهَبُ الْمُؤْتَى بِعَنْقَلِهِ، وَيَنْتَهَبُ الْمُخْزَذَلُ، ثُمَّ يَنْجُو...^(١))، الحديث.

وتنزل الناس عليه بحسب إيمانهم، وشُرعة سقوطهم بمقدار كفرهم وفجورهم، وأثبت الناصي على صراط الدنيا أئمتهم وأسرعهم على صراط الآخرة كما في «الصحيحين» في الحديث: قال: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرِيقِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالْجَاوِدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَنَاجٍ مُخْذُولٌ، وَمُخْذُولٌ لِي نَارُ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ أَيْمُهُمْ يُسْحَبُ سَحَبًا)^(٢).

وهو دقيق مريلة قدم إلا لمن ثبتته الله كما قال ابن مسعود: (وَالصُّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، فَخُضُّ مَرِلَّةٍ)^(٣)، وقال سلمان: (إِنَّهُ كَحَدِّ الْمُوسَى)^(٤).

(١) البخاري (٦٤٧٢)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي سعيد.

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢٧٨). وقد روي عنه عروفاً.

(٤) ابن أبي شبة (٢٥٣٣)، وابن الأحرابي (١٨٢٧). وقد روي عنه عروفاً.

ودقة الصراط إنما هي من أقوال الصحابة والسلف، وليس في ذلك شيء مرفوع، وما لم يختلف عليه السلف، فالأصل: أن له أصلاً.
ولا يجوز إنكار الصراط لمجرد الاستكثار العقلي، كما يقتضيه ذلك طوائف من الماديين والمعتزلة؛ فإن العقل لو كان حَكَمًا على النص، لكان إنكاره غير ذلك من أمور القيامة أولى من إنكار الصراط؛ ولكن ما ثبت به النص من الغيبات لا يجوز لأحد إنكاره بالعقل؛ فإنه ليس في صريح العقل ما يجعل ذلك.

❦ الخوض المورود:

❦ قَالَ لَيْسَ بِشَيْءٍ: «وَالْإِسْمَانُ بِخَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَطْمَأَنَّ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُنَادِي عَنْهُ مَنْ يَذْكُرُ وَغَيْرَ»:

خوض النبي ﷺ حق، وقد استفاض فيه الحديث واشتهر، بل تواتر حتى رواه أكثر من خمسين صحابياً، باسمه ومعناه، وكان يعرفه عوام أهل الصدر الأول، وهو رجاء الجميع ودعائهم؛ قال ﷺ: (خَوْضِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، مَأْوَةُ أُنْبِيَهُنَّ مِنَ اللَّيْلِ، وَوَيْحَةُ أَطْطَبَ مِنَ الْوَيْشِكِ، وَكَيْبَرَاتُهُ كَتُجُومِ السَّيِّءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَطْمَأَنَّ أَبَدًا)^(١).

ولا يشرب من الخوضي إلا نفس مؤمنة من أمة محمد ﷺ؛ وذلك أن من شرب منه لا يطمأناً أبداً، ومن كتب الله عليه النار، فلا بد أن يطمأناً، وفي الحديث قال ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْخَوْضِي حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ وَتَكْفُمُ، وَمَنْ يُلْخِذُ لَأْسَ ذَوِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي وَمَنْ أَتَيْتُ؛ قِيلَ: خَلْ شَعَرَتْ مَا عَمِلُوا بِذَلِكَ؟ وَاللَّهُ مَا يَرْجُمُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)^(٢).

(١) البخاري (٦٨٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) البخاري (٦٨٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) من أسماء بنت أبي بكر.

والْحَوْضُ قَبْلَ الصِّرَاطِ فِي الْمَوْقِفِ عِنْدَ تَكْوِيلِ الْمَقَامِ، بَعْدَ الْيَعْتِ
وَتَوَلَّى الشَّمْسِ وَثَبُتَ الْعَطَشُ، فَذَلِكَ أَعْظَمُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَظْهَرُ فِي النَّعِيمِ.

وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ حَوْضًا لَهُمْ وَلِأَمْيِهِمْ، وَلَمْ يَثْبُتْ تَخْصِيصُ
النَّبِيِّ ﷺ بِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْبِيَاءِ يَتْلُو، وَالْمَوْقِفُ فِيهِ أَنْبِيَاءٌ وَأَوْلِيَاءُ مِنْ غَيْرِ
الْأَمْوِ، وَحَوْضُ النَّبِيِّ خَاصٌّ بِهِ وَبِأَتَمِّهِ، وَمَقْنَضِي رَحْمَةُ اللَّهِ وَفَضِيلُهُ: عَمُومُ
ذَلِكَ لِأَمْتَالِهِمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الدُّرُغُ وَالشَّعَّةُ، فَالْحَاجَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ
عَامَّةٌ لَهُنَّ الْأَمْوِ وَغَيْرَهَا.

وَقَدْ أَكْثَرَ الْحَوْضَ بَعْضُ الْمَافِيَيْنِ وَالْمَعْتَرِلُونَ^(١)، مَعَ كَثْرَةِ الْأَدْلُ
وَتَوَاتُرِهَا، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يَزِدَّ الدَّلِيلُ لِلنَّظَرِ.

❦ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِالسَّانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ،
وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ﴾:

الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، وَهَلَهُ حَقِيقَتُهُ؛ فَلِلْإِيمَانِ ظَاهِرٌ
وِبَاطِنٌ، وَهُمَا مُتَلَاوِمَانِ، الْبَاطِنُ: الْإِعْتِقَادُ، وَالظَّاهِرُ: قَوْلُ السَّانِ،
وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ
لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ تِلْكَ، وَقَدْ حَكَّى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ
عَلَى ذَلِكَ^(٢).

وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يَمُرُّ عَنْ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ:

فَخَرَجَ يَقُولُ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْإِقْرَارُ، وَالْعَمَلُ^(٣).

(١) التمهيد لابن عبد البر (٢/ ٢٩١)، والاختصار للقمي (٣/ ٧٢٠).

(٢) التمهيد (٢/ ٢٩١ و ٢٣٨/ ٩ و ٢٤٣).

(٣) مسائل حرب (١٦١٠)، وفائده لعبد الله (٦١٢).

ونارة يقول: الإيمان: قول وعمل^(١).

وجميع أصحاب مالِك على هذا، لا يُحفظ عن واحدٍ منهم مخالفةً فيه، وكان أبو مُصعبٍ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ - وهو من أصحاب مالِك، وفقية المدينة - يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر»^(٢).

والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمالي طائفتان:
الطائفة الأولى: المرجئة:

وهم على فرقي ومذاهب: منهم: الثلثة، ومنهم: ثَوْنٌ ذلك:
فالمرجئة منزلة: من جعل العملَ من الإيمان؛ ولكنه لم يجعل له أثراً على أصله، وإنما أثرة على فرجه أي: أنَّ وجوه العمل ونقصه وزواله يزيد الإيمان وينقصه، ولكنْ فقد العمل لا يُزيل الإيمان.

وهذا القول أقرب أقوال طوائف الإرجاء في الإيمان إلى السلف؛ وبهذا القول يقول جماعةٌ من أئمة الحديث وشُرَّاح المتأخرين^(٣)، فهم لم يُخرجوا العملَ من معنى الإيمان تفريقاً، ولكنهم أخرجوه أصلاً؛ فوافقوا السلف في التعبير، وخالفوهم في الأثر.

وبين المرجئة: من نزلَ قربةً عن أولئك^(٤)، فأخرج العملَ كله من معنى الإيمان؛ فجعل الإيمان قولاً واعتقاداً؛ إذ لم يكن للعملِ عندهم أثرٌ على زوالِ الإيمان، فأخرجوه منه بالكلية؛ فوافقت هذه الفرقة السلف

(١) مسائل حربية (١٥٦٨ و ١٥٧٠ و ١٥٧٣)، والفتاوى لعبد الله (٢١٣ و ٢١٤ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٧٠٢).

(٢) ترتيب المدارك (٣٤٨/٣)، فتح الباري (١/٤٦).

(٣) الفتاوى الأكبر (ص ٣٠٤).

بأن جعلوا للإيمان ظاهراً وباطناً، ولكنهم قَصَرُوا الظاهرَ على القول فقط، وباتى الكلام على حقيقة الإيمان وتحكم المخالفين فيه.

وبين المرجحة: من نَزَلَ مرتبةً فأخرج القول من الإيمان أيضاً فلم يجعلوا للإيمان ظاهراً بالكلية، وجعلوه في القلب فقط، والقلب قول وعمل، وهؤلاء على طائفتين:

- طائفة^(١): جعلت الإيمان: قول القلب، وهو المعرفة والتصديق، وهؤلاء غلاة المرجحة، وهم الجهمية.

- وطائفة^(٢): جعلت قول القلب وعمله كليهما الإيمان، فقول القلب: معرفته وتصديقه، وأما عمله: فخوفه ورجاؤه، ومحبه وتوكله وإخلاؤه.

وقول هذه الطائفة مع كونه أعفّ ضلّالاً بين الطائفة الأولى، إلا أنه يناقض نفسه، وذلك أن عمل القلب محبة وخوفاً ورجاءاً وتوكلًا، لا يمكن وجوده إلا مع قول اللسان وعمل الجوارح.

وكان الأئمة المغاربة يُذكرون إخراج العمل من الإيمان، وجعله في منزلة مختلفة عن الاعتقاد والقول^(٣)، ولما نُسِبَ هذا القول إلى يحيى بن سلام بلا بينة، اُنكِرَ عليه الناس حتى بلغ ذلك ابن وهب في المشرق، ووضّفه بالشرجي، ثم زالت التهمة عن يحيى ببيانِهِ، وأنه على ما كان عليه من سلف: كمالك، وشفيان، وغيرهما: أن الإيمان قول وعمل^(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٨٨/٧).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١٠١/١).

(٣) الشهادة لابن عبد البر (٢٢٨/٢).

(٤) طبقات علماء إفريقية (ص ٣٧ - ٣٨)، ورياض القوس (١/ ١٩١ - ١٩٢).

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة، وهم الوعيذة:

ولم يكن مذهب الخوارج له أصول وكتب يدرسها الناس في المغرب، وإنما يكنى في أهل الجهل، وأخذ مطلقاً الشريعة وعموماتها ومتشابهاتها، وتغيّب مخصصاتها ومفيداتا ومحكماتها.

وفئة الخوارج: في التكفير بغیر مكفر من الذنوب وسائر الأعمال، وبهذا عطلت فتنهم في المسلمين، فأضغوا يستولون شراً، ويشربون بالمسلمين فساداً، ولو تمكنوا من المسلمين، لكان قتلهم فيهم يرب من فعل الرافضة، وقد فعلوا في القيروان قرياً مما فعله الرافضة، إلا أنهم أوغل في التستر باستعمال الشريعة، فسكوا النماء تكفيراً، وانتهكوا الأعراس سراً، وسكوا المال غيبة.

وقد أراد قبل ذلك علماء المغرب القتال مع أبي يزيد مخلد بن كنفان الخارجي ضد الرافضة الشيعيين، وقد أظهر أبو يزيد التنسك، واستعظم المسلمون ما فعله الرافضة، فقاتلوا معه، وكان يربي بمن تبعه من أهل السنة في وجوه خصومه يقتوهم، فيكون الأمر له، فلا يشقى بهم من بعده، فكان يقول لأتباعه: «إنا التقيتم مع القوم - يعني: الرافضة - فانكشعوا عن أهل القيروان، حتى يتمكن أعدائكم من قتلهم، فيكونوا هم الذين قتلوهم، لا نحن، فتسريح منهم»^(١).

والرافضة والخوارج لا يؤمنون في إمرة على المسلمين، وخاصة في القتال، وكلهم يعمد إلى قتل العلماء قبل غيرهم.

وقد احتلفت في تكفير الخوارج^(٢).

(١) عليان المغرب لابن علقمي المراكشي (٢١٨/١)، وتاريخ الإسلام (٢٣٦/٧).

(٢) فتح الباري (٢٩٩/١٢ - ٣٠١).

والأكثَرُ: على عَدَمِ تَقْرِيرِهِمْ، مَا لَمْ يَقْعُوا فِي إِتْكَارٍ مَعْلُومٍ مِنَ الْقِيَمِ
بِالضَّرُورَةِ؛ فَإِنَّهُمْ طَوَائِفُ مَشَوَّعَةٍ، وَمَشَارِبُ كَثِيرَةٍ؛ مِنْهُمْ مُعَلَّأَةٌ، وَمِنْهُمْ
ذُونَ ذَلِكَ، وَقَدْ تَوَلَّفَ مَالِكٌ وَاحِدٌ وَغَيْرُهُمَا فِي تَكْفِيرِهِمْ^(١)، وَقَدْ قِيلَ
لِمَالِكٍ: «فَالْحَدِيثُ: (مَنْ قَاتَلَ لِأَخِيهِ: يَا تَكَايُرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)^(٢)؟
قَالَ: أَرَأَيْتَ فِي الْحَرُورِيِّ، يَبْلُ: فَتَرَاهُمْ بِذَلِكَ مُثْمَرًا؟ قَالَ: مَا أَقْرَبِي
يَا مُعَلَّأَةٌ^(٣)».

أسباب الافتتان برأي الخوارج:

وَأكْثَرُ مَنْ يَفْتَنُ بِالْخَوَارِجِ: فَبَسَبِ شَجَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَقَاتِلُونَ: إِذَا
أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُقْتَلُوا، وَبَسَبِ انتصَابِهِمْ لِكُلِّ مَنْ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ،
وَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ مَظْلُومٍ وَغَيْرِ مَظْلُومٍ، كَمَا فَعَلَ الْأَرْبَعَةُ حِينَمَا كَسَرُوا
بِحِجْنَ الْبَغْيَةِ، فَلَجَّحَ بِهِمْ مَنْ كَانَ فِيهِ وَمَاتَهُمْ.
وَهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ تَوَهُُّمًا لِنُصْرَةِ الْقِيَمِ وَالْمَظْلُومِ، وَلَا يُبْزَوْنَ دِينًا،
وَلَا يَنْصُرُونَ مَظْلُومًا، وَرَبَّمَا أَخْسَرُوا بِالْقِيَمِ وَالْمَظْلُومِ؛ قَالَ عَاصِمٌ بْنُ
أَبِي السَّجُودِ فِي خَارِجِيٍّ: «وَاللَّهِ! مَا أَقَرُّ هَذَا مِنْ دِينٍ، وَلَا دَفَعٌ عَنْ
مَظْلُومٍ»^(٤).

وَكَذَلِكَ: يُفْتَنُ النَّاسُ بِبَيِّنَاتِهِمْ وَتَمَسُّكِهِمْ بِرَأْيِهِمْ كَمَا لَوْ كَانَ وَخْيًا؛
فَلَمْ يَنْزَحْزَحُوا وَهُمْ يَقَاتِلُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ، وَلَيْسَ فِي صَفِّهِمْ
صَحَابِيٌّ وَاحِدٌ^(٥)، وَحِينَمَا تَوَلَّاهُ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه أَحْتَضَمَ بِالنَّارِ،

(١) «السُّنَنُ لِلْبُخَارِيِّ (١/١٤٥ - ١٤٦)، وَاسْتَوْجِبَ الْبُخَارِيُّ (١٢/١٨٩)، وَاشْرَحَ الْمَوْطَأُ
لِلزُّرْقَانِيِّ (١/٣٧٠).

(٢) الْبُخَارِيُّ (١/١١٠)، وَمُسْلِمٌ (٦٠) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ.

(٣) «الْجَامِعُ» لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ (ص ١٢٥). (٤) «السُّنَنُ» لِمُعَلِّهِ (١/١٥٣).

(٥) النَّصَابِيُّ فِي «التَّكْوِينِ» (٢/١٨٠).

رَدُّ عَلَيْهِ: «سَمِعْتُمْ إِنَّا أَوَّلَىٰ بِهَا»^(١)، وَكَمَا قَالَ شَيْبَةُ الْخَوَارِجِي: «مِنْ بَيْنِنَا: قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ رَأْيِنَا؛ بِنَا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا»^(٢) حَتَّىٰ إِنْهُمْ لَا يَحَابُونَ قَرِيبًا وَلَا بَعِيدًا بِفَهْمِهِمْ؛ حَتَّىٰ إِنْ الْأَزْوَاقَ وَالِدَ نَالِجٍ - وَكَانَ رَجُلًا سَيِّئًا - لَمَّا مَاتَ، لَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ نَافِعٌ»^(٣).

وَكَبَّاهُمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ بِسَبَبِ ثَلَاثَةٍ يُقْبَلُ فِي فَهْمِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا مَعَارِضَ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهُمْ كَهَمُّوا بِالْخَطَا، فَتَعَصَّبُوا لِفَهْمِهِمْ، وَفِي الْخَوَارِجِ مِنْ صِلَاةِ الرَّأْيِ وَضَعْفِ السِّيَاسَةِ مَا يَسْتَخْلِفُهُمْ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالرَّافِضَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَمِنْ الصَّحَابَةِ: مَنْ يُشْفِقُ عَلَىٰ حَالِهِمْ؛ لَشِقْوَةِ تَمَسُّكِهِمْ بِبَاطِلٍ يَتَوَقَّعُونَ حَقًّا؛ فَلَمْ تَمُتْ عَيْنَا أَبِي أُمَامَةَ لَمَّا رَأَاهُمْ قَتَلُوا؛ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(٤).

الصفة الجامعة للخوارج:

وَلَا يَجْمَعُ الْخَوَارِجَ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا حِفْظُ:

- التَّكْفِيرُ بِغَيْرِ مَكْلَفٍ.

- وَإِسِيَاحَةُ الدِّمِ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ عِفَائِدِ الْخَوَارِجِ وَضَلَالَاتِهِمْ، وَلَا يَذْكُرُهُ الْآخَرُونَ، فَلَيْسَ كُلُّ فِقْهٍ أَصَافٌ وَصْفًا رَدًّا لِيَهُمْ أَوْ بَلَاغًا عَنْهُمْ؛

(١) «تاريخ الطبري» (١/ ٨٧)، والعلانية والنهاية (١٠/ ٥٨٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (١/ ٢٨٨).

(٣) «أنساب الأشراف» (٧/ ١٥٤).

(٤) عبد الرزاق (١٨٦١٣)، وابن أبي شيبة (١٧/ ٣٩٠).

لأنهم يتجندون في الفقه، ويتنوعون في الآراء، لأن إمامهم: قهشهم؛ ولكنهم يتنوعون في هذين الأصلين في كل المصوري، وهذا استدلال عليهم علي بن أبي طالب؛ إذ لما حدث بحديث الخوارج، قال عن أهل النهرين: «أرجو أن يكونوا هم» فإنهم سفكوا الدماء الحرام، رواه مسلم^(١)، فعقد رأيهم بكفر المسلمين بفعلهم باستحلال ذبيحتهم، ولم ينسب صفة أخرى غير ذلك.

وقد يطلق الخوارج من الكلام المجمل ما يوافق الحق، ولكنهم يفسلون في تفسيره وتطبيقه، ويغتر بهم العادة نظراً لأقوالهم، وإعمالاً لتفسيراتهم، وقد كان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي - أحد أئمة الخوارج في القرن الثاني - يقول: «الناس منّا ونحن منهم، إلا عابد ومني، أو كفرة أهل الكتاب، أو سلطاناً جائراً، أو شاكاً على عبده»^(٢)، يتاول بذلك حديث: «أمر الله بكونون بتدي، لا تقتلون يهدي، ولا تستنن، يستني، فمن صدقهم بكتوبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا بني، وكنت منهم...»^(٣).

ومن نظر لثبوت عبادة الخوارج، وحسن كلامهم، تحير في أمرهم؛ كما تحير في ذلك بعض السلف فسأل ابن عباس؟ فقال: «ليسوا بأحد من اليهود والنصارى وهم يفسلون»^(٤)، ولما قتل علي أهل النهرين، انقضت عنه بعض أنصاره لأجل ذلك^(٥).

(١) مسلم (١٠٦٦).

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص ٣٨٦)، وتاريخ الطبري (٣٩٦/٧).

(٣) جامع مصر (٢٠٧٩).

(٤) المسند لابن أبي شيبة (٧٣١/٨).

(٥) تاريخ الطبري (٨٩/٥ - ٩٠).

وَيُسْرِخُ نَصْحُهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ:

وكان بعضُ السلف يرى عدم قتالهم حتى يبدؤوا المسلمين بالقتال كما قُتل عليُّ بنُ أبي طالب، وبه قال الشافعي^(١) فتعلمتُهم يرفعُ الجهل عن كثيرٍ منهم ويؤثرون، وقد بحث عليُّ ابنُ عباسي^(٢)، وبحثَ عمرُ بنُ عبد العزيز عَوْنُ بنِ عبد الله^(٣)، لما ظفرتهم ونفسجهم، وقد سئل أحمدُ عن إسماعيل الخارجي الحديث؟ فقال: «نعم» أخطوا لعلَّ الله يَغْفِرَ به^(٤).
وَرَوَى عن بعضِ السلف الضريق بين قتال الخوارج لإمام بخير وبين قتالهم لإمام عدل؛ فرأوا اعتزاله عند قتالهم لإمام بخير على الولاية، وروى هذا عن علي بن أبي طالب أنه قال: «وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقابلوهم» كما رواه الطبري^(٥)، وفيه رجل لا يُعرف^(٦)، وبهذا قال مالك وأحمد - في رواية - وابن القاسم^(٧).

الموقف عند اجتماع الضلالات:

وإذا اجتمعت الضلالات في زمنٍ من الأزمنة وتقاتل أهلها، فلا يتصير المسلم لطائفةً دونَ أخرى، وإنما ينتظر ما كان لصالح المسلمين،

(١) «البداية والنهاية» (١٠/٥٧٠).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٩٠٥٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٧/٣٥٠)، و«الشئكة لعبد الله» (١٥٠٢ و- ١٥٤٠).

(٤) «طبقات الحنابلة» (٢/٢٣٠).

(٥) «عزاء له الحافظ في الفتح الباري» (١٢/٣٠٩). وأخرج ابن أبي شيبة (٣٩٠٧١)، وأبو يعلى في «مسيرته» (٣٤).

(٦) قال الحافظ في «الموضع السابق»: وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن الحارث، عن رجل من بني نصر، عن علي... فذكره. وعند ابن أبي شيبة: رجل من بني نصر بن معاوية وعند أبي يعلى: رجل من بني نصر.

(٧) «الشئكة للخلال» (ص ١١٣)، و«المعونة» (١/٥٣٠)، و«البيان والتحصيل» (٢/٦٠٢).

والحكام القرآن لابن العربي (٤/٥٣).

وَأِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ أَسْمَعُ سَوَاعِدَ النَّاسِ.

وَالْخَوَارِجُ يُجْعَلُونَ رَأْيُهُمْ فِيهَا، وَالزُّنَادَةُ يُجْعَلُونَ النَّهْيَ رَأْيًا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَفْرُقُونَ بَيْنَ النَّهْيِ وَالرَّأْيِ، وَمَوَاضِعُ الْقَطْعِ وَمَوَاضِعُ الْجَهْدِ، وَائْتِمَارُ الْحُجُورِ وَالْمُرْجَعَةُ يُجْعَلُونَ الْإِكْتِازَ مِنْ دَمِّ الْخَوَارِجِ، وَالْخَوَارِجُ يُجْعَلُونَ الْإِكْتِازَ مِنْ دَمِّ أَهْلِ الْحُجُورِ وَالْمُرْجَعَةِ.

وَكُلُّهُ يَفْتَوُ تَسَعُّبٌ دَمِّ الْأُخْرَى عَلَى كُلِّ مَخَالِفِيهَا وَلَوْ كَانَ وَسَطًا بَيْنَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِدَالِ.

وَالْعَالَمُ الْمُتَصِفُ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَا تُجِبُّهُ كُلُّ فِتْنَةٍ فِي خُصُوبِهَا، بَلْ بِمَا يُجِبُّهُ اللَّهُ فِيهِمْ؛ لَكُمْ نَاقُصُ الْحَقِّ، بِمَحَابَةِ الْخَلْقِ!

الموازنة بين المُرْجَعَةِ وَالْخَوَارِجِ:

وَالْمُرْجَعَةُ أَشَدُّ عَطَرًا وَأَقْرَبًا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي الْبِلَادِ، وَالْخَوَارِجُ أَشَدُّ عَلَيْهِ مِنَ الْمُرْجَعَةِ فِي مَوَاضِعِ الْجِهَادِ؛ لِأَنَّهُمْ يَقْدُمُونَ قِتَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَنِ ثِيَابِ الْحَاجَةِ بِصُدِّ عَائِدَةِ الْكَافِرِينَ، وَيُجَبِّتُونَ - وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا - الْكُفَّارَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ خَارِجِهِ، وَالْمُرْجَعَةُ عَلَيْهِ مِنْ دَاخِلِهِ، وَيُعْمَلُ الْخَوَارِجُ ذَلِكَ بِتَحْلُلِ الْكُفْرِ وَالْبُهْدَةِ مِنْ خِلَالِ ثَمَرِهِ فَتَقْلَبُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ جَمَانِيَّتِهَا، وَرَبَّمَا أَهَانَهُمُ الْكُفَّارُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ غَدِيعةً بِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ غَدِيعةً وَنَصْرًا.

زيادةُ الإيمانِ ونقصانه:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، لِيَكُونَ فِيهَا النُّقْصُ، وَفِيهَا الزِّيَادَةُ»:

وَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ عُبِّرَ

ابن أبي زيد ينحو هنا في كتابه «الجامع»^(١)، ولكنه هنا جعل الزيادة والنقصان بزيادة الأعمال ونقصها، ليكون أشمل في المعنى، فإن الإيمان ينقص إن غلبت الطاعات ولو لم يتركب المؤثر معصية، فمن كان يقوم الليل ويصوم، يزيد إيمانه، فإن ترك قيام الليل، لم يكن إيمانه بدون القيام وثقله مع القيام.

وقد توارثت الأحاد في زيادة الإيمان ونقصه من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرُفِعَ صَوْرُهُمْ فِيهَا قِيلَ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا عِشْقٌ قُلُوبُهُمْ وَهُمْ يَخِشُونَ اللَّهَ﴾ (الأنفال: ٢٤)، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ الْإِسْلَامُ فَذَعَبُوا عَنْهُ لَمْ يَخِفُوا لَكُمْ لَخَشِفَتْهُمْ قُرْآنُهُمْ مِنْكُمْ وَكَانُوا بِحُكْمِ اللَّهِ وَجَعَلَ الْكُفْرَ الْبَاطِلَ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ أَرْكَانَ الشَّكَّةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ كَانُوا مِنْكُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (النسج: ٤٤).

وفي «الصحيح» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: (يَدْخُلُ أَفْئِدَةُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَفْئِدَةُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ ﷻ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَثَقُلٌ حَبِيَّةٌ مِنْ غُرْفَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ...) ^(٢).

ومن ذلك: قوله ﷻ: (الْإِيْمَانُ يَضَعُ وَيُسَبِّحُونَ شُعْبَةً) - وفي رواية: (يَضَعُ وَيُسَبِّحُونَ شُعْبَةً) - (أَفْضَلُهَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَدَاعَتُهَا: إِيْمَانَةُ الْأَدْنَى مِنَ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ: شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ) ^(٣).

وليس في المسألة خلاف عند الصحابة والتابعين وأتباعهم، جاء

(١) «الجامع» (ص: ١١٠).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

ذلك عن معاوية^(١)، وأبي هريرة^(٢)، وابن عباس^(٣)، وجندب^(٤)، وعنتر بن حبيب^(٥)، وسعيد بن جبيرة^(٦)، قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركت أحداً من أصحابنا إلا على سُنتنا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص»^(٧).

وقد حكي الإجماع على ذلك غير واحد كعبد الرزاق^(٨)، وأحمد^(٩)، والبخاري^(١٠)، وأبي حاتم^(١١)، وأبي ذرعة^(١٢)، وأبي حنيفة^(١٣)، وابن عبد البر^(١٤)، وغيرهم^(١٥)، ولصراحة الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة تجزم بعض أصحاب مالك بكفر منكر زيادة الإيمان ونقصائه، كابي مُصعب أحمد بن أبي بكر فقيه المدينة^(١٦).

والإيمان كما يزيد بالطاعة، فإنه ينقص بتركها، ولو لم يكن الترك حراماً، كما في الخبر في الحافض: وَمَا تَقْضَانِ وَيَتَنَاهَا قَالَ: (تَنْكُثُ كَذّاً

(١) حقه البخاري (١١/١) عن معاوية قال: «أجلس بنا ثوبان ساجدة.

(٢) «السُّنة للنفال» (١١١٨)، وشرح أصول الاعتقادات (١٧١١).

(٣) ابن ماجه (٧٤)، واللائحة (١٧١٢) عن ابن عباس وأبي هريرة.

(٤) «اللائحة لابن بطة (١١٣٦/كتاب الإيمان)، وشرح أصول الاعتقادات» (١٧١٥).

(٥) ابن أبي شيبة (٣٠٩٦٣)، وعبد الله في «السُّنة» (٦٢٤ و٦٢٥ و٦٨٠).

(٦) «اللائحة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(٧) مسائل أحمد: رواية ابن حاتم (١٨٩٨).

(٨) شرح أصول الاعتقادات (١٧٣٧)، واللائحة (١٣١/١٦).

(٩) «طبقات الحنابلة» (٣١٩/١ - ٣٥٠)، ومناقب أحمد لابن الجوزي (ص ١٧٢).

(١٠) «شرح أصول الاعتقادات» (٣٢٠)، وليس فيه لفظة: يزيد وينقص. وانظر: فتح الباري (١٧/١).

(١١) «شرح أصول الاعتقادات» (٣٢٩).

(١٢) «اللائحة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(١٣) «النهضة» (٩/٢٣٨).

(١٤) «تفسير الشُّكة» (٢٧)، ورسالة إلى أهل النخعة (ص ٢٧٢)، وشرح أصول الاعتقادات (١٧٠٣).

(١٥) ترتيب المدارك (١/١٨٨).

وَكَيْدًا يَوْمًا لَا تُصَلِّي هُوَ سَجْدَةً^(١) لصار ترك الطاعة - ولو كان بأمر خارج عن الإرادة - مؤثراً على الإيمان، فكيف بترك التوابع التي يُسَنُّ بفعلها، وقد قال أحمد: «إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقَصَ»^(٢)، ونقل صالح عن أبيه أحمد: «نُقْصَانُهُ بِتَرْكِ الْفَعْلِ»^(٣).

❦ زوال الإيمان وكماله:

وَالْإِيمَانُ بِنَقْصٍ حَتَّى يَزُولَ كُلُّهُ، وَيَزِيدُ وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُ أَحَدُ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ النَّامِ، وَالْكَمَالُ مُمْكِنٌ لَكِنَّهُ لَا يَحْضُرُ فِي النَّاسِ؛ فَمِمَّا كَانَ الشَّيْءُ شَيْءًا، وَحَصُولُهُ شَيْءٌ آخَرُ، وَاسْتَنَى إِسْحَاقُ الْأَنْبِيَاءَ؛ فَرَأَى أَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُمْ بِاسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ، وَيُلَوِّحُ غَايَتَهُ، وَلَكِنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَفَاضَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ الْمُسْتَحَبِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: «لَيْسَ لِلْإِيمَانِ مُنْتَهَى؛ هُوَ فِي زِيَادَةٍ أَبَدًا»^(٤).

وقال سلمان الفارسي: «لَوْ تَفَقَّحْتَ أَعْضَاءَ، مَا بَلَغْتَ الْإِيمَانَ»^(٥).

❦ نقصان الإيمان عند مالك:

وَلَا يَخْتَلِفُ الْقَوْلُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَهُ فِي نَقْصَانِهِ رَوَاتَانِ:

الأول: القول بنقصانهِ؛ وقد حكاهما عنه ابنُ نافع، ومحمد بنُ

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر، و(٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) «الشيء للخلاص» (١٠١٣)، (٣) «سألني أحمد» (٦٨١ و ١٠١٩).

(٤) «الشيء لمجد الله» (٦٨٧ و ٧٣٧).

(٥) «تنظيم قدر الصلاة» (٨٠١)، و«الشيء للخلاص» (١٠٤٧).

يحيى، وغيرهما^(١).

والثانية: بُعِبَ فيها عن الكلام في نقصان^(٢)؛ لا لعدم تحلقه، وإنما لأن التصريح لم تُصْص عليه بلفظه، فأراد الامتنال.

ومن نقل عنه أنه يقول بعدم نقصان الإيمان والمجزم بذلك، فقد أخطأ في النقل أو في فهم قوله.

وكان ابن أبي زيد - كما في «الجامع»^(٣) - يجعل توقف مالك عن النقصان حرجاً من الدريعة أن تُثاَوَّل أنه ينقص حتى يُلغَب كله؛ فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحيطون الإيمان باللغوب، ويجعل قول مالك في النقص فيما وقعت فيه الزيادة؛ وهو العتَل؛ ولهذا نقل عنه ابن أبي زيد أنه قبل لمالك: «فبعضه» - يعني: الإيمان - أفضل من بعض؟ قال: نعم^(٤).

الاستثناء في الإيمان:

ولما كان الإيمان شيئاً واحداً عند طوائف من المرجفة، فلا يَرَوْنَ أن الإيمان يزيد وينقص -: قَبِعَ ذلك عندهم القول بعدم الاستثناء في الإيمان، وهو أن المؤمن يقول: «أنا مؤمن»، ولا يستثنى، فيزيد على ذلك: «إن شاء الله»، ومنهم: مَنْ يَمْنَعُ بين الاستثناء وبحرمة.

والذي عليه جماعة السلف: الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد

(١) مسائل حرب (١٥٦٨)، و«السنن» لعبد الله (٢١٢ و ٢١٣)، و«السنن» للخلال (١٠٩٤ و ١٠٨٢)، و«الفضاء والقدر» (٥٧٢).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١)، و«الانتقاء» (ص ٣٣)، و«التمهيد» (٢٥٢/٤)، وترتيب المدارك (٤٣/٢)، و«المقتضيات المسببات» (٥٧/١).

(٣) «الجامع» (ص ١٢٢). (٤) الموضع السابق.

وينقصر، والاستثناء يقع على مقدره، لا على أصل ثبوته، وفيه دفع
لتزكية النفس^(١).

وأما الاستثناء شكاً في الإيمان، فلا يجوز؛ وعلى هذا: يحصل ما
جاء من مالك، لما قيل له: «أقول: مؤمن، والله محمود، أو: إن
شاء الله؟ فقال: قل: مؤمن، ولا تخلط معها غيرها»^(٢).
ويصح هذا قال سحنون^(٣).

فلاستثناء في الإيمان الذي عليه السلف، هو أن يقول: «أنا مؤمن
إن شاء الله».

ومن أدلة ذلك: ظاهر الكتاب والسنة والآثر؛ فالحق تعالى يقول
لنبيه ﷺ وأصحابه: ﴿لَتَمَنَّيَنَّ الْمَسِيحَ الْحَكِيمَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ كَرِيمًا﴾ [الفتح:
١٢٧]، ويقول النبي ﷺ للمؤمنين: (وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِقُونَ)^(٤)، ولا بُدَّ
أنهم داخلون معه، ولا بُدَّ أنهم مبتون؛ فالاستثناء وقع على أشياء،
منها: الإيمان، وأنهم داخلون معه، وأنهم لاجقون بهم على الإيمان.
وأما في الإسلام، فيقول: «أنا مسلم»، ولا يستني؛ كما نص عليه
أحمد وغيره^(٥)، لأن الإسلام أوسع دائرة من الإيمان.

الإيمان قول وعمل:

فإن قيل: ﴿وَلَا يَحْتَمِلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ
وَعَمَلٌ إِلَّا بِتَيِّدٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَتَيِّدٌ إِلَّا بِمَوَاقِفِ السُّؤْلِ﴾:

(١) «الإيمان لأبي حنيفة (ص ٣٤ - ٣٨). (٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٣) الموضع السابق.

(٤) مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، و(٩٧٤) من حديث عائشة، و(٩٧٥) من حديث بريدة.

(٥) «السنة للخلال (١٠٨٧ - ١٠٨٨)، و«الإبانة» لابن بطه (١٢٠١/الإيمان).

الإيمان: قولٌ وعملٌ واعتقاد؛ وبهذا يقول السلف بإجماعهم^(١)، ولا يصحُّ واحدٌ من هذه الثلاثة إلا بالآخر:

فمن انتفى عن العمل كله؛ كمن انتفى عن القول كله، أو الاعتقاد كله، ومن انتفى عن القول كله؛ كمن انتفى عن الاعتقاد كله، أو العمل كله، ومن انتفى عن الاعتقاد كله؛ كمن انتفى عن القول كله، أو العمل كله؛ وانتفاء واحدٍ من الثلاثة يعميهو كاتفاء الثلاثة.

ولكن ليس المراد من ذلك انتفاء أي جزءٍ من الثلاثة؛ فهذا قولٌ يوافق أصول الخوارج؛ فإن السلف وأهل السنة لا يكفرون أحداً بترك شيءٍ معيّنٍ من الباطني أو الظاهري، إلا بدليلٍ خاصٍّ، ويفرقون بين الترك الكلّي وبين الترك الجزئي؛ كما كان يقول أئمة السلف؛ كسعيد بن جبّير، وإبراهيم بن عُقَيْبَة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والحميدي، وأبي ثور^(٢).

وقال الوليد بن مسلم: «صَحِّحَتِ الْأَوْزَاعِي، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يُتَكْرَمُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ، وَيَقُولُونَ: لَا إِيْمَانٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ»^(٣).

حكمُ تارك العمل كله:

ومن آمنَ بقلوبِهِ، وأقرَّ بلسانيهِ، ولم يَعْمَلْ بِأركانِهِ شيئاً من العملِ -: لم يَصِحَّ إيمانهُ عند السلف، وكان الأئمةُ يعتقدونَ على من يقول بخلاف ذلك.

(١) سبق عند الكلام على مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

(٢) «أصول الاعتقاد» (١/٥٧، ٣٤٨، ٨٤٨/٤، ٨٤٩، ٨٨٦/٥)، و«السنّة للخلاف»

(٣/٥٧٠)، و«أصول السنّة للحميدي» (ص ٣٨)، و«السنّة لعبد الله بن أحمد» (١/٣٤٨)،

و«فتح الباري» لابن رجب (١/٢٦).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١/٨٦).

وكان أحمد لا يكفر من يجعل الإيمان قولاً واعتقاداً بلا عمل،
وتبنيته بالهمة والإرجاء، ويقول: «أدعوا لهم بالصلاح»^(١).

ومن أحمد رواية أخرى رواها حنبل: أن من ترك العمل ثلثه حتى
يموت، ولا يرى العمل ثلثه له أثر في ثبوت الإيمان ولا ثبته: «الله كايرو
بالله»^(٢)، وهو قول الحنفي^(٣).

والأحاديث التي فيها: أن من تعلق بالشهادتين، ودخل الجنة،
حملها السلف على أنها قبل أن تُعَدَّ الحدود، وتزول الفرائض، قال ذلك
الطحاك بن مزاحم^(٤)، والزهري^(٥)، وأحمد^(٦)، وغيرهم.

وقال أبو ثوري: «فإنما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من
الإيمان، فيقال لهم: ماذا أراد الله من العباد؟ إذ قال لهم: ﴿وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ١١٣) الإقرار بذلك، أو الإقرار والعمل؟»

فإن قالت: إن الله أراد الإقرار، ولم يرد العمل، فقد كفرت عند أهل
العلم، من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يُصَلُّوا، ولا يُؤْتُوا الزكاة!

وإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل، قيل: فإذا كان أراد منهم
الأمريين جميعاً، لم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر، وقد
أرادهما جميعاً؟

أرايتم لو أن رجلاً قال: أصمت جميع ما أمر به الله، ولا أقرب به،
أكون مؤمناً؟

(١) «السنن للخلال» (٩٨٩).

(٢) «السنن للخلال» (١٠٣٧)، وفتح أصول الاعتقاد (١٥٩٥).

(٣) «السنن للخلال» (١٠٣٧)، وفتح أصول الاعتقاد (١٥٩٤).

(٤) «السنن للخلال» (١٦٤١)، والشرعية (٣٠٣).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٦٤). (٦) «السنن للخلال» (٥٦٤/٣).

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به، ولا أحصل به،
أهكون مؤمنًا؟

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: ما الفرق؟ فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعًا، فإن
جاز أن يكون أحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا
غلب به ولم يُقر مؤمنًا، لا فرق بين ذلك.

فإن احتج، فقال: لو أن رجلًا أسلم، فأقر بجميع ما جاء به
النبي ﷺ: أهكون مؤمنًا بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمله؟ قيل له:
إنما يُطلق له الاسم بتصديقوه أن العمل عليه يقولون أن يعمل في وقته إذا
جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمنًا، ولو
قال: أقر ولا أعمل، لم يُطلق عليه اسم الإيمان^(١).

✽ أثر إخراج العمل من الإيمان:

والأصل: أن من أخرج شيئًا من الإيمان، سواء القلب أو القول
أو العمل، فإنه لا يجعل للذنوب الواقعة في الشيء الذي أخرج أثرًا
على الإيمان؛ لأنها ليست منه أصلًا، فمن أخرج قول اللسان من
الإيمان، فلا يرى ذنوب اللسان ومثمرة مؤثرًا على الإيمان؛ لأن القول
عنه ليس من الإيمان؛ فثبتًا للذك لا يأتي منه كفر أو ذنب مؤثر عليه.

وكل طوائف الإرجاء التي تُخرج العمل من الإيمان بالكليّة،
لا تجعل لأفعال الذنوب أثرًا عليه؛ فتقول: «لا تُضرّ الذنوب مع

(١) شرح أصول الاعتقاد (١٠٩٠)، ومجموع الفتاوى (٣٨٨/٧ - ٣٨٩).

التوحيد، وقد كان أئمة المغرب يُذكرونه؛ كما كان محمد بن سحنون يقول: «لا أقول ما قالت المرجئة؛ لا تُفسد الذنوب مع التوحيد»^(١).

وأما تعبیر ابن أبي زَيْد بالكمال في قوله: «وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ وَبَيِّنَةٍ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّؤِّةِ»، فلا يعني من ذلك: أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِالْكَلِمَةِ: أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ عَمِلَ بِالْكَمَالِ، يُريدُ: كمالَ الإيمان في واحدٍ، لا بتحقيقه إلا بكمال البَيِّنَةِ، لا أصل وجود الإيمان؛ فلا يمكن أن يكون الرجل كامل الإيمان بالقول، وهو غير كامل في العمل، ولا يكمل قوله وعمله ظاهرًا، وهو بلا بَيِّنَةٍ؛ فلا بُدَّ أن ينقص من الثلاثة مقدار متقارب أو متطابق، وكمال واحدٍ منها يعني كمال الاثنين.

ويدلُّ على ذلك أنه قال: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِبَيِّنَةٍ»؛ فيستحيل أنه يصحُّ القول والعمل الصالح بلا وجود شيء من البَيِّنَةِ؛ فيكون قوله أَنَّ الشَّرَافِيَّ مقبول العمل، ولكنَّ عمله ناقص؛ وهذا غلط.

وكذلك قوله: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ وَبَيِّنَةٍ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّؤِّةِ»؛ فيستحيل أيضًا: أَنَّهُ يصحُّ العمل بالبَيِّنَةِ، وَأَنَّ مَنْ جَاءَ بِهِدْمُهُ أَنَّ عمله صحيح، لكنه ناقص.

فسيأتى قوله يقتضي أَنَّهُ أراد كمال الثلاثة جميعًا، ونقصانها جميعًا؛ وهذا يوافق ما سبق من قول الأئمة: أَنَّهُ لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

والباطن والظاهر كله مؤثر في إيمان الإنسان ولو كان دقيقًا،

(١) ترتيب المدارك (٢١٤/١ - ٢١٥).

وأعمال القلوب - كالخوف والرجاء والمحبة، والشوق والاستعانة والاستغاث - يواخذ العبد عليها إذا وضعها في غير موضعها، فللمخلوق قدر يناسب ما أعطاه الله، والزيادة على ذلك أخذ من حق الله، ويجعله في المخلوق؛ كالخوف؛ حينما يوضع في الوهم، خطأ، وقد يائس صاحبه، يقول النبي ﷺ في الحيات: (مَنْ تَرَكَ وَنَهْشًا خِيَفَتْهُنَّ، فَلَيْسَ مِنَّا)^(١).

التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف:

﴿قَالَ لِيَزِيدَ: «وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِشَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْفِتْنَةِ»:

أهل الفتن: من توجه مع المسلمين إلى فيلتهم وهي الكفة؛ سموا بذلك للمعارضة بينهم وبين أرباب البلي الأخرى الذين لا يتوجهون إليها؛ لأن كُفَرهم أصلي ثابت؛ فلم يثبت حتى يقال يرفو؛ فإنه لا يرتفع الإيمان من العبد إلا بالكفر والشرك، مهما وقع في الذنوب والمعاصي ولو كانت كبائر أو موبقات.

وقد وقع جماعة من الناصبي في زمن النبي ﷺ في ذنوب؛ كالقتل والسرقة والزنى، والكذب والغيبة والنميمة، ولم يخرج هو ولا خلفاءه وأحقا منهم عن الإسلام، ولا عاملوه معاملة الكافرين؛ بل كان ينهى عن لقي شارب الخمر نرات، ويمتنع له بأنه يجب الله ورسوله^(٢).

فلا يحيط الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك، لا الذنب وإن كان كبيرا؛ فإن الذنوب قد تؤثر على بعض حسنات العبد إذا شاء الله ذلك،

(١) أحمد (٢٠/٢) رقم (١٠٧٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٨٠) من حديث عمر.

ولكن لا تحبها جميعها، قال سبحانه: ﴿لَوْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولا يختلف الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام في ذلك:

قال مالك: «أهل الجنوب مؤيدون لمليوث»^(١).

وقال زهير بن عباد: «كل من أدرت من المشايخ - مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وقضيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، وزكيح بن الجراح، وغيرهم - لا يكفرون أحدا بقلب، ولا يقتلون أحدا أنه في الجنة»^(٢).

وقد خالف في هذا الباب بعض الطوائف:

- كالخوارج والمعتزلة: فسلبوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

- وكالمرجئة: فلم يجعلوا النيب مؤثرا على الإيمان.

وكل هذه الطوائف التزمت بالأصل الذي اتفقوا عليه: أن الإيمان شيء واحد لا ينجز: إن زال بعضه، زال كله؛ ففرقت طائفة، وافتتحت أخرى.

والخوارج والمعتزلة: محجوجون بما تواتر في النصوص من إيمان مرتكب الكبيرة، ومن هذا الباب: أنزل الله أحكام الحدود على السارق والزاني، والقاتل وشارب الخمر، ولو كانت كفرا، لكان حثها واحدا، وهو الرداء؛ لأنه لا فرق عند الخوارج في حقيقة سلب الإيمان بين مرتكب الكبيرة عنعم، وقاعلي الكفر الذي يتقنون فيه مع غيرهم من أهل السنة.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ٢٢٢).

والشُّرْطَةُ: محجوجون بما تواتر من أدلّة زيادة الإيمان بالطاعات،
ونقصاؤه بالمعاصي، وما يَتَّبِعُ ذلك من لوازم تفاوت مراتب المؤمنين في
الجَنَّةِ، وتعليل بعض عصاة المؤمنين في النار، ثُمَّ إخراجهم منها
برحمة الله.

﴿أرواح المؤمنين وأحوالها:﴾

﴿قُلْ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ عِلْمٌ ۖ وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَهْلَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ
السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى يَوْمٍ يَتَعَفَّوْنَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ
الدِّينِ﴾:

الأرواح كائنة قائمة بذاتها، تُنْعَمُ وتُعَذَّبُ، وتلقَى وتُسَعَّدُ بنفسيها،
ولا يلزم أن يكون معها البدن في ذلك؛ لأنها مغايرة له، فليست
عضواً منه كاليد والوجه، وهي مخلوقة بلا خلاف؛ فالله خالق كل
شيء، وهي من أمر الله يَعْلَمُ حقيقتها وكُنْهها؛ كما قال تعالى:
﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْإِلَهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
[الإسراء: ٨٥].

وللأرواح مستقر غير الأبدان بعد موتها، ويهيئها الله إلى الأبدان
في حياة البرزخ عند سؤاله العتات؛ كما يهيئ الله روح النبي ﷺ إليه في
قبره، قال ﷺ: (مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي، حَتَّى أَرُدَّ
عَلَيْهِ السَّلَامَ)^(١)، وقد كانت قبل ذلك في الرُّبُوبِ الْأَعْلَى؛ كما قال ﷺ
لما حضرته الوفاة: (اللَّهُمَّ، الرَّبِّيقِ الْأَعْلَى)^(٢).

(١) أبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٤١٧٣) و٦٣٤٨ و٦٥٠٩، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة.

ولقد جلدت الأدلة في مستقر الأرواح، بعد موت الأبدان:

○ أما أرواح الشهداء: فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا لِمَا تَلَيْسَ لَكُمْ بِهِ سَبِيلٌ ۚ لَكُمْ أَنْتُمْ بِأَلْبَابِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِمَا كَانُوا يُعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، وقد روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قوله: (أَرْوَاحُهُمْ فِي أَبْوَابٍ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَابِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْتِي إِلَى بَلَدِكَ الْفَتْوِيلِ)^(١).

○ وأما أرواح المؤمنين حاشة: فإنها تكون طيورًا تعلق في شجر الجنة كما قال النبي ﷺ: (إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)^(٢)، وإن كانت أرواح المؤمنين في الجنة، فإن الله يُعيدُها إلى أبدانها متى شاء.

وكون أرواح المؤمنين في الجنة: يشهد به ظاهر الحديث؛ وبه قال الشافعي وأحمد وغيرهما^(٣).

ومنهم من قال: إن أرواحهم بأقبيّة القبور؛ باعتبار أنه يقال له: «هذا مقعدك»، وأنه يُسلم على أهل القبور؛ وبهذا قال ابن عبد البر^(٤).

وفيه نظر؛ فالحديث صريح في أنها في الجنة، والمتفقد إنما هو للبدن، والله يُعيدُ الروح متى شاء؛ فيزولها من الجنة، ثم يرفعها.

وروي عن مالك أنه قال: «بَلَّغَنِي أَنَّ الْأَرْوَاحَ مُرْسَلَةٌ تَدْعُبُ حَيْثُ شَاءَتْ»^(٥).

(١) مسلم (١٨٨٧).

(٢) الترمذي (١٦١١)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤١٧/٥).

(٤) نقله ابن عبد البر في «المجيبه» (٦٥/١١) عن ابن زُشاج.

(٥) «الاستبصار» (٣٦١/٨).

وهذا باعتبار ما ورد من نصوصي تُفيد حضورها في أماكن منها:
 عند سؤال الملَكَيْنِ^(١)، وعن يمين آدم في السماء^(٢)، وفي الجنة، ولكن
 مع صحة الحديث يقال: إن أصلها في الجنة، والله يأنزلهن بالخروج
 متى شاء.

○ وأما أرواح الكافرين: ففي الهاوية؛ كما في الحديث: (أَنَّ
 السَّالِكِينَ لَنُفُوسِ رُوحِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَنَزَّلُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَقُولُ
 السَّالِكِينَ: مَا أَطَّيَّبَ عَلَيْهِ الرِّيحُ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) فَيَقُولُونَ بِأَرْوَاحِ
 الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ قَرَحًا مِنْ أَحَدِكُمْ بِمَاتِيهِ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا
 قُتِلَ لِفُلَانٍ؟ نَدَا قُتِلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: مَتَّوًى؛ فَإِنَّهُ تَحَانَ فِي عَمِّ الدُّنْيَا،
 فَيَقُولُ: لَذَّ مَاتَ، أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: فَجِبْ بِهِ إِلَى أُمِّ الْهَاقِيَةِ^(٣).

وفيه: أنَّ المكاد في باطن الأرض؛ حيث قال: (تَخْرُجُ مِنْهُ ثَلَاثِينَ
 رِيحًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَتَقَنَّ عَلَيْهِ الرِّيحُ) حَتَّى
 يَأْتُونَ بِأَرْوَاحِ الْخَطَايَا^(٤).

وقد جاء عن بعض السلف أنَّ أرواح الكافرين في بئر بَرَهَوْت وهو
 بِحَضْرَمَوْت، كما رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ
 قَالَ: أَشْرُ وَأَشْيَبُ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بِحَضْرَمَوْت يُقَالُ لَهُ:
 بَرَهَوْت^(٥).

(١) كما في حديث البراء بن عازب عند أحمد (٢٨٧/٤) و٢٨٨ رقم ١٨٥٣٤ و١٨٥٣٥ و١٨٥٣٦.

(٢) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٣٤٩) و٣٣٤٢، ومسلم (١٦٣).

(٣) السامي (١٨٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) الموضع السابق.

(٥) المصنف (١١١٨).

وسبحه زوي عن عبد الله بن عمرو^(١) ومقاتل بن سليمان^(٢)، وليس
له شيء مرفوع.

وقد جزم ابن أبي زيد في «الجامع»: «أَنَّ أَزْوَاجَ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي
بُيُوتِهِمْ»^(٣).

وقد صَحَّ الدليل: أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ فِي حَيَاةِ الْبَرِّ، يَكُونُ
لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَجَلِ كُلِّ عَذَابٍ وَنَعِيمٍ، وَمُقَدَّارِهِ
وَنُوعِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَرْجُونَكَ عَلَيْهِمْ حُكْمٌ وَعَشِيَّةٌ وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ لَنَجْزِيكَ مَا فَتَرْتَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ انفار: ٢٤٦.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: «رَفَقَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى
قَلْبٍ بَشَرٍ، فَقَالَ: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟) ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ الْآنَ
يَسْتَمْعُونَ مَا أَدْعُو»^(٤).

وروى أحمد بن حنبل حديث عائشة مرفوعًا: (إِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ،
أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ فَمَيَّرَ نَزَجًا، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الشُّوَّ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ
فَمَزَعًا)^(٥).

❦ الْقَبْرُ وَبَيْتُهُ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُنْتَوْنَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ» وَتَحْتِ
لَهُ الْقُرْبُ مَا تَرَا بِالْقَوْلِ الْكَلِمَاتُ فِي الْحَيَاةِ النَّفْسُ وَالْأَجْسَادُ» للإمام
[١٧]:

(١) ابن حبان بعد حديث (٣٠١٣). وانظر: «الروح» (٢٢١/١ - ٢٢٢).
(٢) تفسير مقاتل (٤٤١/٣) و(٤٤٦). (٣) «الجامع» (ص ١١١).
(٤) البخاري (٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢). (٥) أحمد (١٣٩/٦) رقم ٢٥٠٨٩.

يجب الإيمان به «حياة البرزخ»، وهي: ما بين الدنيا وقيام الساعة؛
فالناس يموتون في ثلاث: الحياة الدنيا، وحياة البرزخ، والحياة الآخرة.
وأما سُئِلَتْ حياة البرزخ؛ لكونها برزخاً حاجزاً بين الدنيا والآخرة؛
كما قال تعالى: ﴿وَمِن دَرَجَاتٍ مِّنْهُم مَّن يُتَوَقَّعُ أَنَّهُ يَخْرُجُ إِلَيْنَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْكَوْكَبُ﴾ (المؤمنون: ١٠٠).
وتبدأ حياة البرزخ من خروج الروح ومفارقة الدنيا بالموت.
وقد تواترت النصوص في حياة البرزخ وقتة القبر وعلاجه، وقد جاء
من حديث حمزة والبراء وأبي هريرة، وأنس بن مالك، وأبي قتادة،
وغیرهم^(١).

لَمَّا قُتِلَ القبر: فالمراد بها: ما يحضر له الميت من امتحانٍ وابتلاء
وسؤال، وما يُلحقه من كربٍ وشبهة، وقَزَعٍ وعَلَج، وقد قال ﷺ: (إِنَّ
هَلْوَ الْأُمَّةِ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا)^(٢)، وقال: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي
قُبُورِكُمْ، وَمِثْلَ لَوْ قَرِيبًا مِنْ بَيْتَةِ النَّسِيجِ النَّجَالِ)^(٣).

وتعاد روح الميت إليه؛ كما جاء في حديث البراء^(٤)، فيحيا حياة
كحياه في الدنيا يَنظُرُ وانتباه، وليست مَنَامًا وعيالاً؛ قال عمر: «أَبْرَدُ
إِلَيْنَا عَمَلُكُمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (نَعَمْ) فَهَبَّحِكُمْ الْيَوْمَ»^(٥).

وَرَوَى في «الترمذي»: أَنَّ اسْمَ الْفَتَانَيْنِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَأَنْهُمَا
أَسْوَاقَانِ أَرْزَقَانِ^(٦)، والفتنة بالسؤال عن ثلاث؛ كما جاء في حديث

(١) انظر: شرح الصدورة (ص ١١٧ - ١٣٧).

(٢) مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٣) البخاري (٨٦)، ومسلم (١٠٤) من حديث أسماء بنت أبي بكر.

(٤) سبق تفريجه قريباً.

(٥) أحمد (١٧١/٢) رقم (١٦٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة.

البراءة قال ﷺ: (فَيَأْتِيهِمْ عَلَى خَدَّيْهِمَا الْإِسْهَامُ، فَيَنْتَهَرَانِ وَيُجْلِسَانِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ ذَاكَ؟ مَا ذَاكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ بَشَرَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، لَذَلِكَ جِئَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿يُخَيِّتُكَ اللَّهُ الْيَوْمَ﴾) أَخْبَرَنَا بِالْقَوْلِ الْكَلْبُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُصِلُ اللَّهُ الْفُلُكِيَّةَ وَيَقْبَلُ اللَّهُ مَا يَنْتَهِزُ ﴿(إبراهيم: ٤٢٧)﴾، كَقَوْلِهِ: رَضِيَ اللَّهُ، وَبَيْنِي الْإِسْلَامُ، وَبَيْنِي مُحَمَّدٌ ﷺ، وَكَانُوا مَتَابِعًا مِنَ السَّيِّئِ لَأَنَّهُ صَدَقَ عَنِّي^(١).

وأما عذاب القبر: فهو حقٌ كذلك؛ ثبت فيه الدليلُ بين وجوه كثيرة، وقد أُخبرَ به الأنبياءُ من قبل، وثبت به النصُّ في الكتابِ والسنة؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَيْنَا مَقْتًا وَعَسَاءَ نَوْمُ الْمُكَذِّبِينَ أَتَطْلُبُونَ مَا لَمْ يَرْسُوكَ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [آعر: ٤٦]، وفي «الصحيحين» أيضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ) (١).

وهذا هو القبر: يَلْحَقُ الْكَافِرِينَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
المقصرين، وقد مرَّ النبي ﷺ بَقَرَتَيْنِ، قَالَ: (إِنَّهُمَا كَعَذْبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ
فِي كُفْرٍ؟) (١٧)، وهذان مُسْلِمَانِ، فلو كانا كَافِرَيْنِ، لكان عَذَابُهُمَا عَلَى
الْكَفْرِ أَوْلى مِنْ عَذَابِهِمَا عَلَى التَّوَلَّى وَالتَّوْبَةِ، وَلَمْ يُخَوِّضِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَابَ
التَّخْفِيفِ هَهُمَا.

وَلَدَ ذَكَرَ إِبْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَابِجٍ»: «أَنَّ النَّاسَ يُشْعَطُونَ وَيَبْلُونَ، وَبَيَّتُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَحَبِّ نَسَبَةٍ»^(١).

(۱) هر یک از طرفین می تواند به طرف دیگر اعلام کند که قصد دارد از این قرارداد خارج شود.

(T) البخاري (٨٣٧)، ومسلم (٥٨٩) عن علي بن علقمة.

(3) البخاري (216)، ومسلم (292) عن علي بن عباس.

(c) **البيان** (d)

وَضُمُّهُ الْقَبْرِ قَدْ جَاءَ فِيهَا عِدَّةُ أَحَادِيثٍ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدٍ، وَفِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْأَثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي «الْمُسْتَدَّ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَلْطَةً، لَوْ كُنَّا أَحَدًا نَاجِبًا بِشَيْءٍ، لَنَجَّاهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ^(١))، وَهُوَ طَرِيقٌ مُتَعَدِّدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُثْمَرَ^(٢)، وَابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَغَيْرِهِمَا^(٤).

وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ طَوَائِفِ الضَّلَالِ وَالْمَادُّيُونَ عِلَاقَةَ الْقَبْرِ؛ بِاعْتِبَارِ ذَلِكَ مِنْهُمُ لِلنَّبِيِّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عِلَاقٌ يُرَى، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُمْ مَا يَشَاءُ؛ كَمَا حَجَبَ عَنْهُمْ الرُّوحُ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهَا، وَكَمَا يَرَى الْجِنُّ الْإِنْسَانَ وَلَا يَرَاهُمْ.

❦ كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ

❦ قَالَ تَرْغِيْبُ الْبَرِّ: «وَأَنَّ عَلَى الْوَلَدِ عَقْلَةً يَحْتَبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْسِفُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ»:

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ؛ فَالْإِيمَانُ بِهِمْ رُحْمٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّهُمْ عِبَادٌ مُقَرَّبُونَ، وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقُلُوبِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)^(٥).

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِالْمَلَائِكَةِ بِالْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ: ﴿وَكُلُّ

(١) «الْمُسْتَدَّ» (٥٥/٦) رقم ٢٤٢٨٣ و ٢٤٦٦٣.

(٢) عند السَّيِّدِي (٢٠٥٥).

(٣) عند الطِّرَافِيِّ فِي «التَّكْوِينِ» (٤٠٦/١٠) رقم (١٠٨٢٧).

(٤) تَحَابُّسٍ عِنْدَ أَبِي يَحْيَى؛ كَمَا فِي «إِتِّحَافِ الْخَيْرَةِ» (١/٢) (٤٩٣).

(٥) سبق تَفْرِيغُهُ.

عَنْ يَاقُو وَتَمْلِكُكُمْ. وَتَكُونُ مَشْهُودًا (البقرة: ٢٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُنِ الْإِنْسَانُ مِنَ عَذَابٍ يَاقُو وَتَكُونُ الْآخِرُ وَالْأُولَى﴾ (البقرة: ٢١٧).

والملائكة كثير لا يحصى عدداً إلا الله، ولكن قد يأتي في الوحي بيان لعدد بعضهم في صلب معين، أو موضع معين، أو زمان معين:

منهم: الواحد؛ كالموكل بالوحي، وحازن الجنة، وحازن النار، وملك الجن، وقابض الأرواح، وناقي الصور، وناقي الروح.

ومنهم: الثمان؛ كالموكلين بالكتابة: رقيب وعييد.

ومنهم: ثمانية؛ كحاملة القرص.

ومنهم: تسعة عشر؛ وهم خزنة النار، ومقلمتهم مالك.

ومنهم: سبعةون ألفاً؛ وهم الذين يطوفون بالبيت المعمور؛ كما في الحديث قال ﷺ: (... فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)؛ مَعْنَى عَلَيْهِ^(١).

ومن الملائكة: الحفظة الذين يحضرون على العباد أفعالهم، ويكتبونها لإقامة الحجة عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَهُ عَلَيْكُمْ حَفَظُونَ﴾ (يونس: ٦١) كما كتبت ﴿يَكُونُ مَا تَقُولُونَ﴾ (الأنعام: ١٠ - ١٢)، وقال: ﴿إِنَّ بَيْنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَبَيْنَ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ حُجْرَةٌ مَعْلُومَةٌ﴾ (النار: ٢٧ - ٢٨).

والله يعلم أفعال العباد وأقوالهم وأفعالهم، ولا يحتاج الله إلى أحد يحصي ذلك له ليثبته ويحاسب، ولكن الله أراد إقامة الحجة على عباده وقطع أعمارهم بإحصاء محسوس.

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن معصمة.

وَأَمَّا عِلْمُ اللَّهِ وَإِحَاطَتُهُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى كِتَابٍ وَحِفْظٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ بِمِيرٍ عَلَيْهِ، فَقَدْ نَزَّاهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبَيْنَ الْكِتَابِ، وَأَنْ عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ بِمِيرٍ بِكِتَابٍ وَقِيلَ الْكِتَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ عَلَّمْتُمْ أَنَا اللَّهُ يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى لَقْوٍ يَبِينٌ﴾ (الصَّح: ١٧٠)، وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ عَلَّمَكَ مِنَ الْكِتَابِ ثُمَّ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ آدَمًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِبِلَاقٍ وَمَا يَحْمَرُّ مِنْ شَمْرٍ وَلَا يَنْفَسُ مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى لَقْوٍ يَبِينٌ﴾ (غَافِر: ١١).

وَكُلُّ الْمَلَائِكَةِ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ خِصَائِنِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ، قَالَ اللَّهُ عَنْ عِبَادَتِهِمْ: ﴿وَرَبِّ وَبَدَّ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي وَلَا يَسْتَحِيرُونَ ۝ يَسْجُدُونَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الْأَنْبِيَاء: ١٩ - ٢٠)، وَقَالَ: ﴿قُلْ بِكَلَامِ تَكْوِينِكُمْ ۝ لَا يَسْجُدُونَ وَالْقَوَائِمُ وَهُمْ وَأَمْرٌ يَسْأَلُونَ﴾ (الْأَنْبِيَاء: ٢١ - ٢٢)، وَقَالَ: ﴿لَا يَسْجُدُونَ اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ يَسْجُدُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (الصَّح: ١٦).

❧ الأرواح وقبضها:

❧ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ تِلْكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ (فِي الْجَامِعِ): كُلُّهَا﴾^(١) بِأَذْنِ رَبِّهِ:

خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ كَمَا خَلَقَ الْأَجْسَادَ، وَخَلَقَ لِلأَرْوَاحِ سَابِقَ لِخَلْقِهِ لِلأَجْسَادِ، وَقَدْ حَكِيَ الْإِجْمَاعُ عَلَى ذَلِكَ إِسْحَاقُ وَغَيْرُهُ^(٢).

وَقَدْ وَكَّلَ اللَّهُ بِالْأَرْوَاحِ مَلَكَائِدًا مَعَ الْإِنْسَانِ فِي تَكْوِينِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَيَسْأَلُونَ رَبَّهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ بِعَمَلِهِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسِ بْنِ

(٢) «التهذيب لابن عبد البر (١٨/ ٨٤).

(١) «الجامع» (ص ١١١).

مالك - وروى الحديث - أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِالرُّجَمِ مَلَكَ، كَيْقُولُ: أَيُّ رَبِّ، نُطَقَةُ، أَيُّ رَبِّ، خَلْقَةُ، أَيُّ رَبِّ، مُخَلَّصَةُ؛ لِيُذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُلْقِيَهَا خَلْقًا، قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبِّ، ذَكَرْتُ أَوْ أُنْثَى؟ شَهْرٌ أَوْ سَوْبَةٌ؟ كُنَّا الرُّؤُوفُ؟ كُنَّا الْأَجَلُ؟ لِيَكْتَبَ مَخْلُوكٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ).^(١)

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢).

وَالْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ نَفْسِهَا، غَيْرُ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِالرُّوحِ عِنْدَ قَبْضِهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكَ الْمُوَكَّلَ مِنَ اللَّهِ بِالتَّخْلِيْقِ وَيَنْفَخُ الرُّوحَ وَاحِدًا، لَيْسَ مَعَهُ آخَذٌ؛ فِي ظَاهِرِ النُّصُوصِ.

وَأَمَّا مَلَكُ قَبْضِ الرُّوحِ، فَوَاحِدٌ مُقَدَّمٌ، وَمَعَهُ غَيْرُهُ: **أَنَا كَوْنُهُ وَاحِدًا مُقَدَّمًا، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ السَّوْمُ الَّذِي يَكُنْ بِكُمْ﴾** [السجدة: ١١].

وَأَمَّا كَوْنُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿لَكَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرٌ﴾** [الأنعام: ١٦٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ ثَوَابٌ﴾** [الأنعام: ١٦٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ عَذَابٌ﴾** [الأنعام: ١٦٦].

وَمَلَكُ الْمَوْتِ الْمُقَدَّمُ يَقْبِضُ، وَالْبَقِيَّةُ يُعَيِّنُونَ فِي قَبْضِ الرُّوحِ، وَتَجْهِيْزِهَا، وَرَفْعِهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَزَّازِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» قَالَ ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا، وَاقْتِبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ،

(١) البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِبُحُورٍ الْمَوْجُورِ ۖ تَحَالَّى وَجُوهُهُمُ الشَّمْسُ،
تَعَهُمُ كَقَدْحٍ مِّنْ أَكْفَانٍ الْجَنَّةِ، وَخُتُوهُ مِّنْ خُتُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا
بِهِ مِثْلَ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ تِلْكَ الْمَوْتُ ۖ ۞ حَتَّى يَجْلِسَ جِدَارُ أَبِي... ۞
الْحَدِيثُ^(١).

قال إبراهيم النخعي: «يَمْلِكُ الْمَوْتُ أَحْوَادَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَلَّوْنَ
عَنْ أَمْرِهِ»^(٢).

وَيَكُونُ قَبْضُ الْأَرْوَاحِ بِعِلْمِ اللَّهِ وَحَقِّهِ، لَا يَسْتَقْبِلُونَهُ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَأْجِرُونَ.

۞ فَضْلُ خَيْرِ الْقُرُونِ:

عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «وَأَنْ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقُرْنُ الَّذِي رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ۖ ۞،
وَأَمَّا بِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ»:

أَفْضَلُ الْأَزْمِنَةِ الَّذِي فِيهِ يَمُتُ النَّبِيُّ ۖ ۞، وَأَصْحَابُهُ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ
غَيْرِهِ ۖ لِأَنَّ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ تَعَلَّى فَضْلُ النَّبِيِّ ۖ ۞ إِلَى مَا اتَّصَلَ بِهِ
مِنَ الزَّمَانِ ۖ فَكَانَ أَفْضَلُ الْقُرُونِ بَعْدَ قُرْنِهِ الَّذِي يَلِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِمْ ۖ
فَالنَّاسِ يَمُوتُونَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ۖ ۞ أَفْضَلُ مِنَ النَّاسِ يَمُوتُونَ لِأَصْحَابِ غَيْرِهِ مِنْ
الْأَنْبِيَاءِ، وَهَكَذَا فِي أَتْبَاعِ الْأَتْبَاعِ ۖ قَالَ ۖ ۞: (خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ)^(٣).

(١) سبق تشريحه.

(٢) تفسير ابن جرير (٢٩٠/٩) و(٢٩١)، وصحاحي القرطبي للنحاس (١٣٨/٢ - ١٣٩)،

والتفسير الصحاحي (١١٢/٢).

(٣) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.

معنى القرن:

والمراد بالقرن: الكتبة، ولؤلهم: الصحابة، ثم التابعون، ثم أتباع التابعين، وليس المراد بذلك: القرن الذي هو مئة سنة، والذي يورج عليه المؤرخون.

والقرن المفضل: أوله أفضل من آخره؛ لأن فضله بفضل أهله، وأفضل أهله سبقهم وقربهم من النبي ﷺ.

ودعِبَ فضل ذلك القرن بلقب جمهور أهله.

وقد انصرفت عامة القرون المفضلة باتباع التابعين؛ وذلك قبل تمام المئة الثانية، وليس في المئة الثالثة منهم كبير أحد، مع فضلي كثير من أهلها في العلم والعمل.

والفضل المتعلق بالقرن إنما هو لجمهورهم، وجمهور الصحابة كان في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، ومن بقي من الصحابة، فلا يُستزج فضله؛ فضله معه ولو تأخر بقاؤه.

وهكذا في التابعين، ودعِبَ جمهورهم قبل تمام المئة.

ويتلهم أتباع التابعين؛ فدعِبَ جمهورهم قبل منتصف المئة الثانية، ومن تأخر عنهم، فضله باقي معه؛ إلا أن فضل زمانه ضُمَّت وُقِل.

والقرن يُطلق على الجيل من الزمن التي يعيش فيها الجيل من ولادته إلى وفاته، ويُطلق كذلك على المئة عام؛ ومن ذلك: ما يروى عند الحاكم مرفوعاً: (يُعيش هذا الغلام قرناً؛ فمئتين سنة) ^(١)؛ يعني: عهد هو بر يسر.

❦ فضل الصحابة، ونفاضلهم:

ولا خلاف في فضل الصحابة عامة، وأهم خير الناس بعد الأنبياء، وخير الأئمة بعد نبيها ﷺ، وفضلهم من فضل النبي ﷺ، والنبي ﷺ أفضل الأنبياء، وقد ذكر الله فضلهم في التوراة والإنجيل والقرآن؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَبُوَءَآءَ قَوْمِكَ عَلَى الْكُفَرِ دَعَاةً لَهُمْ فَأَتَتْهُمْ قَوْمَهُمْ فَكَا سُبْحًا يَتَّبِعُونَ أَفْعَالَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ وَمِنْ قَوْمِهِمْ مِنْ أَمْرِ الشُّعُورِ فَكَانَ مَقَامُهُمْ فِي الْقَوْمِ وَمَقَامُهُمْ فِي الْإِيمَانِ كَرِيمٍ فَفَرَّجَ لِقَائِهِمْ فَكَانَ مَقَامُهُمْ عَلَى سُرْبِهِمْ بِمَقَامِهِمْ كَرِيمٍ يَكْفُرُ بِهِمْ الْكُفَرُ وَمَعَ الْقَوْمِ كَانُوا وَمَعَهُمْ الْكَلْبُوكُ وَهُمْ قَوْمُهُمْ وَأَمْرُهُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (التغ: ١٢٩).

ومن رأى النبي ﷺ ولو ساعة مؤمناً به، فهو صحابي، وهو أفضل من جاء ولم ير النبي ﷺ؛ كما قال ابن أبي زيد في «جامعوه»؛ قال: «وَكُلُّ مَنْ صَحِبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ دَاةً وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ بِذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِ الْبَاقِينَ»^(١).

وأفضل الصحابة: من جمع مع الإيمان به نصرته، وأكثرهم جمعاً لهذين وأتبعهم ليهما، فهو أفضلهم؛ ولهذا فضل الله المهاجرين على الأنصار، وفضل الله السابقين على اللاحقين، وفضل من أسلم قبل الفتح على من أسلم بعده.

وفي هذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مَنْ آمَنَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَمَنْ آمَنَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ وَأُولَئِكَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التغ: ١٠٠) فلم يذكر الله سبق الإيمان فقط، وإنما ذكر معه ما يدل

(١) «جامعوه» (ص: ١١٥).

على النصرة؛ فقال: «أَتَقَى وَأَتَأْتَى»، وكلما كان إسلام الصحابي في زمن أشد من غيره، كان أفضل منه، ولما كانت حال المهاجرين أشد من الانصار، فضلوا عليهم، ولم يكن في المهاجرين نقائص كما قاله أحمد فيما نقله عنه الترمذي^(١).

وقال: «وَالْمُتَشَبِّهُونَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يُنَاصِرُونَ رِجَالُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَنَحْنُ عَنْهُ وَأَمَّا لَمْ يَجِدِي فَتَسِرْ فَتَهْتِكُ الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيمَا أَبَدَا إِلَيْكَ الْقُرَى الْعَظِيمُ» (التوبة: ١٠٠).

ومن هذا: كان فضل من شهد بئرا على من شهد أحدا فقط، ومن ياتح تحت الشجرة على من لم ياتح؛ لنحطق النصرة في هذه المواضع مع الإيمان؛ قال تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح: ٢٨).

❦ الوقوع في الصحابة:

حُب الصحابة وتوقيرهم: من أعظم القربات؛ لأنه من تعظيم النبي ﷺ تعظيم أصحابه، ومن إجلال الله إجلال أصحاب نبيه:

فمن عبد الله بن مفضل المُرزني؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (اللَّهُ فِي أَصْحَابِي؛ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَخَلَّوْهُمْ غَرْصًا بَنِيي؛ لَنْ أَحِبَّهُمْ فَيُحِبُّوا أَهْلَهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَيَبْغِضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَلَا أُفِي، وَمَنْ آذَانِي فَلَا أُفِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُؤْذِيكَ لَنْ يُلَاحِظَكَ)^(٢).

وقال أحمد بن حنبل: «فَحِبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالذُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالْإِنْتِدَاءُ

(٢) الترمذي (٣٨٦٢).

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢٠١).

بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة^(١).

ولا يقع فيهم إلا مبتلى في دينه.

ومن طعن في الصحابة أو في واحد منهم، فلا يخلو من الوقوع في البدعتين: إما الكبرى المكفرة، وإما الصغرى المضلّة:

إما البدعة الكبرى المكفرة: فكمن تنقصهم، أو سبهم في شيء ثبت بالتواتر خلافاً، وهذا كمن سب جميع الصحابة أو عائلتهم، فهذا أراد ضيقتهم، ولم يرد أعيانهم، ولو زعم خلافاً ذلك، وفضلهم جميعهم أو عائلتهم متواتر لا خلافاً فيه.

ومثل ذلك: من طعن في رضي عائشة، والله قد برأها في القرآن، ونحو ذلك، أو طعن في المهاجرين أو الأنصار، أو من ياتيح تحت الشجرة، أو طعن في عموم أهل بدر وأحد، فأولئك تواتر فضلهم وثبت؛ فالطعن في جميعهم أو عائلتهم كفر.

ومثله: الطعن في واحد تواتر فضله كأبي بكر، وعمر، وعائشة؛ قال مالك: «من سب عائشة، قُتل، قيل له: لِمَ؟ قال: من رَمَاهَا، فقد خالف القرآن»^(٢).

وقد جاء عن أحمد: أنه سُئل عن يسئلم أبا بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم أجمعين؟ فقال: «ما أراء على الإسلام»^(٣).

وقد جعل الله من حَمَل غيظاً في قلبه على الصحابة كافراً، كما في قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمُ الْكُفَّارُ﴾ [الفتح: ٢٩] وبهذا استدلال مالك^(٤).

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٦٣ - ٦٤).

(٢) «مسند الموطأ» (٨٧)، و«المجلد» (١١/ ٤١٥ - ٤١٥).

(٣) «السنن» للعلامة (٧٧٩ و ٧٨٢). (٤) «السنن» للعلامة (٧٦٠).

وأبو معير الكرخي^(١) وغيرهما.

وَأَمَّا الْبُذْعَةُ الصَّغْرَى الْمَضْلُوعَةُ: فَكَتَمَنَ وَقَعَ فِي شَيْءٍ فِيهِمْ لَمْ يَثْبُثْ
بِالتَّوَاتُرِ خِلَافَهُ، وَإِنْ صَحَّ فِيهِ الْخَبَرُ.

فهذا مبتدعٌ؛ لعدوائِهِ عَلَى جَنَابِ الصَّحَابَةِ وَلَوْ كَانَ وَاحِدًا.

وخرَجَ مِنْ بُذْعَةِ الْكُفْرِ؛ لَكُونِهِ لَمْ يُكَيِّزْ مَتَوَاتِرًا مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ
عُصْرَةً؛ كَمَنْ يَسُبُّ مَنْ صَحَّ فَضْلُهُ وَلَمْ يَتَوَاتَرَ، أَوْ ذَمُّ خِصْلَتُهُ فِيهِ لَمْ
يَثْبُثْ بِالتَّوَاتُرِ خِلَافُهَا؛ كَالْبُخْلِ وَالْكَلْبِ وَالْجُبْنِ، وَإِنَّمَا يُذْعُ لعدوائِهِ
عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمُخَالَفَتِهِ لوصِيِّهِ فِيهِمْ؛ كَمَا قَالَ ﷺ فِي
«الصَّحْبَةِ»: (لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ لَأَخَذْتُمْ أَنْفَقَ يَثُلُ أَحَدٌ
فَقَبًا، مَا يَلْغُ مَدُّ أَحَدِهِمْ وَلَا تَصِيفُهُ)^(٢)، وَرَوَى أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ
عَنْ ﷺ قَالَ: (أَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ)^(٣).

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «إِنَّا رَأَيْتُ رَجُلًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بُسُوءًا، فَأَتَيْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(٤).

ﷺ التَّفَاضُلُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ:

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَالْفَضْلُ الصَّحَابَةُ: الْخُلَفَاءُ الرَّأِثُونَ الْمُتَهَبُّونَ:
أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»:

كَانَ الصِّبْرُ الْأَوَّلُ يُجْلِسُونَ الصَّحَابَةَ، وَيَعْظُمُونَ فَتَرْتَمٍ عَلَى سَبِيلِ

(١) «شُعَبَةُ» لِلخَلَالِ (٦٦٦).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٣٦٧٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٥٤٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

(٣) أَحْمَدُ (١٨/١) ٢٦ وَهَمَّ ١١٤ وَ(١٧٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٦٥) مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ.

(٤) فَتَرْحَاصُ الْإِسْلَامِ (٢٣٥٩).

الإجمالي والتفصيل، ولم يكونوا يُؤيِّقُونَ في التفضيل بينهم؛ لعدم قيام الموجب لذلك، ولأنهم على الفطرة الصحيحة، ولم تظهر البدع في الواقعة في الصحابة والظمن فيهم؛ فكانوا يَمُرُقُونَ مقاديرهم وفصلهم ويَحْكُمُونَ تفاضلهم في صدورهم، وإن استكوا عن التعبير عن ذلك:

كما قال مالك: «إنَّ التفاضلَ بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا، وإنما كان من عَذِيبِهِمُ الإمساكُ عن مثلي هذا»^(١).

وقول مالك هذا من جنس قول النبي ﷺ: (لَا تَحْزَنُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)^(٢)، وقوله ﷺ: (لَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مُوسَى)^(٣)، وفي حديث ثانٍ، قال ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَعْقٍ)^(٤)؛ لأنَّ من التفضيل ما يَتَوَقَّفُ به السامعُ تقصُّ المفضولِ وغيا فيه.

وقد كان مالك نفسه يَفْضُلُ أبا بكرٍ وعمرَ على غيرهما^(٥).

وتفاضلُ الصحابة في بعض الرضائل، لا يعني الفضل المطلق؛ فقد يَفْضُلُ واحدُ الصحابة في خُصْلَةٍ - كالشجاعة والكرم والجسم - وغيره أفضل منه؛ وبين هذا قولُ ابنِ عمرَ: «ما رأيتُ أسودَ من معاوية»، فقيل لابنِ عمرَ: هو كان أسودَ من أبي بكرٍ؟ قال ابنُ عمرَ: «أبو بكرٍ والله أخيرُ منه»، وهو والله أسودُ من أبي بكرٍ؟^(٦)، وقال ابنُ عمرَ - أيضا -:

(١) الاستطاعة (٢٤١/١٤) و (٢٤٣) بنحوه.

(٢) البخاري (٢٤١٢) و (٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٢٤١١) و (٢٤٠٨) و (٦٥١٧) و (٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٢٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس.

(٥) الاستطاعة (٢٤١/١٤)، والاستطاعة (ص ٣٥).

(٦) الأحاد والمثاني (٥١٦)، والشفعة للخلال (٦٧٩).

«إِنَّهُ اسْوَدَّ مِنْ عَمَرٍ وَغُثْمَانَ»^(١)، و«اسْوَدَّ» بمعنى: أَسْكَنَ^(٢)، وفي هذا يقول أحمد: «أَغْلَى معاويةَ أهلَ المدينة عَطَاً ما أَغْطَاهَا خَلِيفَةُ كَانَ قَبْلَهُ»^(٣).

التوسُّع في التفضيل بين الصحابة:

وقد بدأ التوسُّع في أبواب التفضيل بين الصحابة، والتزاع فيه: في الفَجَم، وكان مَذْحَلًا لتفْصِي المفضول؛ فبدلوا بالتفضيل، ثم تدرَّجوا والتسَّوا أسباب الكمال في الفاضل، ثم تدرَّجوا والتسَّوا أسباب النقص في المفضول، ثم استلَّزَّجهم الشيطانُ للدخول في أبواب النفاصين وثَلَب الصحابة وعَظِيهم.

وقد قال عبدُ اللهِ بنُ أبي حَسَّانٍ - تلميذُ مالكٍ - لَمَّا سُئِلَ عن التفاضل بين خيار الصحابة؟ فرفَّع يَدَهُ، وضربَ السَّائِلَ، وقال: «ليس هذا بين مُرْتَشِي، ولا بينَ الحَرْبِ» هذا بينَ أَهْلِ قُمْ^(٤)، وهو يُدْرِكُ تفاضُلَ الصحابة على الحقيقة، ولكنه يَعْلَمُ ما يُرَادُ من فتح هذا الباب، ولَمَّا فَتِحَ في المَشْرِقِ، وانتهى بأصحابه إلى ما انتهَى إليه، كان المغاربةُ أَوَّلَ الْأَمْرِ يُغْلِقُونَ فَتَحَ هذا الباب؛ حتى لا يَنْتَهِيَ في المَغْرِبِ إلى ما انْتَهَى إليه في المَشْرِقِ؛ وهذا من كمالِ العِلْمِ والحِجْمَةِ.

وبين هذا الباب: إسحاقُ مالكٍ وغيره في إحدى الروايتين عن التفضيل بين عُثْمَانَ وعليٍّ، وقولُهُ: «مَا أَفْرَحْتُ أَحَدًا أَفْنَيْي بِهِ بِفَضْلِ أَحَدِهِمَا عَلَى صَاحِبِهِ»^(٥).

ولا يَخْتَلِفُ المسلمون في فضلِ الصحابة، وإنَّ كُفْلَهُم نَزَعَ عن

(١) الترمذ السَّابِق.

(٢) انظر: «التهذيب» لابن الأثير (٤١٨/٢). (٣) كما في رواية الخليل السَّابِقَة.

(٤) «رياض القوس» (٢٨٧/١).

(٥) «المدينة» (٢٧٠/١)، و«الاستبصار» (٢٤٠/١).

فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَمَا يَتَفَاضَلُ الْأَنْبِيَاءُ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ يَتَفَاضَلُونَ فِيهَا
بَيْنَهُمْ مِنْ بَابٍ أَوَّلَى.

وَقَدْ كَانَ سُخُونٌ يَلْقُنُ ابْنَ الْقَضَائِ فِي مَرْحَبِ مَوَدٍّ: «أَنْ أَفْضَلَ هَذِهِ
الْأُمُورُ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَخُفْرَةُ»^(١).

وَلَا يَخْتَلِفُ السَّلَفُ فِي هَذَا، وَوَقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ نَزَاعٌ فِي التَّفَاضُلِ
بَيْنَ عُمَانَ وَعَلِيٍّ^(٢):

فَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عُمَانَ عَلَى عَلِيٍّ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى عُمَانَ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ تَوَقَّفَ.

ثُمَّ اسْتَغَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَهُمْ فِي الْفَضْلِ؛ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ:
عُمَانٌ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَاللَّهِ مَا بَايَعْتُ لِعُمَانَ
حَتَّى سَأَلْتُ جَبِيئَانَ الْحَدِيثِ؛ فَقَالُوا: عُمَانٌ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ^(٣).

وَقَدْ وَصَفَتْ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ هَذَا الْقَوْلَ فِي «جَامِعِهِ»، بِأَنَّهُ قَوْلُ أَهْلِ
الْحَدِيثِ؛ قَالَ: «وَمَعُوذُ قَوْلِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشَرَةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَنِي
بَنِي الْمُتَهَاجِرِينَ، ثُمَّ مِنْ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ تَجِيبِهِمْ أَصْحَابُهُ؛ عَلَى قَدْرِ الْهَجْرَةِ
وَالسَّابِقَةِ وَالْفَيْلَةِ»^(٤).

ظَهَرَ الطَّنُّ فِي الصَّحَابَةِ فِي الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ انْتَشَرَ الطَّنُّ فِي الصَّحَابَةِ فِي زَمَنِ بَنِي عُيَيْنَةَ فِي الْمَغْرِبِ،
خَاصَّةً الْقَبِيلُونَ؛ وَامْتَحَنَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى أَكْرَهُوا عَلَى سَبِّ

(١) «رَوَاهُ النَّفْسُ» (١/٣٦٧ - ٣٦٨)، وَقَدْ سَقَى.

(٢) «مَجْمُوعُ الْفَوَائِدِ» (٤/٤٢٦).

(٣) «الْمَسَائِلُ الَّتِي حُلِّفَ عَلَيْهَا أَحْمَدُ» (١/٩٧)، (٤) «الْجَامِعُ» (١/٩١).

الصحابية على المناكير، وقُتل جماعة من العلماء لأجل ذلك، وقد قام جماعة من أهل العلم في وجوب تلك الفتنة، وعلى رأيهم ابن الحنّاء.

وقد شبه بعضهم مقابلة في فتنة الرافض في المغرب، بمقام أحمد في المشرق في فتنة القرآن^(١).

وقد كان له حجة وبيان وقوة في الحق، وقد سأله أبو عبد الله الرافضي: «أنتم تفضلون على الخمسة أصحاب النساء غيرهم؟ - يعني بأصحاب النساء: محمداً ﷺ، وعلياً وفاطمة، والحسن والحسين ﷺ، ويعني بغيرهم: أبا بكر ﷺ - فقال ابن الحنّاء: أيها أفضل؟ خمسة سادسهم جبريل ﷺ، أو اثنان الله تاليهما؟ فهت الرافضي^(٢).

ما شجر بين الصحابة:

﴿قَالَ لِيَزِيدُ: «وَأَلَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرُّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِنْسَانُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَتَهُمْ أَحَدُ الثَّانِي (في «الجامع»: أَنْ تُنْشَرَّ مَخَابِئُهُمْ)^(٣)، أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَنَاجِبِ»:

لا يتحدث بما وقع بين الصحابة من خلاف وزعاج، ما لم يكن في ذلك فقه للخاصة، فيحترق الخلاف والنزاع بينهم يؤخر الصدور، ويسقط غيبتهم وجلائهم في بعض النصوص، وكان أحمد يقول: «هذه الأحاديث تؤثّر الولي في القلب»^(٤).

ولم يكن الصحابة يتحدثون بخلافهم عند غيرهم، ولا كذلك فقهاء

(١) معالم الإيمان (٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩).

(٢) معالم الإيمان (٢/ ٢٩٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٦).

(٤) «الجامع» (ص ١١٦).

الناجيين: كانوا لا يذكرون خلاف الصحابة، وإنما تفرغ لأكثر أهل بيته وأخباريهم، فنقلوا و زادوا ونقصوا، ومن فلو سعيد بن المسيب قوله: «لقد رأيت عليك وعثمانَ يَسْتَبَايَنَ سِبَايَا ما أُعْبِزْتُ به أحداً بعدُ»^(١).

وقد كان أحمدُ يعتزلُ مجلسَ عبد الرزاقِ إذا حدث بأحاديث الخلاف بين الصحابة، فإذا انتفى، رجع، وإنما وضع إصبعيه في أذنيه طويلاً، حتى مرَّت بعض الأحاديث، ثم يُخرجهما، ثم يَرُدُّهُمَا... حتى نَقَضَ الأحاديثَ كلها^(٢)، لا يُريدُ أن يعلّقَ بقلوبِ شيءٍ منها.

وأكثرُ تلك الأحاديث ليس فيها أحكامٌ وعقَلٌ، وإنما هي حكاياتٌ وأقوالٌ وأفعَالٌ لقرنٍ فاضِلٍ انصرَمَ، وسُتِنَ من ذلك: ما يتضمَّنُ فيها وحلاً ولا حرماً، وكان أحمدُ يقول: «لا أجِبُ لأحدٍ أن يكتبَ هذه الأحاديثَ التي فيها ذُكِرَ أصحابُ النبي ﷺ لا خللاً ولا حرماً ولا سُتْراً»^(٣).

ونعرضُ الصحابةَ بعضهم لبعض، ليس كتعرضي غيرهم لهم، فهم مجتهدون، وفي منزلٍ وفضلٍ عالٍ، ولقَّيهم من العملِ الصالحِ العظيمِ من صُحْبَةِ النبي ﷺ: ما يُوجبُ تكفيرَ قلوبهم، وليس لدى من يقدِّمهم من الحسناتِ ما يقرِّى على تكفيرِ الوقيعةِ في أعراحي الصحابة، إلا أن يَنشَأَ الله.

ولما كاد الوليدُ أن يقعَ في عاتقه، ذكره الزُّهريُّ بقوله أبي مسلمٍ الكولانيُّ لأهل الشام: لَمَّا أَرَادُوا الْوَقِيعَةَ فِي عَاتِقِهِ: «أَلَا أُعِيرُكُمْ بِمَكَلِّكُمْ وَتَكَلُّ هَذِهِ ١٩ كَمَكَلِّي عَيْنِي فِي رَأْسِي يُؤَدِّبَانِ صَاحِبَهُمَا، وَلَا يَسْتَطِيعُ

(١) «الشيءُ لعبد الله ١٢٩٧ و ١٢٩٨».

(٢) «الشيءُ للخلال (٨٠٣)».

(٣) «الشيءُ للخلال (٨١١)».

أن يعاقبهما، إلا بالذي هو خير لهما^(١).

والوفاة في الصحابة ذنب عظيم، لا يبتلي الله به أحدا إلا لسوء كربة، وتنجي يته، وما رأينا أحدا طعن في أصحاب النبي ﷺ إلا وله خبيثة سوء نخرج ولو بعد حين، لا نعلم القبيح، ولكن رأيناهم يكذبون بالظن في الصحابة، ثم لا يصبرون، فيظهر الله عفايا وتجاوزي أخرى، كانوا يخفونها، وفي هذا يقول أحمد بن حنبل: «ما انتقص أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا له فاجلة سوء»^(٢).

وعلى ذلك: فيجب الإمسك عما وقع بين الصحابة، لأنه وقع في ظنهم فاضلة؛ فليس للمفضول الفصل بين الفاضلين عليه فيما لا يغنيهم؛ فإن لهم حسنات لا يقالها من يتقدم يتقدم الله لهم بها بإذنه، والوفاة فيهم بالسب واللعن سيئة عظيمة؛ حتى تصل في بعض الأحيان بصاحبها إلى الكفر، وجننها فلن تقاومها حسنة من حسنات المتأخرين؛ فتفقدوها.

وكان مالك يرى أن لا نصيب في القبر في القبر لمن سب الصحابة والتابعين؛ لأن الله ذكر القبر وأهله بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرَ رَسُولٍ﴾ (الحشر: ٧)، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (الحشر: ١٠).

استحسان أهل المغرب بالصحابة:

ولا نعرف بلاد المغرب الوفاة في الصحابة والظن فيهم، وتكثر مقالهم وسبهم، وكانوا يعلمون أن بدعة الوفاة في الصحابة جاءت من المشرق الأقصى من بلاد خراسان العجم.

ولما سئل عبد الله بن أبي حسان الخصمي - وهو من تلاميذ مالك -

(١) فضائل الصحابة لأحمد (١٧٣٠). (٢) «الشيعة للخلال» (١٩٠).

عنا بقوله الناس في التفضيل بين أبي بكر وعمر، والتفاضل بينهما وغيرهما؟ فقال: «ليس هذا بين قرشي، ولا بين العرب» هذا بين أهل قُوم^(١)، وكان يقول: «والله، لا يخفى علينا نحن من يستحق الزُلاية بعدَ والينا، ولا من يستحق القضاء بعد قاضينا» فكيف يخفى على أصحاب النبي ﷺ الأمر بعدَ نبيهم؟^(٢).

ويتر أُميَّة في المغرب لم يكونوا يفتخرون في علي بن أبي طالب، مع ما يجلُّونه لأثره المُلْك عليهم؛ تعظيماً للصحابة، ولتراثه خاصَّةً. على خلاف ما يفعلُه بعض بني أُميَّة في المشرق؛ من النيل منه بغياً ﷺ.

حتى جاء بنو عُبيد؛ فامتحنوا الناس في ذلك، وقتلوا من خالفهم، ومنعوا الفتوى بحزب مالِك؛ حتى كان الواحد منهم يستور بمدح الصحابة؛ كاستنار النُعمي بعبادته؛ كما ذكره القاضي عياض وغيره^(٣)، وقد قتلوا خلقاً من العلماء، وفرَّ كثير منهم.

حتى قال أبو الحسن القاسمي: «إنَّ من قتلهم عُبيد الله وبنوه؛ أربعة آلاف بين عالم وعابِد؛ ممن يترشَّدون عن الصحابة، حتى خصَّص داراً للقتل سُمَّاها: «دار النُفرة»، حتى لُويَ الصحابة على المناير، وانقطع الناس عن الجُمُوع بالقيروان مُدَّة^(٤).

فَقِنَّةُ الرَّاغِبِ إِذَا تَمَكَّنُوا:

وَقِنَّةُ الرَّاغِبِ إِنْ تَمَكَّنُوا عَلَى أَعْلَى السُّنَّةِ، أَشَدُّ مِنْ قِنَّةِ الْيَهُودِ

(١) رياض النفوس (١/٢٨٧)، وقد سبق قريباً.

(٢) رياض النفوس (١/٢٨٧ - ٢٨٨). (٣) ترتيب المدارك (٥/٣٠٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٥/٦٤٥).

والنصارى فيهم؛ إنما يجدونه من شديد الجفد والنيل عليهم، يكتُمونه ويُرثون حيلهم عليه، وتُشيدون الأشعار فيه؛ حتى تمثلت النفوس، فيترقبون تمكينًا، فإن تمكّنوا، بقوا بغيًا لا يتغيّر غيرهم؛ وهذا معروف في كل زمن؛ ولهذا لا يمتكّنون في الدول والولايات، ومن مكّتهم فلا بد أن يأمروا عليه إن كانوا بقلّة، أو يظفروا عليه إن كانوا كثرة.

وقد قال جليلٌ من عسود الصّفاة: وقد هزّت من الرفض في الرّباط، ونزل القيروان، فكلّم في ذلك؟ فقال: «كنا نمرسُ عدوًّا بيننا وبينه البُشر، والآن حلّ هذا العدوّ بساحتنا؛ وهو أشدُّ علينا من ذلك»^(١).

وكان يُكرّ على من خرج من القيروان إلى سوسة، أو نحوها من الثغور، ويقول: «جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشّرك»^(٢).

الطاعة لأئمّة المسلمين بالمعروف:

﴿قَالَ اللَّهُ تَبَرُّدًا: وَالطَّاعَةُ لِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وَلَاؤِ أُمُورِهِمْ، وَعَلَمَاتِهِمْ﴾:

توافرت النصوص في وجوب السمع والطاعة لأئمّة المسلمين بالمعروف، وتحريم الخروج عليهم؛ وقد قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاقَ الْأَمْرِ وَتَرَوُا﴾ (النساء: ٥٩)، وقال ﷺ: (عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ بَيْنَا أَحَبُّ وَتَمَرٌ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَنْصِبَةٍ؛ فَإِنْ أُمِرَ بِمَنْصِبَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)^(٣).

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٣٧٥)، ومعالم الإيمان (٢/ ٢٧٢).

(٢) ترتيب المدارك (١/ ٣٧٦)، ومعالم الإيمان (٢/ ٢٧٢ - ٢٧٣).

(٣) البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٢٩) من حديث ابن عمر.

ولا يجوز أن يتلى مسلم بلا تبعة لإمام، إلا إن كان في أرض ليس فيها حاكم مسلم، أو كان فيها نزاع على الولاية ولم يتمكن فيها أحد.

ولا يجوز أن يُخْرَجَ على الحاكم المسلم ما لم يأت بكفر بواجب، وقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بَيْنَتُنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَقَتِنَا وَمَكْرَهَتِنَا، وَخُسْرَانِنَا وَنُسْرَانِنَا، وَأَثَرِ عَلَيْنَا، وَالْأَثَرِ أَفْلَهُ، قَالَ: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا مُخْلِفًا بِوَاجِبٍ يَنْدَحُّكُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ يُزْفَقُ) ^(١).

ولا يجوز الخروج بشبهة كفر أو توهم مكفر، ولما قال في الحديث: (بِوَاجِبٍ يَنْدَحُّكُمْ مِنَ اللَّهِ يَوْمَ يُزْفَقُ).

والتبعة إنما هي للحاكم المسلم بالمعروف، وأما الكاليف: فلا تصح له تبعة أصلاً، والطاعة له تكون بما يُقيم الدنيا، ويحفظ حرمان الناس وحقوقهم، وما يحفظ المال الذي أمر الله به.

وكان السلف يعظمون أبواب السمع والطاعة للأئمة، ويجعلونها في أبواب العقائد؛ لأنها من المسائل التي خالفت فيها الفرق البدعية؛ فأصبحت علماً وفارقاً بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف؛ كالخوارج والمعتزلة.

❦ الخروج على الأئمة وأحواله:

والفتنة بالخروج على أئمة الجور المسلمين شر أعظم مما يرجى دفعه، والخروج عليهم يساغل في أوله، والشر كامن في آخيره.

(١) البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

وقد كان سُبْحُونُ يُلقِيْنَ ابْنَ النَّضَارِ فِي مَرَضٍ مَوِيٍّ: «أَلَا تُخْرِجْ عَلَى الْأَمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَاؤُوا»^(١).

وَكَثُرَ مَنْ يَنْجِرُ فِي هَذَا الْبَابِ: مَنْ يَتَوَقَّعُ نَصْرَةَ الْعَامَّةِ، وَالْعَامَّةُ يُطْلِقُونَ الْأَسْرَ، وَيَجْبُونُ عِنْدَ إِطْلَاقِ الرَّمْحِ، وَالْعَالِمُ لَا تَخْذَعُهُ كَثْرَةُ الْعَامَّةِ عِنْدَ تَقْرِيرِ الْحَقِّ.

وقد كان ابنُ فَرْوَجٍ قاضي القضاة بين تلامذة مالك، رأى الخروجَ على العُتْكَ؛ حيثُ كان رجلٌ سوء، وتواعدَ ابنُ فَرْوَجٍ مع قومٍ على أن يكون اجتماعهم بابِ ثَوَسٍ، فلعبَ ابنُ فَرْوَجٍ لِمَكَانِ التَّوَجُّدِ، وتخلَّفوا عنه؛ فلم يَأْتِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَتَوَاتٍ مِنَ الْمُعْتَبِينَ، وَابْنُ مُحَرَّرٍ الْقَاضِي مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ، فَرَجَعَ ابْنُ فَرْوَجٍ.

وحينما أراد الفُتُوحُ إِلَى بَيْضَرٍ، وَشِيعَةِ النَّاسِ، التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «أَشْهَدُوا أَنِّي وَجَعْتُ عِمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أُمَّةِ الْيَهُودِ، وَنَائِبٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ».

وكان ابنُ فَرْوَجٍ يرى الخروجَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ إِنَّا اجْتَمَعَ مَعَهُ بِأَمْرِ بِالْمَعْرُوبِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَحَّ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ تَأْصِيلًا، جَازَ عَمَلًا وَتَطْبِيقًا، حَتَّى تَكُونَ الْفُتُورَةُ وَيَغْلِبَ الظُّرُّ لَا تَوْهُمًا وَاجْتِرَافًا^(٢).

وقد رَجَعَ ابْنُ حُمَرَ عَنْ قِتَالِ تَجْدَةِ الْحُرُودِيِّ لِمَا رَأَى الْعَامَّةَ مَعَهُ؛ حَتَّى قِيلَ لَهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَنْ تُخْرِجَ مَعَكَ إِلَيْهِ، وَسَتَرْكُوكُ وَخَذَكَ»^(٣)؛ مَعَ أَنَّ قِتَالَ تَجْدَةِ مَشْرُوعٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.

(١) فرائض النفوس (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨). وقد سبق.

(٢) ترتيب المقارن (٢/ ١١١ - ١١٢). (٣) التَّجْدَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ (١٥٢٨).

ومن أجازت الشريعة الخروج عليه من الحُكَّام، يُعْصَرُطُ في ذلك: القُدْرَةُ، وَالْأُ تَكُونُ بالتَوْحُّمِ، وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظُهُمِ أَنَّ الْحَاكِمَ الْمَوْضُوعُ، أَفْضَلُ مِنَ الْحَاكِمِ الْمَدْفُوعِ، وَالْحَالُ اللَّاحِقَةُ، أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْحَرُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنَ الْحَالِ، وَيَتَيَّبُ عَنْهُمْ الْمَالُ، وَالتَّفَكُّيرُ فِي أَدَى السُّلْطَانِ الْمَوْجُودِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَيِّمَ الْحَالِ بَعْدَهُ، فَإِنْ كَانَ غَيْرًا يَغْلِبُهُ ظَنُّهُ مَعَ قُدْرَةٍ جَارٍ، وَهَذَا نَائِبٌ، فَإِنْ مَنَ أَخَذَ السُّلْكَ كَرَاهًا، لَمْ يَتَرَكَّهُ طَوْعًا إِلَّا بِمَوْتِهِ، وَبِلَا الْوُسْعِ فِي قَتْلِ النَّاسِ وَإِسَاءِ حَيَاتِهِمْ بَعْدَهُ؛ وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ زَوَالَ السُّلْكَ: تَرَاهَا، مُشَابِهَةً لَهُ بِتَرْجِيهِ الرُّوحِ: ﴿وَتَنْزِيحُ السُّلْكَ بِمَنْ تَرَاهَا﴾ (الجمعة: ١٢٦).

وَيَجِبُ النَّظَرُ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَتَغْلِيْبُ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى صِلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّرَاحُمِ، فَإِنَّ الْمَرْجِعَةَ مِيزَانَهُمْ صِلَاحُ الدُّنْيَا وَحْدَهَا وَلَوْ فَسَدَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَإِنَّ الْخَوَارِجَ مِيزَانَهُمْ صِلَاحُ الدِّينِ وَحْدَهُ وَلَوْ فَسَدَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَلَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ حَفِظِ أَصْلِ الدِّينِ وَبَيْنَ حَفِظِ فَرْجِهِ، وَلَا بَيْنَ إِضَاعَةِ أَصْلِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ إِضَاعَةِ فَرْجِهَا، فَإِنَّ لِلدُّنْيَا أَصْلًا لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا بِهِ، وَإِنْ لَهَا فَرْحًا لَا يَضِيْعُ الدِّينُ لِأَجْلِهِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غِلْيَةٍ؛ فَاسْتَلْذَتْ وَعَقَائَتُهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ لَاحِقٍ -: فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِمْ، جَارَ أَوْ عَدُوًّا، وَيُعْزِي مَعَهُ الْعَدُوَّ، وَيُخَيِّجُ الْبَيْتَ، وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ مُجْبِرَةٌ إِنْكَاطُهَا، وَتُصَلَّى خَلْفَهُمُ الْجُمُعَةُ وَالْعِيدَانِ»^(١).

(١) «الجامع» (ص: ١١٦).

❦ نَصَحُ الْأَيْثَةِ:

ويجب مع السمع والطاعة: النصح لأئمة المسلمين بعلم وجحمة، ولا تُلزَم من منع الخروج عليهم في النصوص: ترك التكبير عليهم بالهَيْسَ.

والفرق بين أهل السنة والعرجة في هذا الباب: أنَّ أهل السنة يَرْوُونَ الإنكارَ على مَنْ جَارَ مِنَ الْأَيْثَةِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا يَخْلُدُونَ الإصلاحَ بَابًا للخروج، وَأَمَّا العرجة: فَيَخْلُدُونَ خوفَ القتلِ بَابًا لإخلاقِ الإنكارِ عَلَى الْأَيْثَةِ.

والإصلاحُ يَكُونُ بِعِلْمٍ وَجَحْمَةٍ وَعَدْلٍ، وَلَا يَكُونُ بِذِكْرِ مَا يُخَفِّيه الْأَيْثَةُ مِنْ عِيوبٍ وَذُنُوبٍ تُخْصِّمُهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُ زُلَّاتِهِمْ، وَلَا تُذَكِّرُ عِنْدَ مَنْ لَا تَغْنِيهِ تِلْكَ الزُّلَّاتُ؛ فَتِلْكَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْفُجْرِ، وَيَتَوَقَّعُونَ إِصْلَاحًا.

وَيَجُوزُ اتِّقَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَهَلْئِهِمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النوع الأول: مَا يَخْصِّمُهُمْ مِنْ تَفْصِيرٍ فِي حَقِّ اللَّهِ بِفَعْلٍ الْمَحْرُومِ، وَتَرْكِ الْوَاجِبِ، وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ الْعَائِثَةُ، وَلَا يَشْرَعُونَهُ لِيَهُمْ:

لهذا يُشْرَعُ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْمُصْلِحِ وَبَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ خَاصٌّ لَا عَامٌّ، وَكُلُّ حَاكِمٍ مُسْلِمٍ، فَلْيُزَيِّدْهُ حُرْمَةً كَالْمُسْلِمِينَ بَلْ أَشَدَّ، وَلَا تَجُوزُ إِلَّا بِشَرْطِهَا الْمَعْرُوفَةِ.

وَمَنْ خَشِيَ أَذَى السُّلْطَانِ وَخِزَرَةَ فِي هَذَا الْبَابِ، جَازَ لَهُ تَرْكُ نُصِيحِهِ؛ لِأَنَّ خِزَرَةَ خَاصٍّ بِفَاعِلِهِ، لَا عَامٌّ لِلنَّاسِ، وَالْأَيْثَةُ فِيهِ مُضِرَّةٌ بِالْعَالِمِ، وَمَنْصَلِحَةٌ النَّاسِ بِالْعَالِمِ عَامَّةً؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَالِكٍ: «أَذْرَكْتُ

سَبْعَةَ عَشَرَ نَابِعًا، فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ يَعْطُونَ^(١).
 وَكَانَ خَمْدِيْسُ مِنْ أَصْحَابِ شُخُونٍ يُسْأَلُ عَنِ الْإِمَامِ الَّذِي يَمْتَلِكُ
 بِالْمَعْصِيَةِ: أَكُنْتُ تَامِرَةً وَتَنْهَاهُ؟ قَالَ: «لَا» وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
 «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدْلِكَ نَفْسَهُ»، قِيلَ: كَيْفَ يُدْلِكَ نَفْسَهُ؟ قَالَ ﷺ:
 «يَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا لَا يُطِيقُ»^(٢)، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ مَالِكٍ قَوْلَهُ السَّابِقَ^(٣).
 وَهَذَا لَيْسَ فِي تَرْكِ نَصِيحِ الْأَمَّةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَإِنَّمَا مَرَادُهُ مَا خُطِّبَ مِنْ
 مِنْ ذُنُوبٍ، وَقَدْ قِيلَ لِخَمْدِيْسٍ: «فَلَوْ أَنَّ إِمَامًا دَعَا إِلَى يَذْمُو، وَأَمَرَ بِهَا؟
 قَالَ: تُجَاهِدُهُ»^(٤)، يَعْنِي: لَا تَذَعُهُ، بَلْ يُجَاهِدْ حَسَبَ مَقْدَارِ الْيَذْمُو
 الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَايِبِ الْمَشْرُوعَةِ؛ مَا لَمْ تُخْرِجْهُ الْيَذْمُو مِنَ الْإِسْلَامِ؛
 فَيُجَاهِدُ بِاللِّسَانِ مَعَ الْعَمَلِ، وَمَا أَخْرَجَتْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَيُجَاهِدُ بِالْيَدِ مَعَ
 الْقَلَمِ.

النوع الثاني: جَوْرُهُ وَظُلْمُهُ الْمُصْطَفِي مِنْ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
 فَيُخَصِّرُ لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ بِصُورِهِ، وَعِنْدَ الْمَظْلُومِ بَيَانٌ حَقُّهُ لَهُ بِعَمَلِهِ.
 وَإِنْ كَانَ ظُلْمُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَإِظْهَارِ الشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ، وَدَعْوَةِ النَّاسِ
 إِلَيْهِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَلَى الْقَادِرِ بَيَانَ الْمُنْكَرِ وَحَقَّهُ فِي الشَّرِيعَةِ عِنْدَ مَنْ
 أَخَذَ بِقَوْلِ السُّلْطَانِ؛ فَلِلْعَامَّةِ تَأَثُّرٌ بِتَقْلِيدِ السُّلْطَانِ وَمَحَاكَاتِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
 بَيَانًا لِلْمُنْكَرِ وَمَنْزِلَةً فِي الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَسْمِيَةِ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، لَا بِتَعْيِينِ
 فَاعِلِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي تَعْيِينِ فَاعِلِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ لَهُمْ مَا يَذَمُّهُمْ لِلْإِسْتِمْسَاكِ

(١) «رِيَاضُ النَّفْسِ» (٤٨٩/١).

(٢) «التَّرْمِذِيُّ» (٢٢٥٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (٤٠١٦) مِنْ حَقِيقَةِ حَقِيقَةٍ.

(٣) «رِيَاضُ النَّفْسِ» (٤٨٩/١). (٤) الْمَوْضِعُ السَّابِقُ.

بالشرِّ ونشريعه، فيكون المصلحة في مثل هذه الحالة عظم فساد الحاكم ووسعه، ولم يُضيقه وضيقة.

وهذا كله يُنظر فيه: الزمان، وتغيُّر الحال، ومآلات الأمور وتدابيرها، وجُرم الشرِّ والخير من الجهتين زيادةً ونقصًا، وأحوال السلاطين، ونزوع مُتخبرهم وقنرة، وسعة أخذ الناس به وضيقة.

وهذا الباب من أخرج الأبواب للسياسة الشرعية، وكثيرًا ما نؤثر فيه طبائع النفوس وهواها على العقل والإنصاف بين أربعة حقوق: حق الحاكم، وحق الناصح، وحق المحكوم، وحق الله.

❦ الخطأ في نصوص السمع والطاعة:

وعندمَ العَدَل في نصوص السمع والطاعة قد يتدخل على طائفتين من المتدينين:

طائفة: تأخذُ نصوصَ التحليل من الدخول على السلطان وإمام الجور المسلم وما جاء في ذلك، فتقع في المحذور من جهة استحلال ما حرم الله من عِرضه، وغتلك بستره، والنُّفرة من نصوص السمع والطاعة ولزوم الجماعة، والرُّفد فيها، والاقتصار على نصوص المناهضة والمجاهدة.

وطائفة: تأخذُ نصوصَ السمع والطاعة والصبر على إمام الجور المسلم ومنع الخروج عليه، فتقع في المحذور من جهة تعظيم وإطراء ومُذْجُو بما لا يستحقُّه - أو يستحقُّه، لكنه يُعزُّه ويُعبدُه ويُطْفِيه - والزهد في نصوص الشَّيخ له، والاقتصار على نصوص السمع والطاعة.

والمرجعة: هؤلاء من كان شدة الولاء للسلطان، ولو كان شدة العداوة لله ورسوله.

وأهل السنة: جعلوا الولاء للإمام تحت الولاء لله؛ كما قال الله عن نبيِّه الصحابة نبيِّه ﷺ - وهو معصوم -: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي﴾ (النسج: ١٠)، وجعل النبي ﷺ الطاعة بالمعروف لا في معصية الله في أحاديث متواترة.

وربما يُلح بعض هؤلاء المُرَجِّفِ: يَغْضُ مَنْ يُغْضُ السُّلْطَانُ، وَحُبُّ مَنْ يُحِبُّ، وقد يُلح بعضهم غُلْدُ الولاء والبراء على السُّلْطَانِ مَبْلَغًا أعظمَ من غُلْدِهِ، ولو لم يَظْهَرْ ذلك من قولهم، فربما ظَهَرَ من فعلهم؛ فيوالِدُونَ مَنْ والى الحاكم ولو عادى الله بالزُّنْدَاقَةِ والسُّجُونِ، موالاةٌ أَكْثَرُ من الولاء لِمَنْ عادى السُّلْطَانُ وَنَابَلَهُ - سواءً كان مُصِيًّا أو مُحْسِنًا - ولو كان من أهلِ الزُّلُمِةِ هو بالعلم والقيانة، وقد كان ابنُ أبي ذُرٍّ يوالي الجاحظَ؛ لكونه يوافقُ السُّلْطَانُ، ويعادى أحمدَ بنَ حنبلٍ؛ لأنَّه يخالفه.

مع كونِ الجاحظِ - مع أتباعه وتلاميذه - مُتَّهِمًا بِالزُّنْدَاقَةِ، وقد ذمَّه تلميذُه ابنُ قُتَيْبَةَ وَصَفَهُ بأنَّه من أَكْثَرِ الأُمَّةِ، وَأَوْضَعِهِمَ لِحَدِيثِ، وَأَنْصَرَجِهِمَ لِباطِلٍ^(١)، وأنَّه لا يصلي ولا يصومُ، وقال يَغْلِي عَوَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ^(٢)، وكَثُرَ بعضُ أَقْوَالِهِ جَمَاعَةً؛ كَالْبَاقِلَانِي، وابنِ عُثَامَةَ^(٣).

ومع هذا يعادُونَ أحمدَ بنَ حنبلٍ، ويقرَّبُونَ الجاحظَ، ويَلْبِثُونَ معه؛ لأنَّ ولاعهم ليس لله؛ وإنَّما إلَهاً عليه السُّلْطَانُ، وإذا كان العالمُ لِمَا مع زُنْدِيقِيٍّ، وشديدًا على عالمٍ مجتهدٍ، فذلك من أظهرِ علاماتِ الهَوَى، ولو سُوِّدَ الشُّحُفُ بنصرويِّ السُّنَّةِ والآثَرِ

(١) تأويل مختلف الحديثه (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) «الفصل» (١/ ١١٨).

(٣) فروضة النافرة (٢/ ٣٥٠ - ٣٥١).

وربما فسر بعضهم الفئدة بمقدار ما يُسَخِّطُ الحاكم، لا بمقدار ما يُسَخِّطُ الله؛ فيتناقضون في تقدير أشياء متساويات، بل يعكسون المتباينات، وربما كان في أنفسهم ما أسخط الله، وعظم فيها ما أسخط السلطان.

ومصلحة المحكوم بالحاكم تؤثر فيها الجلالة النفسية والأطماع بطرقها:
الإلزام والتفريط:

فمنها: نفوس تحب التفلل والعلو بتعظيم رؤوس الناس، وربما يَكُونُونَ جُلَّتْهُمْ النَّفْسُ وأطاعهم بالنين والاستدلال بأدلتهم، وهذا يوجد في كل بلد قديماً وحديثاً؛ لأن الله عظم الاجتماع لمصالح الناس، فرأوا أن هناك رعاية إلهية للملوك، وليسوا محللاً للقوم ولا اعتراض بين أحد؛ لأن لديهم تقديراً إلهياً؛ كما عند الرومان واليونان وفي اليابان: يَرَوْنَ الجيكاكو (الملك) هو الله وفي الهند: يَرَوْنَ أن للملوك سلطة بين الإلهو الأكبر (براهما) ونحوهم الصيغون، وفي مصر: اعتقد الفراعنة الملكية الإلهية^(١)

وسئل النصوص السماوية في السمع والطاعة سلاطين وأتباع لهم يَرَوْنَ طاعتهم ديناً بلا استثناء كالخجاج بن يوسف في الإسلام، وكان حسان أبو المنذر خجاجياً؛ يقول: «من خالفت الخجاج، فقد خالفت الإسلام»^(٢).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٣٢، ٩٨٥)، والنظام الدستوري في اليابان (ص ٥٥)، وفكرية الدولة (ص ٤٧).
(٢) «الغاة» لابن حبان (٥/ ٤٢١).

وهذا في النصارى كذلك؛ فقد ذكرَ لُويس الرابع عشرَ في «مذكراته»: أنَّ سُلْطَةَ الملوك مستمدةٌ من الله، وهم مسؤولون أمامه وحده، لا من الشعب، وكان يقول: «الْمَلَكِيَّةُ وَكَأَلَةُ إِلَهِيَّةٌ» وينحدره يقول لُويس الخامس عشر^(١)، وكذلك هَلِيُوم الثاني قِيسَرُ ألمانيا^(٢).

وبفعل تلك النفوس: نفوسٌ تُحبُّ المخالفةَ وإظهارَ الشجاعةِ والقُوَّةِ والتمردَ ثَجَاءَ كُلِّ رَاسٍ في الناس، وربما يَكْشُونَ عِلَّتَهُمُ النَّفْسِيَّةَ بالذَّيْنِ والاستدلالِ بأدْلَتِهِ؛ وهذا - كذلك - يُوجَدُ في كُلِّ مِلَّةٍ، تحمِلُ شجاعةَ الإنسانِ وَحُبَّ الظهورِ والدُّخْرِ وخَفْيِ الناسِ: على الجِزَافِ على الحُكْمِ في كُلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، وإسراعِ الناسِ ما يريدونَ؛ كما يُذَكِّرُ أنَّ فائِزَةَ مجالسِ العامةِ الكلامِ في السلاطينِ، وتحوُّلَةَ شجاعتهِ لاستدعاءِ مصالحِ الخروجِ وأدْلِيهِ وغيابِ مفاصِدِهِ وأدْلَتِهَا، وتحضُّرُ في تَقْيِيدِ البداياتِ، وتَقْيِبُ عنها التَّهْلُكَاتِ؛ فقد يُبْتَلَى الإنسانُ بالشجاعةِ في غيرِ موضوعها؛ كما يُبْتَلَى بالحيِّثِ في غيرِ موضوعه، وَيَجِبُ على العاقلِ أنْ يجاهدَ نفسه لِيَلْ أنْ يجاهدَ بها غيرهَ، وإذا اجتمعَ في الإنسانِ العِلْمُ والتجرُّدُ، أصابَ الحقُّ.

والناسُ في حاجةٍ إلى عالمٍ متجرَّدٍ، لا إلى متجرَّدٍ جاهلٍ، ولا إلى عالمٍ يخافُ وَيَطْمَحُ؛ فالعالمُ بلا تجرُّدٍ يعطلُّ الأُمَّةَ بإحجامه، والمتجرَّدُ بلا عِلْمٍ يَهْلِكُ الأُمَّةَ بإقدامه، وأعظمُ الشرورِ تأتي إذا قادَ الناسَ جاهلٌ غيرُ متجرَّدٍ.

(١) Barthelmy and dore, de la filiation of Constitutional Law, Paris, 1933, p. 63.

(٢) في خطابِ القاءِ عام ١٩١٠م.

❦ ابتلاء المصلح:

وقد يُنقى العالم المصلح بالمحرّضين بينه وبين السلطان، ويستعملون خلافة مع السلطان في باب، فيجعلونه في محل الأبواب، كما ابتلي أحمد بن حنبل لما كانت فتنة خلقي القرآن، فقد رُشى به قوم - منهم ابن التلمي - عند الخليفة: أنه لا يرى البيعة، ويؤوي في بيته علويين لا يرزق بيعة للمعاليين، فبعث السلطان إليه، فاستحلقه باله والطلاقي، فحلفت، ولم يلق الخليفة، وجاء برجلين وامرأتين يقتشون بيته وبيت ابنه صالح - حتى النساء والعورات - يحشون صن يحته من عليّة الخليفة^(١).

وكثيرا ما يدخل أمثال هؤلاء على السلطان من باب خوفه على ملكه، فيكون أسرع تصديقا للظنون والأوهام.

❦ تجرّد المصلح:

وتجب أن يكون العالم عدلا في مصالح الناس، فلا يحمله كثرة الحاكم ولا حبه على إضاعة مصالح المسلمين التي بين يديه، وأن يكون رآه في الشدائد جفقا للإسلام والمسلمين، لا لشفا منه، ولا غنما فيه.

فقد وجد أحمد بن المأمون والمعتصم شرا عظيما في دينه وقبلة: بحبسه وضربه وحمل الناس على القول بخلقي القرآن، ولما ظهرت الحربية بفائدة الرّتبتي بآبك الخرمي، كتب أحمد إلى العلماء والولاة - ككتاب لابن التميمي، ووالي البصرة - يستجئهم على قتالي بآبك، وأن يحشوا من حولهم على ذلك^(٢).

(١) «شفاة للخلافة» (١١٤).

(٢) «السيرة» (١١/٢٦٦).

وقد كان من قادة الجيشي حينذاك: إسحاق بن إبراهيم والتي
شُرطه بغداد، وجلاد أحمد^(١)، لأنَّ شرَّ بآئك على المسلمين أهلكم من
شرَّ المأمون والمعصم، وهذا من قذو أحمد ونجرو وحنقه.

❦ فضل السلف وأتباعهم:

﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُتْبَاعٌ لَّيْسَ بِالسَّامِعِينَ أَتْبَاعًا وَلَا لَاحِقِينَ﴾^(٢)
لَهُمْ:

السلف الصالح هم الصُّفَرُ الأوَّل وما اتصل بهم: الصحابة
والتابعون وأتباعهم، وسُمُّوا سَلَفًا لأنهم بالنسبة لمن جاء بعدهم:
سالفون، ومن بعدهم: خالفون، وسُمُّوا بالصالحين لأنَّهم بالصلاح
عليهم، وعلى ذمتهم.

وقد يكون السلف اسمًا نسبيًا بحسب الزمان؛ فالصحابة سلف
بالنسبة للتابعين، والتابعون خلف بالنسبة للصحابة، وهكذا بالنسبة
للتابعين مع أتباعهم، وأتباع الأتباع مع أتباع أتباع التابعين.

وتغليب إطلاق السلف الصالح على أصحاب القرون المحفلة،
وخاصَّةً الطبقتين: الصحابة والتابعين، وكلُّ طبقه منهم يحقُّم اللاحق
منهم السابق؛ فالصحابة يتباينون في الفضل، ويتلهم التابعون وأتباعهم،
ولقد جاء في الحديث: قال ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)^(٣).

(١) المُنْتَهَى لِلْخَلَال (١/ ١٢٠ - ١٢٤).

(٢) سبق شرحه.

سبب تفضيل السلف:

وجعل التفضيل ليست لمحرو احتواء الزمان، وإنما لقرئهم من العهد الأول، ونزول الوحي، وأقرئهم إليهم الفضلهم غالباً، وألا ففي زمانهم من الكفار والمنافقين والعصاة ما هو معلوم، ولكن من قام بالدين منهم والحق، فهو أصح قولاً، وأصوب عملاً، وأصدق نيّة، لظهور قلوبهم، وصحة لسانهم، وأقرئهم من النبي ﷺ وعهده، فلم يتباعد بهم العهد حتى يقع الخلاف والفتنة، كما وقع فيمن جاء بعدهم.

فالاختلاف كان زمن الصحابة أصح منه في زمن التابعين، وهو في زمن التابعين أصح منه في زمن الصحابة، وهكذا، ومن نظر في كتب فقه السلف، وجد ذلك ظاهراً، ولا يعني ذلك سوء القصد، ولكنه يُعَدُّ العهد.

وقد قرأ النبي ﷺ فقامت الصحابة وأثروا على من بعدهم، بغايه وأثروا على الصحابة، فقال ﷺ: (أَنَا أَمْنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا فُتِنْتُ، أَنِّي أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمْنَةٌ لَّأَنِّي، فَإِذَا فُتِنْتُ أَصْحَابِي، أَنِّي أَنِّي مَا يُوعَدُونَ)^(١).

وذلك الافتراء لبيان أنّ العلة في الأمان هي القرابة من النبي ﷺ والاعتصام به، فلا أعظم وأشدّ قرابة من ربه كالنبي ﷺ، ثم يليه أصحابه، فكان الأمان للصحابة والأئمة بالنبي ﷺ أعظم من غيره، والأمان بالصحابة للتابعين والأئمة أعظم من غيرهم ممن جاء بعدهم.

(١) مسلم (٢٥٢١) من حديث أبي موسى.

تَعْظِيمُ فَهْمِ الصَّحَابَةِ:

وَكُلُّ سُنَّةٍ لَا تَنْتَهِي إِلَى الصَّحَابَةِ يُتَوَقَّفُ فِيهَا؛ فَهَمَّ أَعْلَمُ النَّاسِ
بِالنَّبِيِّ ﷺ وَسُنَّتِهِ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ شَرِيعَتِهِ، فَإِذَا قُلَّ الْحَدِيثُ عَلَى
تَشْرِيعٍ، وَدَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى تَرْكِ الصَّحَابَةِ لَهُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَعَبَّدَ بِهِ، لَيْسَ
لَاَنْ مَنَزَلَتُهُمْ أَرْفَعَ مِنَ الْوَحْيِ، وَلَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنْ لَاَنْ مَنَزَلَتَهُمْ
وَقَهْمُهُمْ أَعْظَمُ مِنْ مَنَزَلِهِ مَنْ يَعْلَمُهُمْ وَقَهْمُهُ.

وَقَدْ كَانَ الْأَثَمَةُ يَشُدُّونَ فِي مَخَالَفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَقَهْمِهِمْ لِلْسُّنَّةِ،
وَلَوْ كَانَ الْمَخَالَفَةُ لَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ؛ كَمَا كَانَ يُنْصَرُّ عَلَى ذَلِكَ مَالِكٌ،
وَأَحْمَدُ، وَغَيْرُهُمَا، وَقَدْ قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَبْرِ: «قُلْتُ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ:
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ عَيْنَنَا قَوْمًا وَضَعُوا كُتُبًا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: حَدَّثَنَا فَلَانٌ،
عَنْ فَلَانٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، بِكَذَا، وَحَدَّثَنَا فَلَانٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ،
بِكَذَا، وَنَأْخُذُ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ مَالِكٌ: صَحَّ عَنْهُمْ قَوْلُ عُمَرَ؟ قُلْتُ:
إِنَّمَا هِيَ رِوَايَةٌ؛ كَمَا صَحَّ عَنْهُمْ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: هَؤُلَاءِ
يُسْتَأْذِنُونَ»^(١).

وَإِذَا صَحَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، فَلَا تَجُوزُ الْمَنَازَعَةُ فِي ذَلِكَ؛ فَالْإِجْمَاعُ
إِجْمَاعُهُمْ، وَمَنْ يَعْلَمُهُمْ تَبَعَ لَهُمْ؛ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ^(٢).

وَإِنْ قَالَ وَاحِدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ قَوْلًا، وَاشْتَهَرَ وَلَمْ يُخَالَفْ، فَلَا يُخْرَجُ
عَنْهُ، خَاصَّةً فِي الْعِبَادَاتِ^(٣).

(١) «الإحكام» لابن حزم (٦/١٢٠ - ١٢١).

(٢) «عقائد الإمام أحمد بن حنبل» (ص ٧٥).

(٣) «المعتمد» (٢/٢٦٦)، و«الإحكام» لابن حزم (٤/٦١٥)، و«الإحكام للمصنوع»
(ص ١٠٧).

وأما ثبت إجماع التابعين، فلا يجوز الخروج عنه كذلك^(١).

وإن قال واحد منهم بقول، فالأمر فيه سنة، فامرهم ليس كامر الصحابة، إلا أن قول الواحد منهم الذي لا يخالف فيه، فالأصل: أنه أخذ من صحابي، ولو لم يذكره، وقد نص على هذا أحمد.

الاستدلال بحديث يخالف الصحابة:

ولا يجوز لأحد من المتأخرين أن يستنبط من نص سنة تخالف قول أهل الصدر الأول، وقد كان التابعون وأتباعهم - مع قرب غلبهم - يعظمون أقوال الصحابة، وقهقههم للوحي، ويقدمونه على قهقههم؛ لتزكية الله لهم، وقرب غلبهم، وحيثهم، وسلامة قلوبهم؛ فلا يمكن أن يقولوا بقول يخالف النص، فضلاً عن أن يجيبوا عليه؛ قال الشعبي: «لو رأيت الصحابة يتوسلون إلى الكوعين، لقوسأتك كذلك، وأنا أفروها: ﴿إِلَى الْمَرْفِقِ﴾» (المعجم: ١١٩) (٢).

وذلك لأنهم لا يثمنون في ترك السنن الثابتة عن النبي ﷺ لعلمهم وحرصهم وورعهم؛ فلا يقر ذلك بهم أحد إلا وهو متهم في دينه.

وكان عمر بن عبد العزيز يجعل ما فعله الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ من التصديق بكتاب الله، وكان الإمام مالك يعبئه عزم عمر في قوله: «سُر رسول الله ﷺ وولاء الأمر من يديو سنة، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها؛ من افتدى بها مهتدي، ومن استنصر

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» (١/٢٣١)، ومجموع الفتاوى (١٣/١٩٨).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولأه الله ما تؤلى، وأضلأ جهنم، وسامت مصيراً^(١).

قال مالك: «أعجني عزم حمز في ذلك»^(٢).

وكان الأئمة من التابعين ومن بعدهم يعظمون عمل الصحابة، وخاصة الخلفاء، ويعتبرونه على ظاهري الحديث؛ ليس لأنه أجل منه، ولكن لأنهم أعلم الناس بفسره.

قال مالك: «والعمل أثبت من الأحاديث» قال من أفتدي به: إنه لضعيف أن يقال في مثل ذلك: «حدثني فلان عن فلان»، وكان رجال من التابعين يثبتهم عن غيرهم الأحاديث، فيقولون: ما نجهل هذا، ولكن مفس العمل على خلافه^(٣).

وكان محمد بن أبي بكر بن حزم ربما قال له أخوه: لِمَ لَمْ تفس بحديث كذا؟ فيقول: «لم أجد الناس عليه»^(٤).

حقيقة العمل الذي يقدّم على الحديث:

وليس كل عمل متقدم يقدّم على الحديث، بل ما قُرب من الوحي زماناً ومكاناً؛ فليس قرب الزمان وحده كافياً في تقديم العمل؛ فلا يقدّم قول كل بلدي - مهما تباعد - على الحديث، ولا قُرب المكان وحده كافياً في تقديمه على الحديث؛ فليس كل عمل أهل المدينة مهما تباعد زماناً وتاخّر كافياً في تقديمه على الحديث، بل قد يكون تقديمه ضلالة وشرأ.

(١) مسائل حربه (١٩٥٨)، والسنّة لعبد الله (٧٦٦)، والسنّة للخلال (١٣٢٩)، وشرح أصول الأحكام (١٣٤).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧ - ١١٨). (٤) الموضع السابق.

وإنما الذي يفتن من العمل ما جمَعَ القُرْبَيْنِ: قرب الزمان، وقرب المكان؛ قال عبدُ الرحمن بنُ مهديٍّ: «السُّنَّةُ المتقدِّمةُ من سُنَّةِ أهلِ المدينة خيرٌ من الحديث»^(١).

وليس هذا تأخيرًا للحديث، وإنما هو تقديمٌ لِقَهْوِهِمْ على قَهْوِ غيرهم؛ فإنَّ عملَ أهلِ المدينة المتقدِّمَ لم يُفضَّلْ إلا لأجلِ الحديث؛ ففضلهُ فرعٌ عن فضله، وألا فمَنَّةُ أفضلٍ من المدينة، وليس فضلها بمقدِّم لها في فضلِ العملِ على غيرها؛ فالمدينةُ منزلةٌ أكثرِ الحديثِ والعملِ به.

ومن كان جاهلاً بعملِ الصديقِ الأوَّلِ وقلوبهم، كثُرَ خطؤه، وجاء بشذوذِ الأقوال، ولو كان معه ظاهرُ الحديث؛ قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «الحديثُ مُضَلَّاةٌ إلا للفقهاء»^(٢).

وفد قال ابنُ أبي رُقَيْدٍ في بيان ذلك: يريد: أنَّ غيرهم قد يحيلُ شيئًا على ظاهره، وله تأويلٌ من حديثٍ غيره، أو دليلٍ يخفى عليه، أو متروكٍ وبحَبِّ تركه؛ غيرَ شيءٍ مما لا يقومُ به إلا مَنْ استبحرَ وتفقه.

ومن هذا قولُ ابنِ وهبٍ: «كلُّ صاحبِ حديثٍ ليس له إمامٌ في الفقه، فهو ضالٌّ، ولولا أنَّ الله أنقَلَبَ بمالكٍ والليث، لَضَلَّنا»^(٣).

وربما أجمَعَ الصحابةُ والتابعونَ على تركِ العملِ بحديث، وهو صحيحٌ؛ لأنهم يَعْلَمُونَ سببًا مشروعيًا لتركِ العملِ وإنَّ لم يبيِّنوه؛ فصار مجردُ تركهم دليلًا مستقلًّا في ذاته على الترك، لا أنَّ تركهم لذاته أفضلٌ من الحديثِ لذاته.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨)، وصند الموطأ (٥٦).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

فَلَا يُحْكِنُ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى تَرْكِ سُتُو، وَلَا أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى
فَعْلٍ خَطَرٍ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَالنَّسْلِيمُ لِلنَّسْتَنِ
لَا تُعَارَضُنْ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافِعُ بِقِيَاسٍ، وَمَا تَأُولُهُ مِنْهَا السُّلْفُ الصَّالِحُ
تَأُولَتَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمَلَتَاهُ، وَمَا تَرَكُوهُ تَرَكَتَاهُ، وَصَغَفْنَا أَنْ تُصِيبَ
عَمَّا أَمْسَكُوا، وَتَكْبَهُمْ فِيمَا يَنْتَوَى، وَتَقْتَصِي بِهِمْ فِيمَا اسْتَبَقُوا وَرَأَاهُ فِي
الْحَوَاطِثِ، وَلَا نَخْرُجُ عَنْ جَمَاعَتِهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ أَوْ فِي
تَأْوِيلِهِ»^(١).

وَكَانَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ مَعْظَمًا لِلسُّتُو، بِصِرِّهَا، عَالِمًا بِأَقْوَالِ السُّلْفِ،
عَارِفًا بِتَارِيخِ الْبِدْعِ وَنَشَأَتِهَا، وَقَدْ كَانَ يَقُولُ فِي بَدْعِ أَصُولِ الدِّينِ: «بَنُو
أُمِّيَّةٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ خَلِيفَةُ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً»^(٢).

وَلَا تَنْتَشِرُ الْبِدْعُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ عَقَلَ الْأَمْرَ وَجَهِلَ مَنَازِلَ الصَّحَابَةِ
وَالتَّابِعِينَ فِي حِفْظِ الدِّينِ، فَكُنْ جَهِلَ الْأَمْرِ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلُ بِالرَّأْيِ فَتَبَدَّ اللَّهُ
بِقَوْلِهِ وَمَا يُعْجِبُهُ، حَتَّى يَهْجَى مِنَ التَّكَلُّفِ وَالتَّشَايُطِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْبِدْعِ أَكْثَرَ
مِنَ السُّتُو، حَتَّى مِنْهُمْ مَنْ لَا يَزْغِي وَلَا يَتَصَلَّقُ فِي الْوَاجِبَاتِ وَيُتَوَقَّعُ
الْأَمْوَالِ الطَّالِلَةَ عَلَى الْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، وَيَسْأَلُ لَهُ أَنْ مَنْ يَنْهَاهُ
عَنْ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَمَا نَعْيُيْنُهُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ عَمَلِهِ بِنِ صَلَاحٍ
وَصِدْقٍ وَجِلَّةٍ وَإِحْسَانٍ، وَتَرَكَ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ
كُفِّرَ شُرْكُكُمْ اللَّهُ قَاتِلِينَ بِتِهْمَتِكُمْ لَهُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فَلِذَا كَانَتْ مُحِبَّةُ اللَّهِ
- وَهِيَ أَعْظَمُ مُحِبَّةٍ - لَا تَحَقُّقُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ فَعْلِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ مُحِبَّةَ نَبِيِّ
بِنِ بَابِ أَوَّلَى.

(١) «الجامع» (ص ١١٧).

(٢) «المحبة على تارك المحبة» (ص ١٤٧).

سَيُؤْتِيهِ» (الأنعام: ١٥٣)، ولن يُوصَلَ صاحِبُهُ إلى شيءٍ؛ لأنه حتى وإن أصاب الحقُّ ضلعةً، فقد ضلَّ بأن اتخذ وسيلةً للدلالة على الله غير ما شرَّعه الله؛ وهذا بلاغيٌّ محادٌ هو والرسول؛ لأنَّ الله جعل الدينَ كاملاً من جهتيه: جهة الطريق، وجهة الغاية:

أما جهة الطريق: فقد جعل الله في وحيه كفايةً؛ لهذا أمرَ بالأخذ منه، وحلَّ من الأخذ من غيره، ومن لم يجد ما يُرشِّدُه من وحيه، أو قَصَرَ نظره عن الفهم، فهو معذور، ولا يجوزُ له التماسُ حقِّ الله من غير طريق الله؛ قال ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيِّنَاتِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا خَالِكٌ، وَمَنْ يَمِشْ وَمَنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَمَلِكُكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَنِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّائِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ، وَإِنْ عُبِدَ حَبِيبًا؛ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْمَجْمَلِ الْأَبْيَضِ، حِينَمَا قُبِدَ اثْقَاتًا»^(١).

وأما جهة الغاية: فهي العبادة التي لأجلها خلق الله الخلق؛ كما قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي» (الذاريات: ٥٦)؛ فليس لأحد أن يزيغ في العبادة ما شاء، ولا أن يقص من عبادته ما شاء؛ طاعةُ أكمل دينه وأتمه، وكلُّ من زاد فيه، فقد اتهمه بالنقصان، وكلُّ من نقص منه، فقد اتهمه بالزيادة؛ والله تعالى يقول: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي رَزَقْتُكُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ بَيِّنًا» (المائدة: ٣).

ﷻ المجتهدُ يبدعه:

والمجتهدُ في طريق غير مشروع يؤدِّيه اجتهاده إلى بدعة، ليس بمعذور؛ لأنَّ ضلالتَه: في سلوك الطريق، قبل وصوله إلى الفهم، فهو

(١) أبو داود (٤٤٦٧)، والترمذي (٢٦٧٧)، وابن ماجه (٤٢ - ٤٤). والنقل لابن ماجه.

ضَلَّ في طريقه قبل فهمه، بخلاف مَنْ أخطأ في فهم نص الوحي؛
فصلالة في اجتهاوي في الفهم، لا في الطريق؛ لأنَّ طريقة الوحي.
ولو كان كلُّ مُجتهد معذورًا بغض النظر عن صحة الوسائل
والطرق، فلا قيمة لأنزال الوحيين، وحصر التفسير فيهما، وقد قال
ابن أبي زيد: «وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَا يُعْلَمُ مَنْ أَذَاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى
بُذْعِهِ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ اجْتَهَدُوا فِي الثَّأْوِيلِ، فَلَمْ يُفْلَرْوا، إِذْ خَرَجُوا
يَتَأْوِيلُهُمْ عَنِ الْمَشَاهِدِ، فَسَمِعُوا ۖ قَارِئِينَ مِنَ الدِّينِ، وَجَعَلَ الْمُجْتَهِدُ
فِي الْأَحْكَامِ مُأْجُورًا وَإِنْ أخطأ»^(١).

التحذير من الجدال والمراءو في الدين:

والجدال والمراءو ليس طريقًا موصلًا إلى الحق بلادة؛ فمضى بان
الشبهة، وانفتح الدليل، وجب اتباعه والعمل به، وترك الجدال والمراءو
فيه؛ فإنما هلك أصحاب العقول باستحسانهم رأيهم، واستباطهم المجرد
عن النص؛ فاستلجوا إلى الأهواء خطوة خطوة، حتى انتهوا إلى غير ما
قصصوا البتة به.

ولهذا حذر العلماء من المراءو والجدال في الدين؛ فائدة تعالى لم
يُنزل كتابه إلا واضحًا وبينًا لقاصديه من أهل لفته، وليس مغلفًا مغلًا
يحتاج إلى جدال ومراءو ليُعرف ما فيه؛ فائدة وصفت كتابه بالبين والشفاء،
والنور والهداية، والحجة والمحكم، والمفضل والبيان، وإن كان هناك
استغراق في الفهم، فهو في العقول والقلوب، لا فيه؛ كما قال تعالى:
﴿لَقَدْ يَنْبَغِي لِلرَّعَايَةِ أَنْ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِكُمْ أَنْتَاهَا﴾ (محمد: ٢٤) فجعل القلب
على القلب، لا على القرآن.

﴿حَسَنُ الْقَصْدِ وَسُوءُهُ، وَآثَرُهُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ:

وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَلْيُحْسِنِ قَصْدَهُ يُحْسِنِ اللَّهُ لَهُ الْوَصُولَ إِلَى مَرَادِهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْسِنِ يَسْأَلْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَسْتَأْذِنُ الْآخِرَ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٤٣).

وَمَنْ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ بِلَا قَصْدٍ حَسَنٍ، وَفِي قَلْبِهِ مَرْضَى بِتَصِيدِ مَا يَرِيدُ بِالْهَوَى -: زَادَ النَّظَرُ فِيهِ غَيْرَةً وَهَوًى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَيَقُولُ أَتُنَزَّلُ بِذِكْرٍ مِنْكُمْ وَبِذِكْرِ الْوَيْدِ مَا نُسُوا فَوَازِنَهُمْ يَسَاءَ وَمَا يَسْتَشِيرُونَ﴾ (٥٠) ﴿وَلَقَدْ أُنزِلَتْ فِي قُلُوبِهِمْ تَرَجُّمٌ فَوَاذَنَّهُمْ وَجَسًا إِلَهُ رَجَسِهِمْ وَنَسُوا وَنَعِمَ حَكِيمٌ﴾ (النجم: ١٧٤ - ١٧٥).

وَاللَّهُ لَا يُضِلُّهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ الْهَدَايَةَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْهَدَايَةَ، لَوَقَّعَهُمْ إِلَيْهَا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْتَمْتَهُمْ﴾ (الأنعام: ١٢٣)، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ قُصْدَهُمْ، أَعْطَاهُمْ إِثْمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَمْ يَنْزِلْ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (النمل: ٢٥)؛ لِأَنَّ قُصْدَهُمْ مِنْ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَلِيقِ: اتِّبَاعُ الْمُنْشَأِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَلَمَّا أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ دَبَابًا فَكَلَّمُوا مَا كَلَّمَتْهُ وَتَوَلَّى الْوَيْدَ الْوَيْدَ وَتَوَلَّى الْوَيْدَ﴾ (ال عمران: ٧).

قَالَ مَالِكٌ: «وَلَقَدْ قَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا، فَلَمْ أَرِ شَيْئًا مُسْتَقِيمًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَا أَخْبَرُكَمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَكْفِي اللَّهَ تَعَالَى، وَلَوْ اتَّقَيْتُهُ، لَجَعَلَ لَكَ مَخْرَجًا»^(١).

وَلَوْ كَانَ الْجَدَاثُ وَالْمَرَاءُ الزَّائِدُ عَنِ الْبَيَانِ طَرِيقًا لِمَعْرِفَةِ دِينِ اللَّهِ، لَأَرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَلَيْسَ هَذَا الْجَفَلُ مِنَ الدِّينِ بِشَيْءٍ»^(٢).

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

(٢) «المرجع السابق».

وما سلك أحد طريقاً غير الوحي ليصل به إلى الله، إلا كثر نحوؤه
ونقله من قول إلى قول، ومن مذهب إلى مذهب، ومن رأي إلى رأي؛
لأنه يفتأ يهتد شيئاً فيستأنس في البداية، ثم يستوجش بالنهاية، فينحوئ؛
كسالك طريق البرية بلا دليل: يستوجش كلما طال سيره، حتى يخطئ
يخنة ويسرّ من الخيرة، عكس من كان على يئس من ربه في أول طريقه
وأوسطه ومنتهاه؛ قال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه طريقاً
للخضومات، أكرّ التقل» (١).

﴿ حَجَرُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاوِ وَأَهْلُوهُ ﴾

وهذا النوع من الجدال والمراد في كلام الله وشأنه نبيه: من
الخواص المحرم، وقد نهى الله عنه في كتابه: ﴿وَلَا تَكُنِ مِنَ الْيَوْنِ يَحْمِلُونَ فِي
أَهْلِهِمْ قُلُوبَهُمْ حَتَّى يَقُولُوا فِي كَيْفِ حَيَاتِهِمْ وَلَكِنْ يُبَيِّنُكَ الشَّيْءُ فَلَا تَقَعُدْ بَعْدَ
الْأَمْرِ بِعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٨).

وإنما نهى عن المخالطة للباطل؛ لأن القلوب تشرب ما تسمع،
فتستبكر أول مرّة، ثم ينقص استنكارها حتى تألفه، فآثر الله بالهجر حتى
لا تألفه القلوب، فربما تأثر القلب حتى يعجز صاحبه عن تركه؛ لضعف
قلبه، ولقوة الشهوة عليه؛ فمن الشبهات ما يتعلق بقلب صاحبه، كما
يتعلق به المرء المعبود بكرهه ولا يجد خلاصاً منه.

كما قال مالك: وكان يقال: «لا تمكّن ذائع القلب من أدنك»
فإنك لا تدري ما يتعلقك من ذلك، ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل
المدينة شيئاً من بعض أهل القدر، فعلق بقلبه؛ فكان يأتي إخوانه الذين

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

يَسْتَعِيضُهُمْ، فَإِنَّا نَهَوُّهُ، قَالَ: فَكَيْفَ بِمَا عَلَيَّ بِقُلُوبِي، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ أَنْ أَلْقِيَ بِنَفْسِي مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْمَنَارَةِ، لَفَعَلْتُهَا^(١).

وقد كان السلف يَنْهَوْنَ عن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم، وقُلُوبًا يَفِيدُونَ؛ لأنَّ كثيرًا من العقول تَغْتَرُّ بِنَفْسِهَا، وتَنْخَوِجُ بِجُلُوبِهَا المقاصير؛ فَاكْتَرَّ النُّفُوسُ ثَقُلَتْ كِمَالُ عَقْلِهَا، وَقَوَّتْهَا عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا، وَتَرَفَّتْ الشَّيْطَانُ حَيْدَ نَفْسِهَا، وَيُظْهِرُ لَهَا مِنَ الْمَعَانِي الْفَلِيلَةَ مَا تُدْرِكُهُ، وَرُبَّمَا أَوْخَى إِلَيْهَا مِنَ الْأَسْتِثْبَاتِ الدَّقِيقِ مَا تَنْخَوِجُ بِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ وَرَدًا لَكُلَّ بَنِي آدَمَ إِلَهًا مُتَّبِعًا﴾ [الأنعام: ١٢١].

وربَّما كان القصد من هذا النوع من الوحي الشيطاني: أَنْ تَسِيرَ النَّفْسُ إِلَى مَضَامِينِ الْجَنْدَلِ وَالْمَرَاةِ؛ حَتَّى تَقَعَ فِي شِرَاكِ الْجَهَالَاتِ، وَجِبَالِ مَنْ هُوَ أَحْلَمُ مِنْهَا بِالْبَاطِلِ؛ فَتَغْتَرُّ بِهِ وَتَفْقَدَ لَهُ.

وكثيرًا ما يأتي بعضهم أهل الأهواء الذين هم أَكْثَرُ مِنْهُ عِلْمًا بِالْجَنْدَلِ وَالْمَرَاةِ؛ لِيَسْمَعَ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدَّ بِإِطْلَافِهِمْ؛ فَيَقَعَ فِي بَاطِلِهِمْ حَتَّى يَقْتَنُونَ لَضَعْفِهِ لَا لِقَوَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ الْأَضْعَفَ يَرَى الضَّعِيفَ قَوِيًّا.

وقد رأيت شايًا جاهلًا في أوَّلِ طَلَبِهِ يَقْصِدُ صَاحِبَ هَوًى يَرِيدُ الْأَنْتِفَاعَ مِنْهُ، فَحَلَزَتْهُ مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ إِنَاءٌ مُلِئٌ جَلْمًا»، فَقُلْتُ لَهُ: صَدَقْتَ؛ هُوَ قِنْجَانٌ، وَأَنْتَ تَمْلَأُهُ؛ فَتَرَاهُ كَجَبَلٍ أُخِيدَ، وَلَوْ تَغَيَّرْتَ عِلْمًا، رَأَيْتَهُ كَمَا هُوَ، وَلَكِنَّكَ لِيَصْفَرُّكَ وَضَعْفُكَ تَرَى كِبَرَهُ وَقَوَّتَهُ عَلَيْكَ، لَا فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ.

وقد قيل لِمَالِكٍ: «مَنْ قَوِيَ عَلَى كَلَامِ الزَّانَادِقِ وَالْإِبَاحِيَّةِ وَالْقَلْبَرِيَّةِ

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

وَأَهْلِي الْأَهْوَاءِ أَهْلَكْتُهُمْ؟ قَالَ: لَا، وَإِنَّ اللَّيْلِينَ خَرَجُوا إِنَّمَا عَابُوا
الْمَغَاصِينَ، وَهَؤُلَاءِ تَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ - يَعْنِي:
ابْنَ عُصَمَرَ -: أَمَّا أَنَا، فَعَلَى بَيْتِي مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ، فَادْعَبْ إِلَى شَاكٍ
بِفَيْلِكَ خَاصِيَّتُهُ^(١).



﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ
وَدُرَّتِيِّهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

وقد ختمَ مَقْدَمَتَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَزْوَاجِهِ وَدُرَّتِيِّهِ - تَيْمُنًا بِذَلِكَ، وَإِجْلَالًا لِمَبْلَغِ الدِّينِ عَنْ رَبِّهِ، وَالتَّمَنَّا
لِشِقَايَتِهِ، وَتَحَمُّدًا لِلَّهِ عَلَى تِمَامِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنِسْأَلُهُ السَّدَادَ
وَالْهُدَايَةَ، وَبِهَذَا انْتَهَى الشَّرْحُ لِمَقْلَعَةِ الرِّسَالَةِ، مَعَ بَعْدٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ
الْكُتُبِ، جَزَّ اللَّهُ الْخَلَّلَ، وَأَحْسَنَ الْقَصْدِ، وَمَعَ الْقَبُولِ!



(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥).

الفهارسُ العامَّةُ

وتتضمن:

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء.
- ٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات.
- ٥ - فهرس المصطلحات.
- ٦ - فهرس القواعد والكتليات.
- ٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل.
- ٨ - فهرس المناهب والأقوال.
- ٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة.
- ١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال.
- ١١ - فهرس الفوائد.
- ١٢ - فهرس الموضوعات.



١ - فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
		٢ - سورة البقرة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٠	٧٦
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ﴾	٢٤	٢٠٥
﴿لَمْ يَسْأَلُوا اللَّهَ التَّحَدُّثَ﴾	٢٩	١٢٤
﴿وَلَا يَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَدُوًّا﴾	٣٥	٢٠٤ ، ٢٠٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٣٦	٢٠٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٣٨	٢٠٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٤٥	٨٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٤٦	٨٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	٤٨	١٨٩
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٢٣	١٨٩
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٤٥	١٥١
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٦٩	٥٣
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٧٢	٧٤
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٧٣	٧٤
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٧٧	٢٤٢
﴿وَلَا تَقُولُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ﴾	١٨٩	٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنَ الدِّمَارِ إِلَى الدِّمَارِ﴾	٢٠٨	٧٤
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٠	٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١١	١٥٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٢	١٠٦
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٣	١١٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٤	٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٥	١٠٥
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٦	١٨٣ ، ١٨٤
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٧	١٨٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢١٨	٢٤١ ، ١٧٧

٢ - سورة آل عمران

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنَ الدِّمَارِ إِلَى الدِّمَارِ﴾	٥	١٦٦ ، ١٦٧
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٧	١٨٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٧	٢٧٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	١٩	١٨١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٢٦	٢٦١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٣١	٢٧٥ ، ١٨٨
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٤٠	١٢٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٥٩	١٤١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٦١	١٥١
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْهَرَبِ﴾	٨١	١٧٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ وَأَكْلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُفْسِدُوا زِينَكُمْ أُولَئِكَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ وَأَكْلُوا وَشَرِبُوا﴾	١٥٠	١٧٧
﴿وَلَكُمْ فِي الْحَيَاةِ دِينٌ يُسْخَرُ مِنْكُمْ﴾	١٦٤	١٣٧ ، ١٦٦
﴿وَلَكُمْ فِي الْحَيَاةِ دِينٌ يُسْخَرُ مِنْكُمْ إِلَّا يَتُوبَ إِلَيْكُمْ عَلَى اللَّهِ حَيْثُ يَدَّ أَرْسَلُ﴾	١٦٥	١٧٧
﴿لَكُمْ فِي الْحَيَاةِ دِينٌ يُسْخَرُ مِنْكُمْ﴾	١٦٩	٢٠٦
﴿يَتَسَلَّطُونَ﴾	١٧٦	٧٤

٥ - سورة المائدة

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٢	٢٧٧ ، ١٨٧
﴿وَجَعَلْتُ لَكُمْ شَيْئًا﴾	١٥	٩٥
﴿وَأَمَّا إِلَهُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِي حَبَلَكُم بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْحَبْلِ فَاسْخَرَهُ بِكُمْ﴾	٤٨	١٨٦ ، ١٨٥
﴿وَأَمَّا إِلَهُ الْكَافِرِينَ وَالَّذِي حَبَلَكُم بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْحَبْلِ فَاسْخَرَهُ بِكُمْ﴾	٦٤	١٧٣ ، ١٠٢

٦ - سورة النعام

﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	١٨	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	١٩	١٤٩
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	٢٨	١٦٦
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	٥٩	١٦٦
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	٥٩	٩
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	٦١	٢٤٤
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	٦١	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَلَكُمْ فِي الْقُلُوبِ حِكْمٌ﴾	٦٨	٢٨٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	٩٣	١٤٩
﴿وَتَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٠١	١٥٨
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٠٣	٢٠١
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٢١	٢٨١ ، ١٨١
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٢٩	١٦٤
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٥٣	٢٧٦
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٥٨	٢٠٦
﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْفِتَنِ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٦٠	١٩٣
٢ - سورة الأعراف		
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	A	٢٠٩ ، ١١
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	٢٩	١٩٠
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	٣٣	٥٣
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٢٧	١١٤
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٤٣	٢٠٠
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٤٣	١٥٣ ، ١٥٢ ، ٦٦
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٤٣	٢٠١
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٤٣	١٣٧
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٥٨	١٧٧
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٨٠	١٣٢
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٨٥	٧٣
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ إِذْ جَاءَ بِهَا نَذِيرٌ﴾	١٨٧	١٩٢

الآية	رقم الآية	المصدر
٨ - سورة النحل		
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	٢٠	٢٢٤
﴿وَأَنَّا نُنَزِّلُ الْوَحْيَ لَكَ فِي اللَّيْلِ فَتَكْتُبُهُ﴾	١٧	١٧١
﴿وَمَا تَكُنَّ إِلَّا وَهْمٌ وَابْكِي﴾	١٨	١٧٢
﴿وَلَوْ كُنَّ إِلَّا يَوْمَ يُنْفَخُ الْخَشَاةُ﴾	١٩	١٧٣
٩ - سورة النوبة		
﴿عَمَّا يَتَّبِعُ كَلِمَ الْقَوْمِ﴾	٦	١٤٢
﴿وَقِيلَ الْوَيْلُ لَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	٢٩	١٨٩
﴿وَلَكِنْ كَفَرَ اللَّهُ لِكَيْلَهُمْ قُلُوبُهُمْ﴾	٤٦	١٦٩
﴿وَلَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٩٦	١٩٩
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١٠٠	٢٤٨
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١١٠	١٦٨
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١٢٤	٢٧٩
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١٢٥	٢٧٩، ١٧٦
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١٢٧	٢٧٦
١٠ - سورة هود		
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	٧	١٨٩
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١٨	١٩٨
﴿وَلَا يَخْلُوكَ إِلَّا الْوَيْلُ﴾	١٩	١٥٠

الآية	رقم الآية	الملاحظة
﴿إِلَيْهِ أُنِشِئْنَا لَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾	٢٦	٢٠٢
﴿تَكْفُلْ لِّقَوْمِكَ﴾	٢٧	١٧٧
﴿يَسْتَكْفِفُكُمْ عَنْ قَوْمِهِمْ وَأُولَئِكَ أُولُو قُرْبَىٰ﴾	٢٨	١٨٩
﴿فَلْيَكْفُرُوا إِنَّمَا فِي الشُّكُوبِ وَالْأَكْبَرِ وَمَا تَكُنِ الْإِيمَةُ وَالْكَفَرَةُ عَنْ قَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٠١	٩٠
٢١ - سورة هود		
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَا إِلَهُكَ لَنْ يَخْلُقُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ تَدْعُو﴾	٢٦	١٦٨
﴿وَيَذَرُوكَ بَيْنَ مَا يَشَاءُ الْمُشَرِكُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَا إِلَهُكَ لَنْ يَخْلُقُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ تَدْعُو﴾	١٠٧	١٦٩
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَا إِلَهُكَ لَنْ يَخْلُقُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ تَدْعُو﴾	١١٠	١٥٠
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَا إِلَهُكَ لَنْ يَخْلُقُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ تَدْعُو﴾	١١٢	١٨٦
٢٢ - سورة يوسف		
﴿يَا قَارُونَ إِنَّمَا فَتَانَا وَمَنْ يَكُنْ لَكُم مِّنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾	٢	٩٤
﴿يَتَّبِعُ قَوْمَهُ عَلَىٰ الْغُرُوبِ﴾	١٠٠	١٢٢
٢٣ - سورة الرعد		
﴿الْمُتَكَلِّفِينَ﴾	٩	١٠٦
﴿فَلَا يَكُنْ لَّكُمْ فِتْنَةٌ فِي شَيْءٍ﴾	١٦	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
٢٤ - سورة إبراهيم		
﴿يَعْلَمُ أَنَّ إِلَهُكَ يَدْعُو بِالْقَوْلِ الْكَلْبِ فِي الْحَبِيبِ﴾	٢٧	٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ١٢
٢٥ - سورة النحل		
﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا عَظِيمًا﴾	٢٦	٦٤
﴿وَلَقَدْ يَدْعُو فِي سُبُلِ اللَّهِ زُكْرًا وَنُكَاحًا﴾	٢٦	١٨٥ ، ١٧٧
﴿وَلَقَدْ يَدْعُو الْكَلْبُ﴾	٢٣	٢٧٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَارْكَبُوا فِيهِ الْمَسَارَ بَيْنَ يَمِينٍ وَبَيْنٍ مَا لَكُمْ بِهِمْ وَأَعْلَانُ يَتَكَلَّمُونَ﴾	٤٤	١٨٦
﴿يَقُولُونَ نَحْنُ مِنْ قَوْمِهِ﴾	٥٠	١١٤ ، ١٠٦
﴿يَنْتَحِرُوا بِمَا عَنِتُّهُمْ قَتَلُوا لَهُمْ سَبِيلًا﴾	٥٥	١٨٤
٧٧ - سورة الإسراء		
﴿وَسُئِلَ إِدْرِي أَزَلَيْتُمْ أَصْحَابَ فِي ضَلُوبٍ وَنُجْرٍ كَرِيمٍ الَّذِينَ سَخِرْنَا مِنْهُمْ لَعْنًا﴾	١٣	٢١١
﴿فَقَالُوا كَذِبٌ عَلَى أَعْيُنِنَا قَدْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِمَّنْ كَانَ يُغِيثُ النَّاسَ سَخِرْنَا لَهُمْ فِيهَا مَا تَشْكُرُونَ﴾	١٤	٢١١
﴿وَمَا تَقَالُ مَا يَكُنْ لَهُمْ بِهِمْ﴾	١٨	٢٠
﴿وَلَا تُولُوا صَبْرًا لَوْ عَصَيْنَا﴾	٣٦	١٦١
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٥٠	١٩٠
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٥١	١٩٠
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٧٩	١٢٤
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٨٥	٢٣٥
٧٨ - سورة الكهف		
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٢٩	١٨٣ ، ١٨٢
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٤٩	١٩٣
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٧٩	١٦٠
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٨٢	١٦٠
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	١٠٥	٢١٠
٧٩ - سورة مريم		
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٦٥	١٣٢
﴿وَلَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا لَوْ كُنَّا مِنْكُمْ لَمَنَّا	٧١	٢١٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٠ - سورة مائدة		
﴿الْحَزَنُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٥	١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢١
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسُلِهِمْ فَرِّقُوا﴾	١٣	١٤٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾	١٤	١٤٧
﴿إِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ خُفِيَ عَنْهُ إِيمَانُ رَبِّهِ لَا يَنْصُرُهُمُ اللَّهُ لَا يَفْعَلُ﴾	٧٤	٢٠٦
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾	١١٧	٢٠٤
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾	١٣١	٢٠
٢١ - سورة الحديد		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢	١٥١ ، ١٥٠
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٧	٢٧٩
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	١٩	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢٠	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢٣	١٦٤
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢٥	١٨٥ ، ١٥
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢٦	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢٧	٢٤٣
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٤٧	٢٠٩
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٧٩	١٤٦
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٨٧	١٠٧
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	١٠٧	١٧٨
٢٢ - سورة الحج		
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	١٨	١٢٩
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٧٠	٢٤٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَةِ تَنْفِرُكَ مِنْ تَحْتِ الْوُجُوهِ أَنْ يَنْقَلِبُوا عَلَيْكَ﴾ ﴿وَلَمْ يَنْتَقِبُوا لَكَ مِنْهُ بَلَاءٌ مِمَّا كُنْتَ تَعْلَمُ﴾ ﴿بِغَيْرِهِمْ وَمِنْهُمْ حَتَّى كُنْتُمْ كَالْكَافِرِينَ وَالْمُكَلَّفِينَ﴾	٧٣	٩١
﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا كَلَامًا لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا نَجْمًا مُتَسَاوِيًا﴾ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِلَّا كَلَامًا لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا نَجْمًا مُتَسَاوِيًا﴾	٧٤	٩١
٢٢ - سورة المؤمنون		
﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلٍ﴾ ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآيَاتُ إِلَّا كَلَامًا مُتَسَاوِيًا﴾ ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلٍ﴾ ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْآيَاتُ إِلَّا كَلَامًا مُتَسَاوِيًا﴾	٤٤	١٧٧
٦٨	٩٥	
١٠٠	٢٣٩	
٢٥ - سورة الفرقان		
﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ آيَاتٍ كَثِيرَةً﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ آيَاتٍ كَثِيرَةً﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ آيَاتٍ كَثِيرَةً﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ آيَاتٍ كَثِيرَةً﴾	٢	١٥٦
١٨	٢١	
٥٩	١٤٩	
٦٣	٤٧	
٢٦ - سورة الشعراء		
﴿وَمَا يَلْمِزُكَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿وَمَا يَلْمِزُكَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿وَمَا يَلْمِزُكَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿وَمَا يَلْمِزُكَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾	٥	١٥١
٦١	٢٠١	
٨٠	١٦٠	
٢٢١	١٨١	
٢٢٢	١٨١	
٢٧ - سورة النمل		
﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ مِنْ صَفَرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ مِنْ صَفَرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ مِنْ صَفَرٍ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ مِنْ صَفَرٍ﴾	٢٣	١٤٩
٣٠	٧١	
٧٥	١٢١ ، ١٦٦	
٨٧	١٨٩	
٨٨	١٦٩	

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا حَفَظَةً لِلنَّاسِ بَيْنَهُمْ فَكُتِبَ عَلَيْكَ الذِّكْرُ أَسْفَرَ الْكُتُبَ لَا يَمَسُّوكَ﴾	٢٨	١٧٨
٢٥ - سورة هاشم		
﴿مَنْ مِنْكُمْ هَدَى اللَّهُ يَهْدِ اللَّهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كَبِيرًا﴾	٣	١٧٠ ، ١٥٨
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ بِشَيْءٍ وَلَا نَكُنْ لَكَ كَاتِبًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	١١	٢٤٣
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ بِشَيْءٍ وَلَا نَكُنْ لَكَ كَاتِبًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٢٤	١٧٧
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ بِشَيْءٍ وَلَا نَكُنْ لَكَ كَاتِبًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٢٨	٦٠
٢٦ - سورة يس		
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٨٢	١٥٠ ، ١٤٥
٢٧ - سورة المسافات		
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٩٦	١٦٢
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	١٦٢	١٦٩
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	١٦٣	١٦٩
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	١٧١	١٥٠
٢٨ - سورة من		
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٢٩	٩٥
٢٩ - سورة الزمر		
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٤٤	١٩٨
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٥٣	١٩٣
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٥٦	٤٧
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٦٢	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
﴿وَمَا أَتَيْنَاكَ إِلَّا بِكِتَابٍ وَلَقَدْ كُنَّا نَكُنْ لَكَ مُسَدِّدًا وَلَا نَكُنْ لَكَ مُعِينًا﴾	٦٥	٢٣٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا نَقْبَسُهُ﴾ ﴿يَوْمَ الْيُسُفَىٰ وَالتَّشْوِيعِ نَقْلُوكُمْ بِحُجُبٍ﴾	٧٧	١١٢ ، ١٠٢ ، ٩١
﴿وَالْحُجُوجُ فِي الظُّلُمِ قَسِيقٌ مِّنَ فِي التَّشْوِيعِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿إِلَّا مَن كَانَ اللَّهُ لَمْ يُحِجْ بِهِ الْبَرِّ وَلَا نَمَّ قَدَمٌ بِظُلُمٍ﴾	٧٨	١٩٠
٤٠ - سورة طه		
﴿وَقَالَ رَبِّهِ بِمَنْزِلِ فِي مَنَازِلِ لِّمَنَاجِ الْأَنْبِيَاءِ﴾	٣٦	١٠٦
﴿أَنْبِيَاءِ التَّشْوِيعِ تَلْكَ إِلَهُ مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿سُورَةٍ﴾	٣٧	١٠٦
﴿أَنْبِيَاءِ التَّشْوِيعِ تَلْكَ وَبَنِي مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿أَنْبِيَاءِ تَلْكَ التَّشْوِيعِ﴾	٤٦	٢٢٨ ، ٢٤٠
٤١ - سورة فصلت		
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٣	٩٤
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٣	٩٥
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	١١	١٤٦
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٢١	١٤٦
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٤٠	١٨٤
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٤١	١٤٦
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٤٢	١٨٦ ، ١٤٦
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	٤٦	١٦٤
٤٢ - سورة الشورى		
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾	١١	٩٧ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٤٥
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾		١١٧ ، ١١٢ ، ١٠٢
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾		١١٣ ، ١٢١ ، ١١٩
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾		١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧
﴿وَقَدْ كُنَّا لَكُمْ لَقِيبًا لِّمَنَاجِ التَّشْوِيعِ﴾		١٤٦ ، ١٣٦ ، ١٣٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
٥١ - سورة الشورى		
وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾	٢٠	٧٣
وَلَا تَأْخُذُكَ شَيْئَةٌ	٢١	٩٠
وَمَا خَلَقَ الذَّرَّاءَ وَالنَّاسَ إِلَّا بِكَلِمَةٍ	٥٦	١١٥ ، ١٧٦ ، ٢٧٧
٥٢ - سورة النجم		
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١﴾	١٣	٢٠٥
بِأَنَّهُ يُنَزِّلُ الْكَوْكَبَ ﴿٢﴾	١٤	٢٠٥
وَيَسْمَعُ سُرُوحَ الْجَنَّةِ ﴿٣﴾	١٥	٢٠٥
وَوَقَّرَ فِي نَفْسِهِ يَوْمَ الْكَوْكَبِ ﴿٤﴾	٢٦	١٩٩
٥٣ - سورة القمر		
وَلَقَدْ بَعَثْنَا لَوْلِيكَ فَخْرًا ﴿١﴾	١٧	٧٥
وَمَا كُنَّا بِأَعْيُنِنَا	٤٩	١٥٦ ، ١٦٤
٥٤ - سورة الحديد		
مَنْ أَدْرَاكَ الْوَعْدَ وَالْأَمْرَ ﴿١﴾	٣	٨٥
وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُ ثَمَرُ أَشْفٍ مِنْ ثَمَرِ الْفَنَاءِ وَكَفَى الْوَعْدَ	١٠	٢١٧
أَعْلَمَ قَبِيلَهُ مِنَ الَّذِينَ اتَّفَقُوا بِمَا بَيْنَهُمْ وَتَقَطَّعُوا ﴿٢﴾	١٦	٧٧
٥٥ - سورة المجادلة		
وَمَا يَتَّبِعُهُمْ اللَّهُ فَمَا يَمُوتُ فَمَا يَعْلَمُ بِمَا خُمِلُوا أَنْفُسُهُمْ ﴿١﴾	٦	١٩٣
وَمَا يَسْأَلُ عَنْهُ ثَمَرُ أَشْفٍ مِنْ ثَمَرِ الْفَنَاءِ ﴿٢﴾	٧	١١١
وَمَا يَسْأَلُ عَنْهُ ثَمَرُ أَشْفٍ مِنْ ثَمَرِ الْفَنَاءِ ﴿٣﴾	٧	١٠٩
وَمَا يَسْأَلُ عَنْهُ ثَمَرُ أَشْفٍ مِنْ ثَمَرِ الْفَنَاءِ ﴿٤﴾	٧	١٠٨
وَمَا يَسْأَلُ عَنْهُ ثَمَرُ أَشْفٍ مِنْ ثَمَرِ الْفَنَاءِ ﴿٥﴾	٧	١١١
٥٦ - سورة العنكبوت		
وَمَا يَسْأَلُ عَنْهُ ثَمَرُ أَشْفٍ مِنْ ثَمَرِ الْفَنَاءِ ﴿١﴾	٧	٢٥٦

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٦	١٠	﴿وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ مَا بِهِمْ حِمْلٌ﴾
		٦١ - سورة الصف
٢٧٩ ، ٧٥	٥	﴿لَا تَأْمُرُوا قَوْمَكَ بِالْعَدْلِ﴾
		٦٤ - سورة التغابن
١٨٩	٧	﴿وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
		٦٥ - سورة العلق
١٥٨ ، ١٥٠	١٢	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَمِعَ مَلَكُوتَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾
		٦٦ - سورة التوحيد
٢١٣ ، ١٧٥	٦	﴿لَا يَسْأَلُكَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ شَيْءٍ﴾
		٦٧ - سورة الملك
١٦٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧	١٤	﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ كَلَيْفٌ كَلَيْفٌ﴾
		٦٨ - سورة الحاقة
٢١١	١٩	﴿لَا تَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾
٢١٢	٢٥	﴿وَلَا تَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾
		٦٩ - سورة نوح
١٦٩	٢٧	﴿لَا يَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾
		٧٠ - سورة الجن
٢٠٦	٢٢	﴿وَلَا يَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾
		٧١ - سورة العنكبوت
٨٧	٤٥	﴿وَلَا يَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾
١٩٩	٤٨	﴿وَلَا يَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾
		٧٢ - سورة القيامة
١٨٦	١٨	﴿وَلَا يَنْفَعُكَ إِنْ كُنْتَ تَكْفُرُ﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾	١٩	١٨٦
﴿وَمَن لَّمْ يَجِدْ فَسُوءَ سَبِيلُهُ﴾	٢٠	٢٠
﴿يُخَالِفُ بِمَا جَاءَهُ لُتُفًا﴾	٢٢	٢٠٣ ، ٢٠٠
﴿إِن يَدْرَأْكَ كَافًا﴾	٢٣	٢٠٣ ، ٢٠٠
٦٦ - سورة الإنسان		
﴿إِن كُنَّا إِلَّا مَن وَرَاءَ الْبَابِ﴾	٢٧	٢٠
﴿إِن كُنَّا إِلَّا مَن وَرَاءَ الْبَابِ﴾	٢٩	١٧١
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	٣٠	١٧١ ، ١٧٠
٦٨ - سورة النبا		
﴿إِن كُنَّا إِلَّا مَن وَرَاءَ الْبَابِ﴾	٢٧	١٨٩
٦٩ - سورة النازعات		
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	١٥	١٤٣
﴿إِن كُنَّا إِلَّا مَن وَرَاءَ الْبَابِ﴾	١٦	١٤٣
٨٠ - سورة عبس		
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	١١	١٧١
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	١٢	١٧١
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	٢٤	٩٠
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	٢٥	٩٠
٨١ - سورة التکویر		
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	٢٨	١٧١
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	٢٩	١٧١ ، ١٧٠
٨٢ - سورة الانفطار		
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	١٠	٢٤٢
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	١١	٢٤٢
﴿وَمَا تَنصُرُونَا إِلَّا أَن نَّبْتَلِيَ الْبَشَرَ﴾	١٢	٢٤٢

الآية	رقم الآية	الملاحظة
		٨٢ - سورة المطففين
﴿لَا يَنْفَعُ عَنْهُمْ إِصْرُهُمْ وَلَهُمْ أَعْتَابُ﴾	١٥	٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠
		٨٣ - سورة الانشقاق
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٧	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِن دُونِكَ﴾	٨	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُم فِيهَا إِلَهٌ مِّن دُونِكَ﴾	٩	٢١٢
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُم فِيهَا إِلَهٌ مِّن دُونِكَ﴾	١٠	٢١٢ ، ٢١١
		٨٤ - سورة الطارق
﴿لَا تُفِرُّ الْوَيْلَ الْوَيْلَ﴾	٥	٩٠
		٨٥ - سورة الأعلى
﴿الْأَعْلَى﴾	١	١٠٦
		٨٨ - سورة الفاتحة
﴿لَا تَلْوِهَا إِنَّ أَوَّلَ حَقٍّ كُنْتَ تَفْعَلُ﴾	١٧	٩٠ ، ٧٣
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	١٨	٩٠ ، ٧٣
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	١٩	٩٠ ، ٧٣
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٢٠	٩٠ ، ٧٣
		٨٩ - سورة الفجر
﴿وَمَا زِلْنَا إِلَهُكَ إِلَّا إِلَهُكَ﴾	٢٢	١٥٢ ، ١٥٠ ، ١١
		٩٠ ، ٧٣
		٩٠ - سورة الشمس
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	١٣	٦٤ ، ٤٧
		٩٥ - سورة النجم
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٤	١٧٠
		٩٩ - سورة الزلزلة
﴿ثُمَّ لَمْ يَكُنْ يَمَسُّهُ إِلَّا أَرْبَابٌ مُسْتَوْفُونَ﴾	٧	١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
١-١ - سورة الفارقة		
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٦	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٧	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٨	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٩	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	١٠	٢١٠
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	١١	٢١٠
١-٢ - سورة الماعون		
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	١	١٨٩
III - سورة الإخلاص		
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٢	٨٥
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٣	٨٥
﴿وَاللَّهُ مَعِ الْفَاطِمَةِ﴾	٤	٨٥

٢ - فهرس الأحاديث

الصفحة	الملاحظة
١٦٢	إِنَّمَا أَرِزْتُمْ ١٢ أَمْ إِنَّمَا أَرِزْتُ ١٢ إِنَّمَا خَلَقَ ...
٨٣	أَكَانِي جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ...
٢١٠	أَتَحْمِيذُونَ مِنْ بَلَدٍ سَافَرْتُمْ ١٢ لَوَالِدِي نَفْسِي يَتَلَوِي، لَهَا فِي الْجِوَارِ أَنْفَلُ مِنْ
١٩٥	أَحِبُّ
٢٤٤	أَخْرَجُوا مِنْ الشَّوْرِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ مِنْ خَرَقَتِهِ مِنْ إِيْمَانِهِ
٨١	أَخْرَجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ عَلَيْهِ مِنْ خَرَقَتِهِ مِنْ إِيْمَانِهِ
٢٣٦	أَفْعُ لُجْبَةٍ، وَعَلَى لُفْظِ
٢٣٦	أَزَوَّاعُهُمْ فِي أَجْزَائِهِ عَنِي خَضِرٍ، لَهَا قَنَابِلٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَرْحَمَةِ، تَسْرُخُ مِنْ
٢٣٩	الْجَنَّةِ ...
١٧٦	اسْمُ الْفَتَايَيْنِ: شَتْرٌ وَكَبِيرٌ، وَهُمَا أَسْوَدَانِ أَوْزَقَانِ
٩٢	أَكَلُوا الصَّابِغَ، لَهَا السُّوَيْفَةُ وَهِيَ جَرَّتْ الْفَيْلَةَ، فَاعْرَضَتْ أَهْلُ الْبَيْتِ
١٦٢	أَعْدَمْتُ لِيَعَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ
٢٥٩	أَعْمَلُوا، فَكُلُّ مُبْتَدَأٍ لَنَا حُلٌّ لَهُ
٢٤١، ١٨٨، ١٥٦	إِلَّا أَنْ تَرَوْا ظُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ هُوَ بَرَّحَانٌ
٢٢٤	الْإِبْدَانُ أَنْ تَلَوِيَنَّ بِاللَّهِ وَمَلَأْتَهُوْهُ وَكُتِبَ وَوَسِّلَ وَرَأَيْتُمُ الْآخِرَ، وَبِالْفَتْحِ خَيْرُهُ
٨٣	وَلَمْ يَرَهُ
٦٤	الْإِبْدَانُ يَضَعُ وَتَبْتَدَأُ شَيْئًا ...
٢١٠	الْجَبْرِ مِنْ دُجْرَتٍ بَلَدَةٍ، فَلَمْ يُضَلَّ عَلَيْهِ
١٠٣	الْحَصَرُ الْأَسْوَدُ يَبِينُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ
٢١٠	الْقَلْبُورُ شَقَرُ الْإِبْدَانِ، وَالْحَمْدُ هُوَ تَمَلُّا الْبَيْدَانِ، وَشَيْخَانِ اللَّهُ وَالْحَمْدُ هُوَ
١٠٣	تَمَلُّانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
١٠٣	الْقُلُوبُ بَيْنَ رَضِيَّتَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

الحدث	الصفحة
- التَّوْبَةُ هُوَ عِلْمٌ بِاللَّهِ	١١٩
- اللَّهُ إِلَهِي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تَقْبَلُ مِنِّي عَرْضًا بَتَيْي ...	٢٤٨
- اللَّهُ قَوْفِي الْعَرْشِي	١٢١
- اَللّٰهُمَّ، الرَّبِّقُ الْأَعْلَى	٢٣٥
- اَللّٰهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَكَيْفَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ، فَكَيْفَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ...	٨٥
- اَللّٰهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ	٢٤٠
- الْمَقَامُ الْمَحْشُورُ هُوَ الشَّفَاعَةُ الْمَطْلُوبَةُ	١٢٥
- الْمَلَأُوا عِلْمَهَا بِالْعَرْشِ، وَالْمَلَأُوا، وَالْمَلَأُوا، وَالْمَلَأُوا، وَالْمَلَأُوا ...	٢١٣
- الْمَوَازِدُ أَوْسَدُ أَبْزَابِ الْجَنَّةِ، لَمَّا دَخَلَ عَلَى رَأْسِهَا أَوْ مَرَّتْ	١٨٤
- أَمْرًا يَكُونُونَ بِتَوْبَةٍ، لَا يَكُونُونَ بِتَوْبَةٍ، وَلَا يَكُونُونَ بِتَوْبَةٍ ...	٢٢١
- أَمِنْتُكَ مِنَ الْمَرْكَزِ شَيْءٌ؟	١٤٩
- إِنْ الشَّيْطَانُ يَأْتِي أَعْدَاكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ يَقُولُونَ ...	٨٧
- إِنْ أَلْبَسَ الْمَلَأِينَ إِذَا كَانَ فِي الْفَلَاحِ مِنَ الْعَلَمَةِ، وَإِذَا كَانَ مِنَ الْآخِرَةِ، تَوَلَّى إِلَيْهِ	
- مَلَأَتْهُ ...	٢٤٤
- إِنْ الْعَرْشُ أَقْبَلَ لِمَنْ سَبَّحَ	١٠٣
- إِنْ اللَّهُ خَلَقَ أَدَمَ عَلَى صُورَتِهِ	١٠٣
- إِنْ اللَّهُ خَلَقَ صَانِعَ الْكَرَمِ وَصَلَتْهُ	١٦٣
- إِنْ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَلَتْهُ	١٦٣
- إِنْ اللَّهُ هُوَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّجِيمِ نَفْسًا، فَيَقُولُونَ ...	٢٤٤
- إِنْ اللَّهُ يُدْخِلُ بَنِي فِي جَنَّتِهِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ	١٠٤
- إِنْ اللَّهُ يَخْلُقُ مَنْ سَابَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١٠٣
- إِنْ الْمَلَائِكَةُ تَصَلِّي عَلَى أَعْيُنِكُمْ، مَا تَأْتِي فِي مُصَلَّاتِ الْيَوْمِ صَلَاتِي ...	٨٤
- إِنْ يَلْقَى شَيْئًا، لَوْ كَانَ أَحَدٌ تَابِعًا وَمِنْهَا، لَمَّا سَعَى فِي مُنَادِي	٢٤١
- إِنْ هُوَ يَسْمَعُ وَيَسْمَعُ أَسْمَاءَ مَنْ أَحْضَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ	١٣٣، ١٨٨، ١٦٢
- إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْرَافٍ	١٤٣
- إِنْ خَلِقُوا الْأُمَّةَ لَيَكُنَّ فِي قُبُورِهِمَا	٢٣٩
- أَلَا أَفْئَةُ لِأَخِي، لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ، أَنِّي أَشْهَدُ مَا يُرْعَوُونَ ...	٢٧٠

- ١٨٠ - أَلَا خَلَقْتُ الْجِبْنَ
- إِنَّمَا نَسْنَأُ السَّلِيمَ عَلَيَّ يُخَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا إِلَهُ إِلَى جَسَدِهِ
- ٢٣٦ - إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
- ٧٠ - إِنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ شَيْئًا
- ٢٣٨ - إِنَّهُمْ أَلَا يَسْتَمْعُونَ مَا أَدْرَأُ
- ٢٤٠ - إِنَّهُمَا كَقَتْلَانِ، وَمَا يُتْلَىٰ فِي هَبِيرٍ
- ٦٤ - إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ
- ٢١٤ - إِنِّي عَلَى الْغَوَاطِي حَتَّى أَتَلْقَىٰ مَنْ يُوَدُّ عَلَيَّ وَيُكَلِّمُنِي، وَيَسْأَلُنِي عَنْ شَأْنِي ...
- ٢٥٠ - أَوْصِيكُمْ بِأَهْلِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
- ١٥١ - أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ
- ٢٥٩ - بَابُكَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الشَّجَرِ وَالْمَاءِ فِي تَشْيِيقِهَا وَمُتَغَرِّبِهَا ...
- ٢٣٧ - نَخْرُجُ بِهِ خَالِقِي وَبِحِ، حَتَّى يَأْتُونَ بِوَيْتِ الْأَرْضِ ...
- ٢٠٣ - نَطَلْتُ مِنْ أَمَمِ الشَّامَةِ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْيَوْمِ، فَيَحْطَرُّ مِنْهَا
- ١٥٩ - تَعَرَّفُوا بِأَهْلِ مِنْ جَنَّةِ الْجَنَّةِ، وَفَرَّقَ الشَّامَةَ، وَسَوَّى الْقَضَاءِ، وَنَسَنَأُ الْأَعْلَاءِ
- ٢٣٧ - تَقْبَلُ السَّلَامَةَ رُوحَ الْقَبْرِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْفَى بِوَ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ ...
- ٢٢٥ - تَنَحَّضْتُ فَتَا وَفَتَا يَوْمًا لَا تُصَلِّي هُوَ سَجْدَةً
- ١٩٥ - حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ الْكَافِرِ ...
- ١٣٠ - خَلَقُوا عَنْ يَمِينِ إِسْرَائِيلَ، وَلَا خَرَجَ
- ٢٠٦ - حَدِيثُ الْإِبْرَاهِيمَ بِالْمَرْبُوتِ فِي صَوْرَةِ كَيْسٍ أَمْلَحَ، فَيَنْبَغُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ٢١٤ - خَوَّطِي سَبْرًا شَهْرًا، مَاؤُهُ أَيْسَى مِنَ الْكَلْبِ، وَرَيْحُهُ أَكْبَرُ مِنَ الْبَشَرِ ...
- ٢٦٩، ٢٤٥، ٢١ - خَيْرُ النَّاسِ لِرَبِّي، ثُمَّ الْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
- ١٢٣ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا الْكَلِمَاتِ...﴾
- ١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُخَضُّ إِهْنَانًا عَلَى أَكْبِي، وَالْهِيَ تَلِيهَا عَلَى عَنِي
- ١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَتَرَلَّخًا، وَيَخُضُّ إِهْنَانًا
- ٨٣ - رَأَيْتُ أَهْلَ الْبَيْتِ يُكْرِثُ عَقْدًا، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ
- ٦٤، ٤٧ - سَبَّحْتُ مِنْ شُيُوبِ اللَّهِ، سَلَّمَ اللَّهُ

الصفحة	الحديث
٨٤	- عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدِ كُتَيْبٍ تَقْرِيبُهُ
٨١	- عَجَلَتْ أَيْهَا النَّصْلِي
٢٥٨	- عَلَى التَّمْرِ الشُّعْ وَالْقَاعَةُ بَيْنَا أَحَبَّ وَكثْرُهُ، إِلَّا أَنْ يُؤَمَّرَ بِمَنْصُوبَةٍ...
	- قَوْلًا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَخْلَسَ فِي قَبْرِهِ خَيْرَ نَجْعٍ، قَوْلًا كَانَ الرَّجُلُ
٢٣٨	السَّوء...
٢١٣	- فَأَمَّا مَنْ أَوَّلَ مَنْ يُجْرَى، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يُؤَمَّرُ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ...
٢١٠	- فَتَرْفَعُ السَّجَلَاتُ فِي يَدَيْهِ، وَالْبَقَالَةُ فِي يَدَيْهِ؛ فَتَلَاثُ السَّجَلَاتُ
٦٩	- فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَتَى عَلَيْهِ
	- فَرَفَعَ فِي السَّجَدِ الْمَقْشُورِ، فَتَلَاثُ جَنَابِلُ؟ فَقَالَ: هَذَا السَّجَدُ الْمَقْشُورُ يُصَلِّي
٢٤٢	فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ...
١٠٤	- فَصَحِيحٌ حَتَّى يَنْتَهِي...
٢١٠	- فَتَلَاثُ السَّجَلَاتُ، وَتَلَاثُ الْبَقَالَةُ
	- فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَبْدَأُ الْإِخْتِطَابَ، فَيَقْرَأُ فِيهِ وَتَجْلِسَانِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رُبُّكَ؟
٢٧٧	- فَذَرَفَتْ دُمُوعٌ عَلَى الْبُيُوتِ قَلْبًا فَتَهْلِكُهَا، لَا تَرَفَعُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا خَالِكَ...
٨٦	- كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَخُنْ شَيْءٌ خَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...
١٧٨	- كَانَ الشَّيْءُ يَتَعَدَّى إِلَى قَرْيَةٍ غَامِضَةٍ، وَيَبْشُرُ إِلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ
١٨٧	- كَانَ لِحُلَّةِ الْقُرْآنِ
١٧٨	- كَانَ يَكْتُوبُ النَّاسَ بِرَسُولِهِ، وَيَأْتُرُهُمْ بِأَحَادِيثِهِ عَلَيْهِا
١٧٦	- كَانَ يَتْلُو عَلَى إِخْوَانِهِ (الْوَرَع)
١٩٥	- كُلُّ مَنْ أَقَامَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَكْرَ السُّجُودِ...
١٩٤	- كُلُّ مَنْ أَقَامَ عَمَلَهُ، وَخَيْرَ الْمَكَلَامِينَ الْقَرَّائِينَ
٧٠	- كُلُّ مَنْ خَطَبَ لِمَنْ فِيهَا تَقَرُّبًا، لَمْ يَكُنْ كَأَيِّ الْبَلَاءِ
١٥٦	- كُلُّ شَيْءٍ يَقْدَرُ عَلَى الْخَيْرِ وَالْكَفْرِ
٢٥١	- لَا تَحْكُمُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ
٢٥١	- لَا تَحْكُمُونِي عَلَى مُوسَى

الصفحة

الحديث

- ٢٥٠ - لا تشبهوا اصحابي، فلو ان اخذكم اتقوا مثل اخوكم، ما بلغ من اعدائهم ولا نصيبه
- ١٥٧ - لا ينجي حذر من قذو
- ٢٥١ - لا يجزي لبيد ان يكون: انا خير من موسى بن علي
- ٢٦٣ - لا يجزي المؤمنين ان يكونوا نساء...
- ١٥٩ - لا يكون عبد على بلدين والقدر خير وشر
- ١٨١ - لعن الله العلق على اقلي باني، فقال: اغتسلوا ما يشتم، فقد حفرتم لكم
- ١٩٣ - في الفرج ينوبة عبدي من اعدائكم، سقط على بعبير، وقد اخلت في ارضي قلاو...
- ١٨٠ - لو كان موسى حيا بين اعدائكم، ما حل له الا ان يجزي
- ١٧٦ - ليخلص الله لئلاء الجناء من لئلاء القراء
- ١١٢ - ما السموات الشيع في الكرمي، الا تخلفوا خلفاوا باضي قلاو...
- ١١٩ - ما السموات الشيع مع الكرمي الا تخلفوا خلفاوا باضي قلاو...
- ١٨٠ - ما ترضى ان تكون وفي شترقة فاروق من موسى، الا انه لا شيء يتدي
- ٢٣٥ - ما من رجل مسلم على الا رد الله على رويي، حتى اراد عليه السلام
- ٧٦ - ما من مولود الا وثقه على الفقرة، فابوا بهزنايو او يمتسايو...
- ٧٩، ٧٧ - مروا اولادكم بالسلامة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر...
- ١٨٢ - من بدل دينه، فاقبلوه
- ٢٣٣ - من ترك يده عن عيبته، فكس وبك
- ٨٢ - من ضل على واجدة، ضل الله عليه بها عشر
- ٨٢ - من ضل على واجدة، ضل الله عليه عشر سنوات...
- ٢١٩ - من قال لا يهود: يا كافر، فقد باء بها اثنعنا
- ١٤٣ - من قرأ حرفا من كتاب الله
- ٢٣٩ - نعم، فديتكم اليوم
- ٢٣٨ - حل وجدتم ما وعد ربكم حقا
- ١٦٠ - والعجز لله في دينك، والقر كس يكث

الصفحة

الحديث

- وَالَّذِي لَيْسَ مُشْعَدٌ بِهِمْ، لَا يَسْمَعُ فِي أَعْدٍ مِنْ خَلْقِ الْاُمَمِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يَلِدْ... ١٧٩
- وَالَّذِي لَيْسَ بِهِمْ، لَوْ لَمْ تَلِدُوا، لَلْعَبِ اَللهُ تَعَالَى بِكُمْ... ١٩٤
- وَلَئِنْ اِنْ شَاءَ اَللهُ بِكُمْ لَا يَمُوتُ ٢٢٨
- وَلَئِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ ١٥٩
- وَمَنْ يَهَانِ عَلَى اُنْبِيَائِهِ، وَسَبَّاهُ عَلَى عَصِي ١٢٣
- وَلِلَّذِي اَوْحِيَ اِلَيْكُمْ لَتَقْتُلُوهُ فِي الْيَهُودِيَّةِ، يَقْتُلُ اَوْ غَرِبًا مِنْ وَتِلَاوَةِ الْمَسِيحِ الدُّجَالِي ٢٣٩
- وَلَكَيْفَ عَلَى مَا اُنْشَاءَ قُلُوبُ ١٧٤
- وَمَا عَجِبُ فَاِنَّكَ فِي قَلْبِكَ اِلَهٌ اِلَّا كَالْحَيَّةِ... ١١٢
- وَتَبْتَكَ! اَنْتَ بِنَا ١٢٥ اِنَّ عَرْشَكَ عَلَى سَنَوَاتٍ تَهْتَكَ... ٩٢
- وَتَبْتَكَ! اَنْتَ بِنَا تَقُولُ! ٩١
- وَتَبْتَكَ! اِنَّهُ لَا يَسْتَعْفِفُ بِاَمْرِ اَعْدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَاءَ اَللهُ اَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ... ٩١
- وَتَطْرُبُ جَسْرُ عَهْدِهِمْ ٢١٣
- يَا عَائِشَةُ، اِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَاكِ وَفَاكِ! مِنْ قَبْلِ بَرِيَّةٍ، فَسَبِّحْ اَللهَ ٧٠
- يَتَرَضُّ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ ٢٦٣
- يَخْرُجُ مِنَ الْاَمْرِ مَنْ قَالَ: لَا اِلَهَ اِلَّا اَللهُ ١٩٥
- يَدْخُلُ اَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَاهْلُ الْاَمْرِ الْاَمْرَ، ثُمَّ يَمُوتُونَ... ٢٢٤
- يَوْمَئِذٍ هَذَا الْمَلَأَمُ قَرْنًا، فَهَاضَ بِنْتُ سَكُو ٢٤٦
- يَوْمَئِذٍ يَخْرُجُ: اِنَّ اَللهَ بِأَمْرِكَ اَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُونِكَ بِنْتُ اِلَى الْاَمْرِ ١٤٣
- يَمُوتُ رَجُلًا اِلَى السَّمَاءِ الْمُنَا ١٥٢
- يَمُوتُ يَمُوتُ فِي اَيَّامِ الزَّمَانِ، وَيَقْتُلُ الدُّجَالُ وَالْجَنَّةُ، وَيَكْبُرُ الصَّلِيبُ... ١٨٠

٢ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء

الصفحة	الآثار/القول
٦٧	إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق الحريري - كان أعلم البصرة أهل العربية، منهم أصحاب الأعمام، إلا أربعة...
٢٤٥	إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور - إن تلك الموت أحرأ من الملائكة، يتركون عن أسرو
٢٧٢	- لو رأيت الصحابة يمشون إلى الكوفة، لكرهات تلك...
١٣٩	أبو إسحاق الفزاري - كافر (القاتل يخلق القرآن)
٧١	أبو الهيثمي - كل حاجة ليس فيها تشبه، فهي براءة
٢٠٠	أبو العباس بن طالب - كان يستنسخ نسخة الجماعة بأبيات روية الله في الآخرة
١٣٩	أبو بكر بن أبي أويس - أكثر بالله بعد نيك وتسعين سنة، ومجالسة مالك ١٩
١٠٢	أبو بكر المروزي - رأيت أبا عبد الله يثير ويضح إضح
١٣٩	أبو بكر بن عباس بن سالم الأسدي الكوفي الملقب الحنابل - كافر، ومن لم يكن: إنه كافر، فهو كافر (القاتل يخلق القرآن)
١٦٥	أبو عمرو بن العلاء بن عثمان بن عبد الله البصري - أنه قد أن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وهو علينا الشجة...

الصفحة

الآثار / القول

- أبو مالك الأشعري
- التكريمي توضيح المختصرين ١١٨
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي
- أدهو لهم بالصلاح ٢٣٠
- إنا أحببت الكوفي صاحب سلف، فهو يثوق الناس ٧٨
- إنا رأيت رجلاً يذكر أصحاب رسول الله بشيء، فأنهت على الإسلام ٢٥٠
- إنا عجلت الخير زاد، وإنا ضيقت قلبي ٢٢٦
- أشهد أن الله تبارك وتعالى يقول، وقوله الحق، خلقه خلق، وقوله باقر بن حلقوم ١٤١
- أغضى معاوية أهل المدينة عظماء ما أخطأها خليفة كان قبله ٢٥٢
- أبروها فمنا جاءت ٩٥
- إن الله تكلم بالصوت والتخريف ١٤٤
- بل تكلم بصوت؛ هذه الأحاديث تروى كما جاءت ١٤٤
- فحشهم سئ، والأداء لهم قرينة، والاقتداء بهم وسيلة (الصحابية) ٢٤٨
- فائدة الله الخبيث عند إله كتاب الله، فخير ٤٥
- قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كثر شيئا، فعبر عن الله (الجهمية) ١٤٦
- قالوا: هو شيء لا كالأشياء ٩٣
- فلقها الله فلقها الله ١٠٣
- فلق بنا على هذا المتخصصين ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥
- كان يسمي الناس: أئمة الله ١٥٨
- كان يحد في مخالفة قول الصحابة وتفهيم للسنة ٢٧١
- لا تجزئ أن تقول: ذلك كلام الله بين الله، وبين ذات الله ١٥١
- لا كنت، ولا كنتي ٩٩
- لا يُرسل عنه صفة من صفاته إلا ما عرفت ٩٩
- لا يكون من أهل السلف، ولا كرامة (الواقعة) ١٤٨
- ما أراء على الإسلام ٢٤٩
- ما أعلمني حدثت به إلا للمحمود بن داود المصيصي ١٠٤

- ٢٥٦ - ما انتقص أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا أنه كاتبة شوه
- ٢٢٢ - نكمت، أظلم، لعن الله بقمته بها
- ١٤٤ - تقي الصوت والحرف هو قول الجهمية
- ٢٢٦ - كفضائله بترك الفتل
- ٢٥٤ - هذه الأحاديث ثورث القول في القلب
- ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥ - يا هذا، رسول الله الخبز على رزق ويكف... .
- أحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد، ابن الأعرابي
- ١٤٨ - ما رأيت قوما أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب
- ١٣٨ - خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام
- أوسطو طليس بن ليقوماغوس بن ماعاؤون
- ٦٠ - لماذا كلما تجاوزنا المستوى المتوسط في الفلسفة، نملكنا الأحزان، ولازمتنا الأمراض
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي البياضوري، ابن راهويه
- ١٥٤ - إن الله يهدي على أن يترك ويصعد ولا يترك
- ١٣٤ - إنما يكون التشية إذا قال: يد كيد أو مثل يد... .
- ١٥٠ - شحنتك من الغرض
- أسد بن القرات
- ٢٠٢ - والله، لو أدعيت النبوة، فليجبت عن ربي الله، لنكثت... .
- ١٤٧ - نزع أهل البيت، هلكت قواضيلهم، يزعمون أن الله خلق ثلاثا... .
- الحسن بن سنان، أبو سعيد البصري
- ٦٢ - أمكنهم المشقة، يؤولون القرآن على غير تأويله
- ٩٢ - نكمت، بغير مثال
- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن القرامدي
- ١٦٥ - فجيء شيئا من متخرج الكلام؟ قال: نعم... .
- ٢٠١ - نكمت: ظهر ويان

الآثر / القول

الصفحة

- صُلَيْبِي بن عجلان بن وهب، أبو إمامة البجلي
٢٢٠ - رُشِمَةُ لَهُمْ! لَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَام
- القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبيد القاسمي
٩٩ - إِنْ قِيلَ: كُفْتُ وَضَعْتُ لَدُنَهُ؟ وَكُفْتُ ضَجَّكَ؟ قُلْتُ: لَا يُقَسَّرُ هَذَا...
٩٥ - لِأَهْلِ الْعَرَبِ لُكَّةٌ، وَلِأَهْلِ الْحَدِيثِ لُكَّةٌ، وَإِنَّهُ أَهْلُ الْعَرَبِ أَمِينٌ...
١١٧ - لَوْ حَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا يَنْكُثَ بِشَيْءٍ، فَتَرَأَى الْفِرْقَانِ، لَمْ يَحْثُثْ
٩٩ - لَحْنٌ نَرَوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا تُرْبِغُ لَهَا الْمَعَانِي
- الميث بن سعد بن عبد الرحمن القهسي، أبو الحارث المصري
٩٥ - أَمِيرُوَعَا ثَمَنَا جَاءَتْ
١٣٩ - كَايَرُ (الْقَالَ بَخْلَى الْفَرَّانَ)
- المختار بن عوف الأزدي البصري
٢٢١ - النَّاسُ بَيْنَا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، إِلَّا عَابِدٌ وَثَنِي، أَوْ تَكْفُرَةٌ أَهْلِي الْكِتَابِ...
٥٨ - النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الأعمش
... لَمَنْ أَلَّفَ عَسْرَتَ بَنِي عُثَيْبٍ، فَلَهُ فَخٌّ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ...
٥٩ - الوليد بن أبيان الكرايسي
٥٩ - إِنْ أُوجِبَكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَسْعَدُ الْحَدِيثِ، فَلَمَّيْ رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ
٥٩ - هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟
الوليد بن مسلم
٩٥ - أَمِيرُوَعَا وَلَا تَكُتِبْ
١٣٩ - كَايَرُ (الْقَالَ بَخْلَى الْفَرَّانَ)
- جبل بن حمود الصديقي
٢٥٨ - جَهَادٌ هُوَ لَا يَنْصُلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشُّرْكَ
٢٥٨ - كُنَّا نَحْرُمُ عَدُوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ، وَالْآنَ حُلَّ هَذَا الْعَدُوِّ بِسَاحِلِنَا...
حسان أبو المطر
٢٦٦ - مَنْ خَالَفَ الْخُجَّاجَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ

حمد بن

٢٦٣ - يُجَادُ حَسْبَ مَقْلَابِ الْبُذْعَةِ الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْحَرَابِ الْمَشْرُوعَةِ

سبحون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي القبراني

٢٥٣ - أَفْضَلُ هَذِهِ الْأَمْثَلِ بَعْدَ نَيْهَا أَبُو بَكْرٍ وَخَيْرُ

٢٦٠ - أَلَا تُخْرِجُ عَلَى الْأَمْثَلِ بِالسَّيِّئِ، وَإِنْ جَازُوا

٢٢٨ - قُلْ: مُؤْمِنٌ، وَلَا تُخْلِفْ مَعَهَا غَيْرَهَا

٢٠٠ - كَانَ يُلْقَى ابْنُ الْقَضَائِي فِي مَرَضٍ مَرِيءٍ أَنْ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٤٥ - مَا هَذَا الْقَوْلُ؟

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أبو محمد المعزومي

٢٥٥ - لَدَدِ رَأَيْتُكَ غَيْثًا وَغُثَّاءً يَتَنَبَّهَانِ بَيْنًا مَا أَعْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا يَتَدُّ

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي

٩٥ - أَمْرُومَهَا كَمَا جَاءَتْ

سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي

٢٧٤ - الْحَدِيثُ تَقَلُّدٌ إِلَّا لِلْقُلُوبِ

١٣٩ - كَافِرٌ (الْمُتَالِفُ يَخْلُقُ الْفَرَاغَ)

٩٥ - وَهِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ فَوَيْرُهَا، وَتَحْلُفُ بِهَا وَلَا تَكْتَبُ

سلطان الفارسي، أبو عبد الله

٢١٣ - الْقَضَائِي إِذَا كَتَبَ الْقَوْلَ

٢٢٦ - لَوْ تَقَلُّدَتْ أَعْضَاءُ، مَا تَقَلُّدَتْ الْإِيمَانُ

شبيب الخارجي

٢٢٠ - مِنْ وَهِنَا قُلْتُ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأْيٍ، بِنَا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا

هاشم بن أبي النجود

٢١٩ - وَاهُوا مَا أَعَزَّ هَذَا مِنْ وَهْنٍ، وَلَا يَخْلُجُ مِنْ مَظْلُومٍ

عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي النخعي

٩٥ - أَمْرُومَهَا كَمَا جَاءَتْ

المبشحة

الآثار القرون

- عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٢٧٤ - السُّنَنُ الْمُتَّفَعَةُ مِنْ سُنَنِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ
٥٩ - مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَاجْتَرَأَ اسْمَهُ زَلَّعَهُ
عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
٢٠٢ - مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُثْبِتَ
٩٦ - هَذَا الْكَلَامُ غَدَمٌ وَلَا بِنَاءٌ، وَصَفَةٌ وَلَا مَعْنَى
عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد المقتضي
١٠٠ - لَا تَنْزِيذَ يَغْنَى حَقِيقَةُ النَّزُولِ
عبد الله بن أبي حسان
٢٥٧، ٢٥٢، ٤٢ - لَيْسَ هَذَا دِينٌ قُرْشِيٌّ، وَلَا دِينُ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قَوْمٍ
٢٥٧ - وَاللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْوٌ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَآلِيَاءِ...
عبد الله بن إدريس
١٣٩ - كَأَيُّ (الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي النخعي، أبو عبد الرحمن المروزي
١٣٩ - كَأَيُّ (الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
١٥٤ - يَنْزِلُ كَيْتٌ شَاءَ
عبد الله بن غالب، أبو العباس
٢٠٠، ١٢٢، ١٠٨، ٤٦ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُشْكِرُ عَلَيَّ مَا بِهِ أَنْتُمْ...
عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
١٥٧ - إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ، حَالَ قُوَّةُ الْبَصَرِ
١١٨ - الْكُرْبِيُّ مَوْجِعُ الْقَلْبَيْنِ
١٥٧ - كَانَ يَسْمِي الْقَدَرَ: نِظَامَ التَّوْحِيدِ
٨٤ - لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تُبْقِي مِنْ أَخِي عَلَى أَخِي إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
٢٢١ - لَيْسُوا بِأَخَدٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ يَقُولُونَ (الْخَوَارِجُ)
١٧٨ - مَا بَنَى اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعِثَاقَ: قَبْلَ بُرْثِ مُحَمَّدٍ...
٩٤ - مَا لَرَفِي خُلَاوًا؟ يَجِدُونَ جِلْدَ مُتَكَبِّبٍ، وَيَهْلِكُونَ جِلْدَ مُتَشَابِهٍ

- ٧٠ عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، أبو بكر الصديق
- نَشِئْتُ فِي خَطْبِي غَيْرَ الشَّيْخِ
- ٢٥١ عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العلوي
- أَبُو بَكْرٍ وَالْأَخِيرُ مَعَهُ، وَهُوَ وَالْأَوَّلُ أَسْوَدُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ
- ٢٨٢ - إِنَّمَا أَنَا، فَعَلَى بَيْتِي مِنْ رَبِّي، وَإِنَّمَا أَنْتَ، فَانْقَبْ إِلَى شَاكٍ وَفِيكَ خَاصِمَةٌ
- ٧٠ - جَنَعَ بَيْنَهُ وَأَعْلَفَهُ فِي إِبْرَاقٍ يَبْعُو بِرَيْدٍ لَنَا حَلَقَةُ النَّاسِ
- ٢٥١ - مَا وَابَتْ أَسْوَدُ مِنْ مَعَاوِيَةَ
- ٢٥٢ - مُعَاوِيَةُ أَسْوَدُ مِنْ عُقْمَرٍ وَغُلَامَانَا
- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو محمد السهمي
- شَرُّ وَادَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْطَافِ، وَوَادِي بَحْضَرَمُوتِ يَقَالُ لَهُ: يَرْفُوتُ
- ٢٣٨ عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
- الْكُزَيْبِيُّ تَوَضَّعَ لِلْقَتَنِ
- ١١٨ عبد الله بن أبيه بن عتبة الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي
- كَابِرُ (الْقَتَلِ بِخَلْقِ الْقِرَانِ)
- ١٣٩ عبد الله بن محمد الطميف
- فَعَدَّ الْخَوَارِجَ أَحَبَّ الْخَوَارِجِ، وَفَعَدَّ الْجَهَنَّمَ هَمَّ الْوَاقِعَةِ
- ١٤٨ عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهللي، أبو عبد الرحمن
- إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالزُّبْيِ، سَجَّ حُزْنُهُ أَقْلُ الشَّوَابِ
- ١٤٣ - إِذَا دُبِرَ الْمَدْرُ، فَأَنْسِكُوا
- ١٦٢ - الشَّهْدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا
- ٧١ - بَيْنَ الشَّوَابِ الْمُلْكُ وَالْقِيَامَةُ فَبَيْنَهُمَا خَمْسٌ وَمِائَةٌ عَامٌ، وَبَيْنَ كُلِّ شَبَابٍ خَمْسٌ وَمِائَةٌ عَامٌ...
- ١٢٠ - حَبْرٌ مِنَ الْأَسْوَابِ بِالْجُلُوسِ
- ١٢٤ - وَالضَّرَاطُ كَحَدِّ الشَّيْبِ، فَخَشَى مَرَلُهُ
- ٢١٣ عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد القهري القرشي
- كُلُّ صَاحِبٍ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفِتْوَى، فَهُوَ ضَالٌّ...
- ٢٧٤

الآثار / الأقوال	الصفحة
- أَمَّا اللَّهُ أَنَا أَنَا بِمَلَكِي وَاللَّيْلِ، لَسَلَكَا	٢٧٤
عبد الله بن يزيد المقرئ	
- يَقْنِي أَنَّ اللَّهَ مَسِيحٌ بِصِيرٍ	١٠١
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجعفي إمام الحرمين	
- أَمُوتَ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ كَيْتَابُور	٥٩
عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصبهاني البصري	
- إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الْأَسْمُ غَيْرُ الْمَسْمُوعِ، فَاسْتَمِعْ عَلَيْهِ بِالزُّنْدَقَةِ	١٣٣
- جَلَسْتُ إِلَى أَبِي غَنْزَرٍ بَيْنَ التَّلَاوِ عَشَرَ رَجَحَ...	١٦٥
- هِيَ كَالْفِرَّةِ بِهَذِهِ التَّلَاةِ	١٢٨
عبد بن سليمان الكلابي	
- كَافِرٌ (الْقَائِلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)	١٣٩
عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الثاني	
- أَتَمُّ الْقُرْآنِ لَا تَمْلُكُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اللُّغَةِ، وَالْأَقْبَسُ فِي التَّرْبِيَةِ	٦٥
عثمان بن عفان بن أبي العاصم الأموي	
- لَشَهِدْتُ فِي كَلَابِو لَنَا أَقَامَ الْخَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُطْبَةَ	٧٠
عطية بن نافع	
- اللَّهُمَّ، أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ النُّجُودَ، وَلَوْلَا هَذَا الْبُخْرُ، لَتَضَيَّعْتُ فِي الْبِلَادِ أَقَائِلُ مَنْ تَكْفَرُ بِكَ...	٢٢
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي	
- أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ؛ فَإِنَّهُمْ سَفَكُوا الدِّمَّ الْحَرَامَ	٢٢١
- تَشْهَدُ فِي حُلَّةٍ غَيْرِ التَّجْنَعِ	٧٠
- خَيْرُ قَوْلِهِ الْأَمْرُ بَعْدَ نَهْيِهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي غَيْرُ رَجِيئِ اللَّهِ عَلَيْهِ	٨١
- شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بَعْضُ مَوْتٍ يَقَالُ لَهُ: يَرْكُوتُ	٢٣٧
- سَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ	٨٤

- ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِزًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- ٨١ - يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ
- علي بن هاشم
- ١٣٩ - كَالْيَوْمِ (الْمَدَائِلُ يَخْلُقُ الْفَرَكَانَ)
- علي بن عقیل، أبو الوفاء البغدادي
- ٦٠ - حَدَّثَ الْقَهْقَرِيُّ إِلَى مَلْعَبِ الْمُتَخَبِّ
- عمر بن الخطاب بن قنیل، أبو طلحة العدوي
- ١٢٦ - إِنَّا بَعَثَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكَذِبِيِّ
- ٧٠ - نَشْهَدُ لِي خَطْبِيهِ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ
- سَنَ رَسُولُ اللَّهِ وَوَلَدُهُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً، الْأَخْلَفُ بِهَا تَصْدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ،
- ٢٧٢ - وَاسْتِكْمَالٌ لِعِلَاقَةِ اللَّهِ...
- ٢٧٦ - قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَّةُ، وَقُرِئَتْ لَكُمْ الْفَرَائِضُ، وَأُتْرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحِ...
- ٢٧٦ - كُلُّ سَبِيلٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْوَحْيِ، فَهُوَ بَاطِلٌ
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم الأموي
- ٢٨٠ - مَنْ جَعَلَ بَيْتَهُ غُرُصًا لِلْمُحْشُونَةِ، أَكْثَرَ النَّفْلِ
- عمران بن الحصين
- ١٦٤ - أَرَأَيْتَ مَا يَمْنَعُ النَّاسَ الْبَرَّ، وَيَكْفَحُونَ فِيهِ أَشْيَاءَ تُطَيِّرُ عَلَيْهِمْ...
- عون بن يوسف الخزاعي
- ١٧٢ - إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَكْفُرَ الْفَقْرَى، ظَلَمْتُ لَهَا: مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَلِيهِ؟
- قيصة بن ذؤيب بن حنظلة، أبو إسحاق
- نَحْنُ قَالُ: مُحَدَّثٌ، فَهُوَ يَقُولُ
- ١٥١ - إِنَّهُ مَخْلُوقٌ...
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني
- ٢٦٢ - أَدْرَجْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعًا، فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِزٍ يَمْلِكُونَهُ
- ٢١٩ - أَرَأَيْتَ لِي الْخُرُوبِيَّةُ

الصفحة

الآثار / القول

- الاستواء معلوم، والكيف مجهول ١٢٧ ، ٩٧
- التثنية الثبوت ٢٠٢
- العقل أثبت بين الأحاديث ٢٧٣
- القرينة أثر الناس، ورائتهم أهل عيش وسخاوة حقولهم وبيع... ١٦٨
- القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق ١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلامه لا يبدل ولا يفتد، وليس بمخلوق ١٥٥ ، ١٣٨
- الله في السماء، وجنته في كل مكان... ١٠٧
- الميزان عن ٢٠٩
- أبوهما كذا جاءت ٩٦ ، ٩٥
- أمتك من الفضل بين حنيفة وعلي ٢٥٢
- إن الضاحل بين الصحابة ليس من أمر الناس الذين مضوا... ٢٥١
- إن كنتك ذلك بيقينك، عفت أن تقول فذلك... ٥٧
- أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته... ٥٨ ، ٥٤
- أهل القنوب مؤمنون مليئون ٢٣٤
- إياكم والبدع ٥٤
- بعض الإيمان أفضل من بعض ٢٢٧
- يلقي أن الأرواح مرسلة لتعجب حيث جاءت ٢٢٦
- لو كنت عاصيا لم كنت لإلهي ٢٣
- رأيت أهل بلخا يتكلمون عن الكلام في الدين ٥٤
- قل: مؤمن، ولا تخلط معها غيرها ٢٢٨
- كافر زنديق، اقلوه (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- كان ابن مكرم رجلا كنت أحب أن أفتني به... ٥٧
- كان يحد من تفسير القرآن من غير معرفة بلسان العرب ٦٢
- كان يشك على منكر وروى الله ٢٠١
- كان يشك على منكري القدر، ويرى أنهم يستأثرون ١٥٨
- كان يشك في مخالفة قول الصحابة وقهوبهم للشك ٢٧١

- ١٣٨ - كان يصنف من قال بطلاني كلام الله بالزنتق، ويأثر بقلبه
- كان يقال: لا تمكّن زانج القلب من ألتك، غوك لا تدري ما يخلقك من
ذلك
٢٨٠
٢٠٠ - كنكوا، بل تنكروا إلى الله أنا صيفت قول موسى...
٦٢ - لا أوتى برجلي يمشي كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته ككالا
١٠٣ - لا يتحدث به، وما يدعو الإنسان إلى الحديث بملك...
١٦ - لا، ولكن يخير بالسنة، لأن قيل منه، وألا سكنت
٢٢٦ - ليس للإيمان مستقر، هو في زيادة أبنا
٢٧٩ - ليس هذا الجد من الثمن بشيء
٢٥٢ - ما أدركت أحدا أفتدي به ينشئ أحدهما على صاحبه
٥٤ - ما قلت الأثر في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء...
٢٤٩ - من رأى عاتقة، فخر، فقد خالفت القرآن
٢٤٩ - من سب عاتقة، قيل
٥٤ - من طلب الخير بالكلام، تركت
١٢٣، ١٠٢ - من وصف شيئا من ذات الله مثل قوله...
٢٧١ - هؤلاء يستأثرون
١٠٠ - ولا يستأثرون عما سكنت عنه الصحابة
٢٧٩ - ولقد قال رجل: لقد دخلت هذه الأديان كلها، فلم أرى شيئا مستقيما...
٩٦ - برزقة بأعيهم
٢٠٠ - ينكروا إلى الله بأعيهم عاتقي
٢٠١ - يقدمو المالكة كانوا يستأثرون على منكر روية الله
مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي المقرئ
١٢٤ - يهولت نفة على القرئ
محمد بن إسماعيل بن النحاس، أبو عبد الله الشافعي
١٠٤ - شيطان الله ضرة من مخلوق
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
١٤٤ - إن الله تكلم بالنبوت والسرور

الصفحة	الآثار/القول
١٤٤	- صوت الله لا يُسْمَعُ صوت الكَلْبِ
١٤٤	- صوت الله يُسْمَعُ مِن بُنْدٍ، كما يُسْمَعُ مِن قُرْبٍ
٥٨	محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني - كان أبو عبيدة يَحْكُمُ على القَوْدِ، وينهاة عن الكلام
	محمد بن سهل بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القيرواني - أَرَأَيْتَ كُلُّ مَخْلُوقٍ: - هل يَلِكُ لِمَخْلُوقٍ؟
١٤٦	
١٦٣	- الإقْرَارُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وما سوى ذلك من الأعمالِ مخلوقة
٢٣٢	- لا أقول ما قاله المُرْجئة: لا تُطْرَقُ القُتُوبُ مَعَ التَّوْحِيدِ
	محمد بن عبد الكريم، طراز الشريعة الشهرستاني - عليكم بدين التَّجَازِيرِ
٦٠	
	محمد بن عبد الله الأنطلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زعيم - التَّكْوِينُ تَوْضِيعُ الْمَقَاتِلِ
١١٨	
	محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي - عُبِّرَ عن الاستواء بالقعود
١٢٥	
	محمد بن علي بن عمر التميمي الحازري - ويؤدِّي لو شُكِرَتْ هذا بن هذا الكتاب بما يَضْرِي
١٦٧	
	محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرزفي - لقد اخْتَبَرْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ، فما رأيت فيها فائدة تُساوي فائدة التَّفَرُّقِ
٦٠	العظيم
	محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله، ابن شهاب الزهري - أَلَا أُعَبِّرُكُمْ بِمَنْزِلِكُمْ وَمَنْزِلِ هَذِهِ؟ كَمَثَلِ عَيْنٍ فِي رَأْسِ كُوفَيْنِ صَاحِبَيْهِمَا . . .
٢٥٥	
٩٥	- أَمَرُوا الْأَخَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ
	مصعب بن عبد الله بن مصعب، أبو عبد الله الزبيري - رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَتَهَوَّنُونَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الشَّيْءِ
٥٤	

- مقاتل بن سليمان الأزدي البجلي الخراساني
 ٢٣٨ - شرُّ وائين في الناس: وادي الأحقاف، ورواه بحضر موت يقال له: بَرْهَوْت
 مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي
 ٩٥ - أوبروا الأخاديت فَمَا جَاءَتْ
 هاني بن مسعود الشيباني
 ١٥٧ - إِنْ السَّحَرُ، لَا يَنْجِي مِنَ النَّفَرِ
 هشيم بن بشير
 ١٣٩ - كَابِرُ (الْقَاتِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
 وكيع بن الجراح بن ملح، أبو سفيان الرواسي الكوفي
 ١٣٩ - كَابِرُ (الْقَاتِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
 ٩٥ - نُسَلِمُ غِلْمَ الْأَخَادِيثِ فَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟
 وهب بن منه بن كامل البجلي، أبو عبد الله الأبهري
 ١١٨ - الْكُرَيْمِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَتَيْنِ
 يحيى بن زكريا
 ١٣٩ - كَابِرُ (الْقَاتِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
 يحيى بن سعيد القطان
 ٢٢٥ - مَا أَدْرَاكَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا إِلَّا عَلَى سُنَّتِنَا فِي الْإِيمَانِ
 يزيد بن هارون
 ٩٦ - مَنْ وَغِمَ أَنْ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى عَلَى خِلَافِهِ مَا يُفَرُّ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ...
 ١٠٠ - وَتِلْكَ مَنْ يَكْدِي كَيْفَ هَذَا؟
 يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
 ١٦٢ - الْقَلْبُ لَا يَكُونُ بِجَنَانٍ، وَلَا يَنْفِي عَنْ نَفَالٍ
 يونس بن حبيب
 ١٦٥ - لَا يَنْكُرُ لِي فِيهِ

٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات

١٥٧	إِنَّ عَذَابَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ لَضَاعَا	يَا عِبِلَ أَهْلَ مِنَ النَّبِيِّ مَهْرَبِي
١٦٦	رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَتَمَسَ عَجِيرَا	تَجِدُوا إِلَهَ زَمَرٍ يَلْمِجُوا أَفْلُ
١٦٦	سَ وَشَوَى قَبُولِ السَّمَاءِ سَرِيرَا	بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي تَبَقَّ الشَّا
١٤٧	بِإِلَهٍ قَلَامَةُ الْمُتَنَزِّلِ	وَالْقَوْلِ فِي بَنَاءِهِ الْمُفْضِلِ
١١٩	وَلَا يُكْرِيسُ جِلْمَ اللّٰهِ مَخْلُوقِ	مَا لِي بِمَشْرِكَ مُرْسِي أَقَابِيهِ
١١٧	لَيْسَ بِمَخْلُوقِ وَلَا بِكَالِي	عَلَى وَشَوَى اللَّيْلِ الشَّاهِقِ
١١٧	وَمَقْلُ لَكَ الْفَطْ عِنْدَ الْجَلَّةِ	وَالْوَفْقِ يَوْمَ بَذْعَةِ مُصِيلَةِ
١٥٧	إِنَّ الصَّخَا لَا تَوَظِيحُ مِهَامَهَا
١٤٧	أَوْ مَخْنَتَ قَقَزْلَةٍ مُرَوِّقِ	مَنْ لَانَ بِمَوْثِقَةِ مَخْلُوقِ
١٥٧	مُقْتَرَّةَ لَنَا وَمُقْتَرِينَا	وَأَنَا سَوَدَ لُزُومًا الْعَمَلِجَا

٥ - فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة	المصطلح	الصفحة
١٤٨	- الواقعة	١ - فهرس المصطلحات العقيدة	
٢٣٩	- حياء البرزخ	والفكرية	
١٩٧	- شفاعَةُ النجاة والسلامة	١٣٥	- إضافة التشريف
١٩٧	- شفاعَةُ تخفيف العذاب	١٣٥	- إضافة الضمّة
١٩٨	- شفاعَةُ دخول الجنّة	١٣٣	- الأسماء الحسنى
١٩٨	- شفاعَةُ رفع الدرجات	٢٤٩	- المذمّة المحمّدة
١٩٧	- شفاعَةُ زوال العذاب	٢٦٩	- السلف الصالح
٨٩	- مائة الشيء	٢١٣	- الصراط
١١٣	- مقالة التأويل	٨٦	- الكُتّة
	٢ - فهرس المصطلحات الأصواتية	١٢٠	- المرفوع حكماً
٢١٧	- الصحابي	٢٤٢	- الحلائكة المختلفة

٦ - فهرس القواعد والحكليات

الصفحة

القاعدة/الحكمة

١ - فهرس قواعد المعرفة ومدارك النظر

- ١٥ - الجدال والمراء الزائد يُورث العناد والمكاثرة
- ٢٧٨ - الجدال والبراء ليس طريقاً موصلاً إلى الحق بلإيه
- ٢٢٢ - العالمُ المُصنّف لا يتكلّم بما تُجيّه كلُّ فئ في عضوها
- ١٦١ - العقول إنما تُبحث في شُكوك الإعراف العقلية، لا في مُحالها
- ٥٠ - الموافقة في مسائل لا تعني الموافقة في الأصول
- ٨٧ - التفهيم عن الخوض فيما لا يُدركه العقل
- ٢٢٦ - إمكان الشيء شيء، وحصوله شيء آخر
- ٢٧٨ - أفلك أصحاب العقول استحسناتهم وأقبحهم، وعجزهم القصر
- ١٦ - إضاح الحق بلا جدال أقرب إلى القبول
- ١٥ - بيان الحق يكون من أصوله بلا جدال ولا مراء
- ١٩ - فضل العلوم بفضل المعلوم
- ١٢٧ - كلُّ ما لا متجان للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه
- ٢٢٢ - كم تألّى الحق، بمحاذاة الخلق
- ٢٧٥ - لا تتشبه البدع إلا عند من عقل الآخر
- ٩٩ - لا يُقر من باطل إلى باطل
- ٥٠ - ليس البناء ولا التلمذة مُدخِل أحداً في ملحق أحد
- ١٣٥ - ليس في القرآن ما لا يُفهم معناه البتة
- ١٨٧ - ما كونه الفلن الأول من القرآن هو مراد الله فيه
- ١٠٢ - ما كلُّ صحيح يُعبر التحليل به
- ٢٧٨ - من بات الحكمة، وانضج العقل، وجب اتباعه والعقل به

- بن أعظم الذبح والصلوات أن يؤخذ الدليل بالنظر ٢١٥
 - من جهل الآخر استحسن العمل بالرأي ٢٧٥
 - من عقل العقل، فسدت دنياه، ومن عقل الفل، فسدت دينة ٢٠
 - نهى الله عن الخوضي فيما لا سبيل لأثراكو ١٦١
 - يجب بيان الحق بخصي بما يهتد السامع والقارئ ولا تكلف ١٦
 - يؤخذ الآخر العقل إلى الوقوف على ما لا يحرك به ٥٣
 ٢ - فهرس قواعد العقائد

١ - فهرس قواعد الإلهيات

- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَقَدْ أَلْهَمَ الْقَبِيضُ ٤٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١١٢ ،
 ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦
 - إثبات تعالى الله الاختيارية على وجوب الحقيقة ٢٠٧
 - إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة ليس منفياً ٩٧
 - إثبات الصفات لله إثبات للوجود والحقيقة والكيفية ٨٦
 - إثبات الصفوة لا يعني تشبيهاً، وتلك الكيف لا يعني تعطيلاً ٦١
 - إثبات الصفوة للمخالف لا يعني مشابهتها لصفة المخلوق ١٣٦
 - إذا اختلفت لوازم الذات، اختلفت لوازم الصفات ١٢٨
 - الأصل ألا ثبتت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين ١٣٠
 - الإسماء من الزيادة على النص أصح ١٥٤
 - التشبيه الموقوف أصح خلال الجور في الله ١٦٤
 - النظر في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وأثارها، والمثل بمقتضاها ٨٨ ، ٦٢
 - العمل أن تؤخذ مسائل الصفات والذات على ظاهرها ٥٩
 - الشك تكفي على اللذة، واللذة لا تكفي على الشك ٦٥
 - السائق مُحْكَم في إثبات الصفات ٤٧
 - التوق في الكلام الجهل به ٤٤
 - القول من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير شرح ١٦١
 - الله إله زائد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له ٩
 - الله تعالى لا يشبهه شيء في كيفية صفاته ١٠٥

الصفحة	القاعدة/الكلمة
٨٦	- الله ليس له مثلٌ يَكُونُ عليه، ولا شيةٌ يَكُونُ عليه
٩٨	- ترك حقائق التصوري وتناقضاتها الصحيحة علائق
٩	- تعالى الله أنْ تَكُونُ صفاته مخلوقة، وأستأثرتُ شدة
١٢٧	- ذات الله وصفاته يَكُونُ فيها بالقدر الوارد في السمع
١٣٢	- كلُّ اسم له معنى يَكُونُ له الاسم والمعنى جميعاً
١١٢	- كلُّ ما أخبر الله به عن نفسه يجب إثباته على الحقيقة
١٢٤	- لا نسفه، ولا نعبثه، ولا نطيلُ عليه، إلا ما سئى به نفسه
٨٦، ٩	- لا يَتَلَمَّحُ تحت صفوه تعالى الزمانيون، ولا يُجيبُ بأنهم الْمُتَعَكِّرُونَ
١١٩	- لا يجوزُ تكيفُ بقول الله
٦١	- لا يَجْعَلُك خوفُ التشييد على النقي، ولا خوفُ التواطي على التشييد
١٢٩	- لا يزالُ الله تعالى على كماله، لا يغيَّرُ الزمان
١٢٧	- لا يَكُونُ الكيفُ إلا إما له حقيقة
١٢٦، ١٢٢، ٩٣، ٩٢	- لا يَلْزَمُ من إثبات حقيقة الصفات الشية
٢٠٨، ١٣٦، ١٣٤، ١٣٠	
٩	- هو تعالى الأسماء الحسنى، والصفات العُلا
٩	- لم يَزَلِ الله تعالى يَجْمَعُ صفاته وأسماءه
١١٢	- لو خُلِّتْ أبعادُ المعقولة من القياسي، لَخُلِّتْ من التعليل
١٣٢	- ليس له تعالى من يُشابهه في أسماؤه
٩٨	- ليس من السلامة ترك مراد الله في كلامه
١٣٠	- ليسب الضائق من موارد الكلام
٦٥	- ما خالفت ما أُجْتَمِعَ عليه السلف من المعاني، فهو غايض
١٢٧	- ما دلَّ السياقُ على حقيقته ثبتت حقيقة
١٣٥، ٤٧	- مجرد الإضافة لا تُجيد إثبات الصفة
١٣٠	- مسائل الشبب ترتبها إلى علم الله لا مجال فيها للاجتهاد والنظر
٨٨، ٦١، ٤٤	- من العلم بالله: المجهول بما لم يُكَلِّم الله به عن نفسه
١٣٠، ١٢٨	- من كانت ذاته لا شية لها، صفاته لا شية لها
١٥٧	- من كمال الخلق كمال جلوه

- ١٣٠ - من ليس كقولك شيء في ذاته، ليس كقولك شيء في صفاته
- ٦١ - تمنع الاسترسال في التفكير في كيفية ذات الله وصفاته
- ٨٦ - واجب العلول الوقوف في إثبات الصفات على الشخصي
- ٨٧ - يجب الإمساق عن التفكير في كيفية ذات الله وصفاته
- ٢٧٥ - ينبغي أن نثبت عمداً أننا نثبت عنه الثلث
- ٩ - يتغير المتفكرون بآبائهم، ولا يتفكرون في حاجي غاية
- ٢ - فهرس قواعد النبوات
- ٢٠١ - الأنبياء لا يسألون المحال بل الممكن
- ٣ - فهرس قواعد السمعيات
- ٢١٤ - ليس في صريح العقل ما يُجبل الغيبات
- ٢١٤ - ما ثبت بالنقل من الغيبات لا يجوز إنكاره بالعقل
- ٢ - فهرس القواعد الأصولية
- ١ - فهرس القواعد الأصولية الكبرى
- ٧٩ - الاعتناء في الشريعة يكون للأحكام والأحكام
- ٢٦٥ - الطاعة بالمعروف لا في معصية الله
- ١٣١ - الخروج من رأي واجتهاد
- ٢١ - أنزل الله الوحي بلسان محمد عليه
- ٢٧١ - كل شيء لا تنهي إلى الصحابة يتوكلت فيها
- ٢٦١ - يجب تغليب صلاح المؤمن على صلاح الدنيا عند التراجع
- ٧٣ - ينهى الله عن شيء، ثم يبين سعة الخلاف
- ٢ - فهرس قواعد الحكم الشرعي
- ٧٩ - الصبي غير مكلف
- ٣ - فهرس قواعد الأدلة
- ٢٧٢ - إذا ثبت إجماع التابعين، فلا يجوز الخروج عنه
- ٢٧١ - إذا صح إجماع الصحابة، فلا يجوز المنازعة في ذلك
- ١٣٢ - الأصل في مراسل التابعين التوكل

الصفحة	القاعدة/الكلمة
١٣٢	- قول التابعي ليس حجة مقطوعة في الفروع والأصول
٢٧٢	- لا يجوز استنباط حكم يخالف قول أهل الصلح الأول
	٤ - فهرس قواعد دلالات الألفاظ
١٣٧	- إذا أخذ العمل بالمصنوع، لم يحتل إلا على الحقيقة
١٤٥	- إذا نكح على المستقبل
٦٥	- الاصطلاح والوضع الشرعي مقدم على الوضع اللغوي
٤٧	- السياقي مُحْكَم في تفسير النصوص
١٠٤	- سياقات الكلام لا بُدَّ من معرفتها لتحديد الألفاظ
١٢٦	- على نكح على العلق والفوقية
١٣٢	- كل اسم له معنى يثبت له الاسم والمعنى جميعاً
٦٥	- لا يجوز تقديم الوضع اللغوي على الوضع الشرعي
٢٧٥	- ما تأوله السلف تأولناه، وما غولوا به غولناه به
١٠٠	- معرفة سياقات كلام الأئمة مفسرة لألفاظهم المتناوذة في الاستعمال
٦٤	- يجب اعتبار السياقي والقراني وأحوال المتكلم والمخاطب
١٤٩	- يُطلق العموم في القرآن وله ما يخصه من الجنس وغيره
	٥ - فهرس قواعد التلخيص والترحيل
٢٧٦	- كل نزاع وخلاف في الدين يجب رجوعه إلى الوحي
٢٧٥	- لا تُعارض المسئلة برأي، ولا تُناقض بقباس
	٦ - فهرس قواعد الاجتهاد والتقليد
٢٧٨	- المشقة في الأخكام تأجور فإن أخطأ
	٤ - فهرس القواعد المعيشية
١٣٢	- الأصل في مراسيل التبيين التوثيق
١٣٢	- قول التابعي ليس حجة مقطوعة في الفروع والأصول
	٥ - فهرس العقل والحكم على الحديث والأثر
٨٣	- أئني جنبل على الصلاة والسلام، فقال: يا مُحمَّد...
٧١	- الأحاديث الواردة في الأمر باليد باليسمق والخملاق معلومة

الصفحة

المادة الكلية

- ١١٩ - الكرسي جلُّ الله
١٢٠ - الكرسي قُدْرَةُ الله
٢٤٩ - إِنَّ يَلْقَاهُ مَلْفَقَةً، تَرَى عَيْنَ أَحَدٍ كَأَنَّهُ بَيْنَهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ شَقَافٍ
٨٣ - حديث الصلاة على النبي عند دخوله المسجد، وعند الخروج منه
٢١٤ - وثقة الصراط ليس فيها شيء مرفوع
١٢٤ - عُرِّفَ عن الاستواء بالجلوس
٢١٠ - لا يثبت في حجم الوزان حديث
١١٢ - مَا السَّمَوَاتُ الشَّيْءُ فِي الْكَرْسِيِّ، إِلَّا تَخْلُقُو شَقَافًا بِأَرْضِي فَلَاؤُ...
٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
٦ - فهرس القواعد والضوابط الفقهية
٢٥٩ - تكون طاعة الإمام بما يُكَيِّمُ الدنيا
٢ - فهرس الفروق
٤٢ - الفرق بين أهل الحديث وأهل الكلام

٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل

المسألة	الموضوع
	ابن أبي زيد القيرواني
٣٩	- تقويم القول بانتصافه إلى المذهب الأشعري
٣٨	- ثناءه على أبي ثعلاب
٣٧	- ثناءه على أبي الحسن الأشعري
١٦	- دفاعه عن منهج السلف ومذاهبهم
٣٢	- رثاه على أبي قسرة الجبلي الفيلسوف المشائ
٣٢	- رثاه على أبي القاسم اليكزي الفكر الإصراقي الصوفي
٣٢	- رثاه على أبي طالب شيخ المعتزلة
٣٠	- رثاه على الظاهري
٣٦	- رثاه على علي بن أحمد البغدادي داعية الاعتزال
٣٢	- مكاتباته إلى أبي بكر الباقلاني في الكرامات عند المعتزلة
٣٩	- موافقه من نصيب الأسماء والصفات
	ابن تومرت
٥٢	- مذهب المعتزلي بين الأشاعرة والمعتزلة
	أبو المعالي الجويني
١٣	- استعمل إطلاق القول بأن المبدأ علوي أصالة
١٣	- القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عند
١٣	- فعل العبد واقع بقدره فقط
١٣	- قدرة العبد منفردة بالناسخ في فعله
١٢	- مخالفة بعض أصول المذهب الأشعري

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
	أحاديث الصفات
١٠٠	- رواية الأئمة [إمام] واحترائهم من سوء فهمها
	أدب التأليف
٧٤	- بيان سبب تأليف الكتاب
	أضراط المسألة
١٩١	- الأحاديث الواردة فيها
١٩١	- أنواعها
	أفعال العباد
١٩٢	- خلقها
	الإرادة
١٠	- تعالى الله أن يتكون في ملكه عا لا يربط
	الاستواء على العرش
١٢١	- إثباته
١١٣	- الاستواء على العرش
١٢٦	- التعبير عنه ببعض لوازمه
١٢١	- حقيقته
١١٣	- حكاية الإجماع على إثباتها
١٢٨	- سبب تأويله
١٢٥	- معناه في اللغة
١٠٩	- من شبهات بعض من شككها
١٢١	- مواضع ذكره في الكتاب الكريم
١٢٧	- بحسب إنبات الاستواء حقيقة، وتفسيره كيفية
	الإسلام
١٨١	- الإسلام وحرية الدين
	الإسلام والإيمان
٢٢٨	- الإسلام أوسع دائرة من الإيمان

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
٢١٨	- العلاقة بينهما
	الاسم والمسمى
١٣٣	- العلاقة بينهما
	الأسماء الحسنی
١٣٢	- إثباتها
١٣٢	- تمسك إحصائها
	الأسماء والأحكام
١٢	- الفضل الشخصی الخلقاء الزائغون المتهبون
١٢	- الإنسان عتاً شجرة بين الصحابة
٢٣٣	- التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف
٢٠٣	- الجنة والنار، ولئن أعتقما الله
١٧٩	- حكم البيع بين غير الإسلام
١٩٤	- حكم أصحاب الكفائر
١٩٤	- حكم من مات ولم يشبه بين قلبه
	- غير القرآن الذين رأوا رسول الله، ثم الذين يلوونهم، ثم الذين يلوونهم
٢٤٥، ١٢	- لما عتق الله لبيابو المؤمنين الحسنات، وصنع لهم بالثوب عن كتابي
١١	المسكات
٢٣٣	- لا يحيط الإيمان والعقل إلا الكفر والشرك
١٢	- لا يكثر أحد بين الصحابة إلا بأحسن ذم
١٢	- لا يكثر أحد يلقب من أهل النبوة
١٩٥	- مصر من دخل النار من عصاة السليبي
٢٤٩	- من سئل عينا في قلبه على الصحابة كافر
٢٤٩	- من طعن في جرسي عائشة كفر
٢٤٩	- من طعن فيمن نوازه فضلة كفر

الموضوع / الراس المسألة

الصفحة

الأسماء والصفات

- ۱۱ - إثبات رتبة المؤمنين رتبتهم في جنات النعيم
- ۱۲۹ - إثباتها
- ۶۱ - اعتقاد السلب فيها
- ۱۰۶ - الإشارة بالتي عند الحديث عن صفات الرب
- ۸۷ - الإساءة عن الضمير في كيفية الصفات السالبة
- التحذير من التثنية، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشرع بين الإشارة والكلام
- ۱۲۶
- ۸۵ - الله هو الأول؛ فليس قبله شيء، وهو الأخير؛ فليس بعده شيء
- ۹۶ - إيراد نصوح الصفات لا ينافي الإقرار بحقيقتها
- ۸۸ - أنواع ظاهر الصفات
- ۱۲۹ - قديمها
- ۱۲۹ - كونها غير مخلوقة
- ۸۹، ۹ - لا تبلغ ثمة صفات تسمى الواصفون، ولا يجيب بأنهم المتفكرون
- ۱۳۰ - ما ورد منها عن الصحابة والتابعين
- ۳۵ - ملحق منقضي المغايرة فيها
- ۱۱۱ - نفي بعض الصفات لأجل تولد إحاطة المخلوقات بالخالق

الأسماء

- ۱۷۲ - تأثرهم في القول بالكسب بالضراريك والتجاريك

الإمام مالك

- ۱۳۸ - ثبت على القائلين بكلقي الفرقان
- ۵۳ - موافقة من علم الكلام
- ۲۲۶ - نقصان الإيمان عند
- ۵۵ - نفي عن علم الكلام، ومراحله منه

الإمامة

- ۱۳ - الكفاية لأئمة المسلمين، من ولاه أمروهم وعلمناهم

الصفحة

الموضوع / رأس المسألة

- الإمامة العظمى
- ٢٥٩ - الخروج على الحاكم المسلم
- ٢٥٩ - الخروج على الحاكم المسلم بشبهة كفر أو توهم مكفر
- ٢٦٢ - التصحح للأئمة
- ٢٥٩ - بقاء المسلم بلا تبع لإمام
- ٢٥٩ - تكون طاعة الإمام بما يقيم الدنيا
- ٢٦١ - شروط الخروج على الحاكم
- الأهواء والبدع
- ٢٠ - بيطأة العقل وبها
- الإيمان
- ٢٣١ - أثر إخراج العمل منه
- ٢٢٨ - الاستثناء في الإيمان شيئاً لا يجوز
- ٢٢٧ - الاستثناء فيه
- ١٢ - الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالحواس
- ٢٢٨ - الإيمان قول وعمل
- ٢٢٣ - الإيمان يزيد بزيادة الأفعال، وتقصّر بتقصيرها
- ١٢ - الإيمان يزيد بزيادة الأفعال، وتقصّر بتقصيرها
- ٢٢٨ - حقيقة الاستثناء منه
- ٢١٥ - حقيقة
- ٢٢٩ - حكم ناره العمل كله
- ٢٢٦ - زوال الإيمان وكماله
- ٢١٦ - طوائف الثلاثة فيه
- ٢٣٣ - لا يحيط الإيمان والعمل إلا بالكفر والشرك
- ٢٣٢ ، ٢٢٨ ، ١٢ - لا يمتثل قول الإيمان إلا بالتفعل، ولا قول وعمل إلا بيقين، ولا قول وعمل
- ٢٢٨ - وثيقة إلا بموافقة الشئ
- ٢٢٨ - ما يدخل فيه
- ٢٢٩ - من اتقى من العمل كله، فمن اتقى من القول كله

- الإيمان بالكتب
١٨٥ - الإيمان بالكتب السماوية، والجمعة بين إرسال الرسل
- الإيمان بالملائكة
٢٤١ - أدلة وجود
٢٤١ - الإيمان بهم وكن من أركان الإيمان
٢٤٢ - عدد الملائكة ووظائفهم
٢٤٣ - كل الملائكة بيّات مكرّمون
- البدعة
٢٧٧ - المجهول بدعة
- التأويل
٤٦ - التأويل في كلام بعض أهل السنة
١٠٥ - تولي التوازم الباطلة يفضي إليه
- التشبيه
١٢٢ - التحليلية، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة
٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيهية
١٠٠ - لا يلزم من تزييد الله عن التشبيه في الحقيقة عن صفاته
- التعطيل
٩٣ - أسبابه
١٠٥ - تولي التوازم الباطلة يفضي إليه
٩٣ - لازم في الصفات التعطيل
- التعليم
٧٨ - تعليم الصغير أثبت في قلبه من تعليم الكبير
٧٧ - فضل تعليم الصغار والأمر به
- التفويض
٩٨ - ادعاء أن التفويض ياحته التعليم
٩٥ - ادعاء نسبة التفويض إلى السلف

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- أسبابه	٩٢
- الشهادة في مقالات التكاليف	٩٤
- الإقرار بالثبات الصلة يُجَلُّ التفويض	١٣٥
- التفويض في كلام بعض أهل السنة	٤٦
- تاريخ مذنب التفويض	٩٥ ، ٩٣
- تولُّم التوازم الباطلة ينهي إليه	١٠٥
- حضوره في مقالات أبي الحسن الأشعري ومصور الماتريدي	٩٤
- شيوخ مقالة التفويض في بلاد المغرب	٩٩
- حفيد التفويض	٩٢
- لم يؤثر التفويض من أحد بين الصحابة والتابعين	٩٥ ، ٩٣
- نشأة مقالة التفويض وشيوخها	٩٧
الوحيد	
- أعظم الواجبات معرفة المخلوق، والناية من الخلق	١٥
- الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له	٩
- بدء مباحث الأصول بقرينه	٨٥
- سبب الوقوع في الشرك	٩٠
- ليس لأوليائه إنشاء، ولا لأتبعيه القضاء	٩
- معرفة الله بأياته الكونية	٩٠
الجدل والمناظرة	
- التحليل بين الجدلي والبرزالي في الدين	٢٧٨
- الجدال والنزاع الزائد يُروِّج الصفاء والمكاشفة	١٥
- بيان الحق بكونه من أصول، بلا جدالي ولا مراو	١٥
- ترك البرزالي والجدلي	٢٧٦
- فحش الجدلي والبرزالي وأهله	٢٨٠
الحديث الشريف	
- الإجماع على ترك العمل بالحديث	٢٧٤

الصفحة

الموضوع / راسم المسألة

	الحرف والصوت
١٤٤	- لم يُعرّف الخلاف في إثباتهما قبل ابن خُلّاب
١٤٣	- نشأة الكلام في المسألة
	الحلال والحرام
٧٣	- منعة الحلال، وبيان الحرام
	الحوض
٢١٤	- أحاديث إيجاب بلق بلق الثواب
٢١٥	- التوضؤ قبل الصراط في التوقف
٢١٥	- إنكار المأثورين إياه
٢١٤	- قوة أهل البدع والتبديل عنه
٢١٤	- لا يُعزّب منه إلا نفس مؤمنة من أمّة محتبة
٢١٥	- للأنبياء حوض لهم ولأمّتهم
٢١٤	- من شرب منه لا يظنأ أبداً
	الخلاف العقدي
٤٢	- الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف
	الخراج
٢١٩	- أسباب الانتفاء برأيهم
٢٢٠	- الشفاعة الجامعة لهم
٢٢٣	- الموازنة بينهم وبين المرجعة
٢٢١	- شدّة عبادتهم
٢١٨	- فتنتهم في التكفير بغير مكفر من الذنوب وسائر الأعمال
١٩٦	- مقالتهم في صاحب الكبيرة
٢٢٢	- نُضجهم قبل قتالهم
	الذات الإلهية
٨٧	- الإسماء عن التشكُّر في كيفية ذات الله
٨٦	- حكم التشكُّر في ذات الله

الصفحة	الموضوع/رأس المسألة
٩	- يَقْتَرِ الْمُنْكَرُونَ بِهَايَةِ، وَلَا يَنْكَرُونَ فِي حَاوِيَةِ ثَابِتٍ
	الرخصة
٢٥٧	- فَتَنَهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا
	الردة
١٨١	- حُرْمَةُ الدِّينِ
١٨٢	- شُبُهَاتٌ فِي حُرْمَةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ
١٨١	- مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ، فَلَا يَنْتَقِ الْخُرُوجَ مِنْهُ بِحَالٍ
	السببية
١٧٣	- الْحَتْمَةُ الشَّيْئَةُ
	السلف
٦١	- احْتِذَاؤُهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
٢٦٩	- حَقِيقَتُهُمْ
١٠٠	- رَوَايَةُ الْأَمَةِ لِأَحَادِيثِ الشُّفَاتِ، وَاحْتِرَازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِهَا
٢٧٠	- سَبَبُ تَفْضِيلِهِمْ
٢٦٩	- فَضْلُ الشُّلْبِ وَاجْتِبَاهِهِمْ
٢٦٩	- نِسْبَةُ هَذَا الرَّصَبِ بِالشَّقِيقَةِ
	السمع والطاعة
٢٦٤	- الْخَطَأُ فِي تَصْوِيفِهَا
	السميات
٢٣٧	- أَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ فِي الْقَابِئَةِ
٢٣٥	- أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِ وَأَسْرَافِهَا
	- أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّعَاةِ بَاقِيَةٌ قَائِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُنْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشُّكَاةِ مُعْلَبَةٌ
١٢	إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
١٩١	- أَشْرَاطُ السَّاعَةِ
٢٤١	- الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي إثْبَاتِ شَعَةِ الْقَبْرِ
٢٤٣	- الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- الإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَكُنْ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ	٢٤١
- الْإِيمَانُ بِخُضُوعِي رَسُولِ اللَّهِ	١٢
- الْجَنَّةُ وَالنَّارُ خَلْقُكَ، أَجَلْتُ الْجَنَّةَ وَلِنَفْسِي، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ	٢٠٤
- الْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَا تَغْلِبَانِ وَلَا يُبَدِّلَانِ	٢٠٤
- الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلَيْسَ أَسْلَعُهَا اللَّهُ	٢٠٣
- الْحِسَابُ وَالْعُقَابُ	١٩٢
- الْخَوْضُ الْمُرُورُ	٢١٤
- الْخَوْضُ لَا يَغْتَنِي مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَلَمَّا دَعَا مَنْ يَبْكُ وَيَقْتَرِ	١٢
- الشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ جَدَّ دِيْنِهِمْ يُرْزَقُونَ	١٢
- الصِّرَاطُ عَرَبٌ، يَكُونُ الْوَيْلُ الْوَيْلُ أَهْلَهُمْ	١١
- الصِّرَاطُ وَأَحْوَالُ النَّاسِ فِيهِ	٢١٢
- الْعِلَابُ وَالنَّعْمُ فِي الْمَرْحُومِ يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْيَدَيْنِ جَمِيعًا	٢٣٨
- الْقَبْرُ وَفَتْنُهُ	٢٣٨
- الْمَلَكُ الْمُرْكَلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ تَلْقَئِهَا، غَيْرُ الْمَلَكِ الْمُرْكَلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ تَلْقَئِهَا	٢٤٤
- الْبَيِّزَانُ عَرَبٌ	٢٠٩
- الْبَيِّزَانُ وَالزُّرْنُ	٢٠٩
- الْبَيِّزَانُ وَزُرْنُ الْأَعْمَالِ	٢٠٩
- النَّفْخُ فِي الصُّورِ	١٨٩
- بِمَنْ الْأَجْسَادُ وَجَرَأُهَا	١٩٠
- نَبْذًا حَيَاةَ التَّرْخِيقِ بَيْنَ مَخْرُوجِ الرُّوحِ وَمَفَارِقَةِ الدُّنْيَا بِالنَّفْسِ	٢٣٩
- تَكَلُّبُ الْمَلَائِكَةِ مَا يَمْنَعُ الْوَيْلُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ	٢١١
- تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ فِي حَيَاةِ التَّرْخِيقِ وَفَتْنَةِ الْقَبْرِ وَحِلَابِهِ	٢٣٩
- تَوْضِيعُ التَّوَلِّدِ نَوْمَ الْقِيَامَةِ يُؤْزِنُ أَحْصَاءَ الْوَيْلِ	١١
- جَسَدُ اللَّهِ الْكَافِرِينَ بِهِ مُتَشَابِهِينَ عَرَبٌ ذَلِكَ	١١
- جَنَّةُ الْآخِرَةِ مِنَ النَّارِ أَعْبَدَ اللَّهُ بِهَا أَدَمَ نَبِيَّ وَخَلِيقَتَهُ إِلَى أَرْجَاءِ	٢٠٣، ١١
- حَقِيقَةُ فَتْنَةِ الْقَبْرِ وَحِلَابِهِ	٢٣٩
- خَلْقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ	٢٠٤

المصاحفة

الموضوع / رأس المسألة

- ١١ - خلق الله الجنة فأدخلها قار خلقه لأزواجه
 ٢٠٤ - خلق الله النار فأدخلها قار خلقه لمن كفر به
 ١١ - خلق الله النار فأدخلها قار خلقه لمن كفر به
 ٢٠٥ - خلقه الجنة والنار
 ٢١١ - صحائف الأعمال، وكيفيته استلواها يوم القيامة
 ٢٤٠ - عذاب القبر حلٌ، ثبت فيه الدليل من وجوه كثيرة
 ١٢ - على الأبياء حفظه يكثر أفعالهم، ولا ينطق شيء من ذلك عن علم ربهم
 ٢٤١ - كتابة الأعمال على المكلفين
 ٢١٢ - كيف يؤتى كتابة؟
 ٢١٤ - لا يجوز إنكار الضوابط بمجرد النقل
 ٢٣٥ - للأرواح سفرٌ غير الأبدان بعد موتها
 ٢٣٦ - فسفرٌ أرواح الشهداء
 ١٢ - تلك المذنبات بعض الأرواح يفتن ربو
 ١١ - من عاقبة الله بكرة، أخرجه منها يومئذ، فأدخله يومئذ
 ٢٤٤ - خلق الروح
 ١٩٠ - وأعطيت في القصاص
 ٢٣٩ - حبس الإيمان بحياة البرزخ
 ١١ - نجيء الله يوم القيامة لغرضي الأسم وجنابها
 ١١ - يخرج من النار بشفاعة النبي، من خلق له من أهل الكتاب من أئمة
 ١٢ - يفتن الشيطان في ثوبهم ويشتلون
 ٢٤٥ - يكون لبعض الأرواح بعلم الله وحده، لا يستطيعون ساعة ولا يتأخرون
 ١١ - يلقى الجناد صخايفهم بأفعالهم
 ٢١٢ - يؤتى الكافر كتابة يشالو من وراء ظهوره
 ٢١١ - يؤتى المؤمن كتابة يسير إمرأته وبشارته له

الشفاعة

- ١٩٦ - إثباتها أحكامها
 ١٩٦ - الشفاعة حق لا ينكر أصلها مسلم

الصفحة	الموضوع أو رأس المسألة
١٩٧	- العناية منها
١٩٧	- أنواعها
١٩٨	- شروطها
	- الصحابة
٢٧٢	- الاستدلال بحديث يخالف الصحابة
٢٥٦	- الإساءة عنها وقع بينهم
٢٥١	- التفاضل بين الصحابة
٢٥٢	- التوسع في التفضيل بين الصحابة
٢٥١	- المفاضلة بينهم
٢٤٨	- الوقوع فيهم
٢٥٦	- امتحان أهل المغرب بهم
٢٧١	- تعظيم فقه الصحابة
٢٥٤	- حكم ما سخر بينهم
٢٥٣	- ظهور الظن في الصحابة في المغرب
٢٥٤	- لا يحدث بما وقع بين الصحابة من خلافه ونزاع
١٣١	- موقفتهم من قضية الأسماء والصفات
	الصحابة الكرام
٢٤٧	- فضلهم، وتفاضلهم
	الصراف
٢١٢	- حقيقته
٢١٤	- لا يجوز إنكاره بمجرد العقل
	الصفات
٩٢	- الحق نفي تشبيه الصفات، لا نفي حقيقتها
	الصفات الإلهية
١٣٥	- الإقرار بالبات الصفة يُطلَق القويض
١٣٣	- حقيقتها

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
٩٣	- لازم نفي الصفات التعطيل
	الصفات الخيرية
٢٠٦	- الإتيان والمجيء بين الصفات التعليلية والخيرية
	الصفات القلبية
١٢٩	- أدلة إثباتها
	الصلوات
٧٩	- سبب تخصيصها بأمر الصلوة بها
	الصلوة على النبي
٨٤	- حكم الصلوة على غير النبي
٢٨٢	- ختم الكلام بها
٨١	- فعلها
٨٣	- ما يُجزئ منها
٨١	- مشروعيتها في المصطف
٨٢	- موانعها
٨٢	- هي من أعظم أسباب مكفرات الذنوب
	العلم بالجهل
٧٦	- مجرّد الجهل مع إمكان رفقه لا يقوم علماً
	العرش
٩	- الله على العرش استوى، وعلى الملائكة استوى
١٢٢	- ما تُطيلُه العرب عليه
	العقل والنقل
٥٣	- العلاقة بينهما
	العلم
٧٣	- الغاية من العلم: العمل بالمأمور وترك المحذور
٧٦	- تعليم الأولاد الحق والخير واجب

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
١٩	- فضل العلم وأفعاله
	العلم الإلهي
١٢٠	- إعطاء علم الله بكل شيء
١٦٦	- علم الله بكل شيء
١٠	- علم كل شيء كل شيء، فتجربى على قدرة
١٠	- لا يكون بين جنانة قول ولا عقل إلا سبق علمه به
	العلم
٩	- الله فؤاد عزيمو المجيد وثابتة، وفؤاد في كل مكان يوليه
	الفن وأثره الساحة
٢٢٢	- الموقف عند اجتماع الضلالت
	الفضائل
٢٥٢	- التوسع في الفضيل بين الصحابة
٢٥٣	- المفاضلة بين حسان وعلي
٢٥٣	- ترتيب الحلقاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة
٢٤٧	- فضل الصحابة، وثقتهم
٢٤٥	- فضل خير القرون
	الفكر الأعزلي
٥٢	- جذوة الفكر قبل نشأته
٣٥	- رواجه في بلاد المغرب العربي
	الفكر الاعزالي
٦٧	- انتشاره في كثير من أهل العربية
	الفلسفة
٦٠	- كلما تعمقوا في الفلسفة، ازدادوا حزناً وخيرة
	الفلسفة
٦٠	- بدأ الداعن فيها بشوة، ثم يحيى بخيرة

المصنف

الموضوع / رأس المسألة

القرآن الكريم

- ٦٥ - العمل في القرآن على الأتية في الآخر، والاصح في الرواية
- ١٥٥ - القرآن كلام الله غير مخلوق
- ١٠ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق قبيح، ولا يملأ لمخلوق فيلذ
- ٦٥ - أمية القرآن لا تشمل في القرآن على الأتية في الآخر، والاصح في الرواية
- ٢٧٩ - حسن التصديق وشوقه، وأثره على فهم القرآن
- ١٨٩ - مصدر تفسيره
- القضاء والقدر
- ٢٦٨ - ابتلاء المصلح
- ١٥٦ - أدلة إثباته من الكتاب والسنة
- ١٦٢ - أعمال الجنان وحققها
- ١٦٨ - الأمر بالإسالة عما سكت عنه الشرع في القبر
- ١٥٦ - الإيمان بالقدر
- ١٠ - الإيمان بالقدر خيره وشره، مخلوق وقدره، وكل ذلك قد خلقه الله ربنا
- ١٦١ - الجنان فيه
- ١٦٥ - العلم بالأسباب لا يخرج صاحبه من فقه الله
- ١٥٧ - الفطرة فاضلة بالإيمان به
- ١٥٩ - الله لا يفتن لعباده شرًا محضًا
- ١٦٨ - المشايق في القدر
- ١٦٣ - أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النفوس الظلم
- ٢٦٨ - تبرئة المصلح
- ١٥٨ - تقدير الخير والشر
- ٢٤١ - كتاب الأعمال على المكلفين
- ١٠ - كل منتهى بتوجيه، إلى ما سبق من جلوه وقدره، من خلق أو سجد
- ١٥٩ - لا يخلق الله شرًا محضًا، ولا راجعًا ولا مساويًا
- ١٠ - لا يكون من جناب قول ولا عمل إلا وقد قصد
- ١٦٠ - لا ينسب الشر إلى الله

الصفحة	الموضوع / رأس المسألة
١٠	- تفويض الأمور بغيره، وتخصيصها عن لخاصة
١٧٤	- نفى القدر بلام منه المعجز
١٠	- يُعَيَّنُ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْلُقُهُ بِمِثْلِهِ
١٠	- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُرِثُهُ بِطَبِئِهِ
	الكتب السماوية
١٨٥	- الإيمان بها من أركان الإيمان
١٨٥	- الكتب ثلثها تدعو إلى أصل التوحيد
١٨٥	- المكتوب براحم منها مكتوب بها جميعها
	الكرسي
١١٨	- إثباته، ووروده الأول به
١١٩	- الكرسي موضع الملقني على ما يليق بالله
	الكتب
١٧٢	- القائلون به
	الكفر بالله
١٧٩	- أسبابه
	الكلام النفسي
١٤١	- أصله بقدر القول به
١٤١	- الضرر بين وبين الكلام اللطيف لا يُعَرَّفُ قَبْلَ ابْنِ ثَلَاثٍ
	المالكية
١٣٨	- ثباتهم في فتنة علي التراقي في المدينة وإفريقية
	المتكلمون
٤٢	- الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف
٦٦	- تدرؤهم بقواعد اللغو لتأيد بدعهم الكلامية
٦٤	- خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
٥٣	- ضعف إمامهم بالحديث والأثر

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
المحيي	
- إثباته هو تعالى	٢٠٦
- إثبات المحيي هو يوم القيامة	٢٠٧
- تقرير ما روي عن الإمام أحمد من تأويله	٢٠٧
- حكاية الإجماع على إثباته	٢٠٧
الملعب المالكي	
- أصحاب مائل بين المغاربة في حياته	٤٠
- أصوله وقروعه	٤٠
- شيوخه وانتشاره في بلاد المغرب	٤٠
المرجئة	
- الموازنة بينهم وبين الخوارج	٢٢٣
- ملوكهم في باب الإيمان	٢١٦
- مراتبهم في باب الإيمان	٢١٦
المشقة الإلهية	
- مشقة الله وقسوته على خلق أعمال العباد	١٦٧
المعتزلة	
- مقالاتهم في صاحب الكبرية	١٩٦
المعطلة	
- من شبهائهم	١٣٧
المنهج القديم	
- اتباع السلب الصالح، وإيجاد القاربه، والاستيفاد لقوم	١٣
- ترك البراء والجدال في الدين، وترك ما أحققت التخليقون	١٣
- حفظ العقول والنقل	٢٠
- فصل كُتب الزمان والمكان الأولي	٢١
النبرات	
- الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم في الإيمان المستحب	٢٢٦

الصفحة	الموضوع / الراس المسألة
١٧٧	- الإيمان بجميع الرسل واجب
١٧٦	- الغاية من إرسال الرسل
١٧٧	- الكافر بواحد من الرسل كافر بجميع الرسل
١٧٨	- أوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمّد
١٧٧	- نتائج الرسل
١٧٧	- يخاتم رسالة النبي، وختموها
١٠	- ختم الله الرسالة والنبوة بالخير
١٨٠	- ختم النبوة بيعة شعب
١٧٦	- رسالة النبي، وكتابه
١٧٩	- شريعة الإسلام تأسس على الشرائع قبلها
١٧٧	- عموم رسالة النبي لجميع الأمم
١٨٧	- يجب الإيمان بكل ما جاء الرسول
	القول
١٥٣	- إثباته تعالى
	الواقعة
١٤٨	- حقيقة قولهم
١٤٨	- سبب تشديد الأمانة على الواقعة
	اليوم الآخر
٢٣٥	- أرواح النور وأحوالها
١٩١	- أشرار الساعة
٢٤٣	- الأرواح والموت
١٨٨	- الإيمان بالبعث بعد الموت بين أركان الإيمان
١٨٨	- الإيمان بالقيامة وما فيها
١٩٢	- الحساب والعقاب
١٠	- الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يشاء، فنحن بانتظارهم
١٩١	- تنزيل أشرار الساعة على الواقع

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- وَكُرُّهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ	١٨٨
أما بعد	
- استعمالها في الكلام	٧٤
أهل الحديث	
- الحديثُ والكلام، وأثرهما في الخلاف	٤٢
أهل السنة والجماعة	
- إجماعُهم على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة	٤٦
- الفرق بينهم وبين المرجئة	٢٦٢
- شجرتُ احتيادهم في الله تعالى	٨٥
- من كانَ على طريقتهم من علماء اللغز	٦٧
أهل المغرب	
- إثباتُ عقائدهم على شواهد قويمهم	٤٤ ، ٤٥
- أنزاعُ الاعتزال في قبول المغاربة علمَ الكلام الأشعريّ	٣٧
- أصولُ مالكٍ وفروعه، وأحوالُ أصحابه في المغرب	٤٠
- اعتقاد أهل المغرب	٢٦
- التزامُهم مذَهَبَ مالكٍ	٤٠
- امتحانُهم بفتنِ عليّ القرآن	٤٣
- إنكارُهم إخراجَ العملي من الإيمان	٢١٧
- إنكارُهم مقالةَ الإرجاء	٢٣٢
- أهلُ المغرب أهلُ سُنَّةٍ وأثر	٢٦
- بدايةُ تصنيفهم في الردِّ على أهل البدع	٤٥
- بدايةُ ردِّ المغاربة على المشاركة في الفروع لا في الأصول	٢٩
- ثباتُ أهل المغرب، وامتناعُهم بعلمِ الكلام	٤٣
- كانوا يسمون القائلين بخلق القرآن: أهل العراق	١٤٠
- لم يأخذ أحدٌ من أعيان التنافرية المحتبرين عن أبي الحسن الأشعريّ	٣٣
- ما قرؤوا به من فتن	٤٦

الصفحة	الموضوع / الركن الصلة
٣٥	- مذهب متقدمي العقيدة في الأسماء والصفات
١٣٥	- مصغراتهم في إثبات حقيق الصفات
٢٠٢	- مصغراتهم في الرد على شكري رؤية الله
٢١٨	- تذكهم مقالة الكواجر
٣٩	- نشأة التصنيف الكلامي فيها
	أولياء الأمور
٢٥٨	- طاعتهم في المعروف
	آيات الله في الآفاق
٧٢	- الأمر بعبادة الله والتفكير وتبليغ آيات الله
٩١	- التفكير في الملكوت موجب لسؤال النجاة من العذاب
٩٠	- معرفة الله بآياته الكونية
	أئمة المسلمين
٢٥٩	- الخروج على الأئمة وأحواله
٢٦٤	- الخطأ في تصور الشيع والطاعة
٢٨٨	- الطاعة لأئمة المسلمين في المعروف
٢٦٢	- يجوزهم وظلمهم والخطأ لهم
	بلاد المغرب
٢٤	- هي موضع الفلاسفة في الإسلام
	بلاد المغرب
٢٥	- أثر الفسوف على المغرب
٣٣	- أسباب انتشار علم الكلام فيها
٣١	- أسباب تأخر ظهور علم الكلام في المغرب
٣٤	- أكثر المتكلمين أثرًا في المغرب
٢٢	- المغرب في زمن الصحابة والتابعين
٥٠	- انتشار الفكر الأشعري فيها على يد ابن تومرت
٣٦	- انتقال بعض أهل الفلسفة والكلام من المشرق إلى المغرب

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- انتقال كتب المشايخ إلى المغرب مع الرُّسل والشُّيوخ	٣٦
- انحصار الفلسفة وعلوم الأوائل فيها	٢٤
- أول ظهور الفكر الاعتزالي فيها، وطبقات المتبعين إليه	٢٧
- أول ظهور الفلسفة المشائية فيها	٣٢
- أثرُ المغرب الذين كانوا على طريقة الشُّك في	١٦
- بداية الخوض في الكلام والفلسفة عند المغاربة وأسباب انتشارها فيها	٣٢
- دخول الإسلام فيها	٢٢
- دواج الفكر الأشعري فيها	٣٥
- شُروع مقاليد التَّوفيق فيها	٩٩
- ظهور الطعن في الصحابة في المغرب	٢٥٣
- ظهور القول بكُلِّي القرآن فيها	١٤٠
- لم يكن فيها حتى المذَّهَبُ الخامسُ أشعريٌّ على طريقة المتأخرين	٥٠
- من حَذَلُ المَذْهَبُ الاعتزالي إليها	٢٨
- من دخلها من الصحابة والتابعين	٢٢
- وجوب الاعتزال فيها، وموقف العلماء منه	٢٧
تأويل الصفات	
- ما يُحْتَمَلُ من محذور	١٢٤
إبطال الصفات	
- سببه	١٢٤
جلال الدين الدواني	
- الحوادث عندَ لا أَوَّلَ لها	٤٣
- الصفاتُ عندَ غيرِ الداني	٤٣
- مخالفتُه بعضَ أصولِ المذهبِ الأشعريِّ	٤٣، ٤٢
- يقولُ بتَمَيُّنِ الصفاتِ	٤٣
- حقُّ الله	
- كَرَرُ معرفته	٢٧٦

خلق القرآن

- ١٤٠ - أصل القول به مأخوذة من قول اليهود في التوراة
- ١٤١ - أصل خلق القول به
- ١٣٨ - القول به بذهاب، لم يثبت بها إمام متبع
- ١٤٨ - الواقعة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم
- ١٤٠ - ذكر الله القرآن أربعة وعشرين مرة دون إشارته واحداً إلى خلقه
- ١٣٨ - شدته مالك وأصحابه على الفاطميين به
- ١٤٠ - ظهور القول به في المغرب
- ١٤٩ - من أدلة الفاطميين بخلق القرآن

ذكر الله

- ٦٩ - القرآن المستعمل بالشهادة في الخطب
- ٦٩ - الإجماع به قبل الشروع في المقامات المهمة
- ٧١ - التفرقة بين الخطب والمكاتبات فيما تستفتح به
- ٧١ - تواضع البداهة بالتسليم
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني
- ٧٤ - سبب تأليفها
- ٦٩ - شرح مقدماتها

صاحب الكبيرة

- ٢١٢ - كيف يؤتى كتابها؟

صفة التجلي

- ١٥٢ - إثباتها أو نفيها
- ١٥٢ - التجلي صفة لعلية خيرية

صفة الرواية

- ١١ - إثبات رواية المؤمنين رؤسهم في جنات النعيم
- ٢٠٠ - أدلة إثباتها
- ٢٠٠ - استغاثت النصوص على إثباتها

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- التفرقة بين الرقبة والإندراك	٢٠١
- جعل الله الكافرين به شخصيتين عن ردة	١١
- ردة الله في الآخرة	١٩٩
- مواضع ذكر لقاء الله يوم القيامة في القرآن	٢٠٠
صفة العلو	
- العلو والنية	١٠٧
- حكاية الإجماع على إثباتها	١٠٧
علو الله	١٠٥
- كثرة الأدلة على إثباتها	١٠٥
- من شبهات بعض من عطلها	١٠٩
صفة القدم	
- أدلة إثباتها	١٣١
صفة الكلام	
- إثباتها	١٣٧
- الله متكلم متى شاء بما شاء	١٣٧
- سبب تشديد الأئمة على الواقعة	١٤٨
- كلامه تعالى بائن بين خلقه	١٣٧
- من حكيح لقاء الصوت والحرف	١٤٤
- نشأة الكلام على مسائل الحرف والصوت	١٤٣
عذاب القبر	
- يورثه وأدلة	٢٤٠
علم الكلام	
- أثر الاسترسال فيه	٥٩
- أسباب انتشاره في بلاد المغرب	٣٣
- التعرف على الله به يورث الوحشة	٦٠
- الرأي وجلم الكلام	٥٤

- ٦٢ - المبدأ وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
- ٤٩ - انتشار الكلام في متأخري المالكية أكثر
- ٢٥ - سيأتي نشأته ونهايته
- ٢٦ - طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالشرح، وإن اختلفت أمثاله
- ٢٥ - فلسفة اليونان وأثرها على المتكلمين
- ٢٥ - مقالات المتكلمين مبنيّة على مقدمات مأخوذة من اليونان والشراف
- ٢٤ - مناطق انتشاره وانحصاره
- ٥٣ - موقف الإمام مالك بن أنس منه
- ٥٥ - نهى الإمام مالك عنه، ومرافقة منه
- ٦٠ - يذم الداعل فيه بشبهة، ثم يتمي بخبره
- عمل أهل المدينة
- ٢٧٣ - حقيقة العمل الذي يفتى على الحديث
- فخر الدين الرزلي
- ٤٣ - الصفات حادثة بسبب وإضافات بين الذات، وبين المعلوم والمفرد والمراد
- ٤٢ - مخالفة بعض أصول الملعب الأشعري
- توابع الحجاج
- ٣٧ - مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب والأقرب معه
- كلام الله
- ٦٠ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق قبيح، ولا صفة لمخلوق فيلقد
- ملعب الأشعر
- ٤٢ - تشبيههم في الخلاف في العقائد
- ٤٢ - مخالفة بعض أصول الملعب
- ٤٢ - مخالفتهم بتركهم بين التكفير والابتعاد والإثم
- نفي الصفات
- ١١١ - نفي بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالمخالق

٨ - فهرس المذاهب والأقوال

الصفحة

المذهب / القول

- ٢٢٩ إبراهيم بن خالد بن أبي اليعنان الكلبي، أبو ثور الإمام الشافعي
- يفرقون بين الشرك الكُلِّي للمعالي وبين الشرك الجزئي
- ٢٤٥ إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأحمري
- يمتلك الموت أحوالاً من الملائكة، يَكُونُونَ عن أمرو
- ابن أبي زيد القيرواني
- ٢٦٩ - أثنى الشَّيْبُ الصَّالِح، وَالْجَدُّ الْقَارِعُ، وَالْإِسْتِغْفَارُ لَهُمْ
- ٢٣٨ - أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي سَجِينٍ
- ٢٣٥ - أَرْوَاحُ الْفِرِّ السَّافِرَةِ بَاقِيَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى يَوْمِ يَحْشُرُونَ
- ٢٣٥ - أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَلَّقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
- ١٤٢ - أَسْتَحِبُّ اللَّهُ مُوسَى ثَلَاثَةً: فَطَوَّعَ بِلَاكَيْهِ، لَا خَلَاةَ لَهُمْ بِمَنْزِلِهِ
- ١٥٦ - الْإِيمَانُ بِالْغَدُوِّ خَيْرٌ وَشَرٌّ، خُلُوفٌ وَمُرَّةٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ فَتَرَهُ اللَّهُ وَرَبُّهُ
- ٢١٤ - الْإِيمَانُ بِمَوْحِي رَسُولِ اللَّهِ، تَرْقَةُ أُمَّتِهِ، لَا يَلْتَمِزُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ
- ٢١٥ - الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللَّسَانِ، وَقَلْبٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَعْمَالِ
- ٢٧٥ - الْمُسْلِمُ لِمَنْ لَا تَمَازُجَ بَرَّاءِي، وَلَا تَفَاقُحَ بَهَائِي
- ٢٣٥ - الْمُهَنْدِسُ أَحْيَاءٌ بِنَدِّ رَتِيمٍ قَرَّوُونَ
- ٢١٢ - الْمُرَاغَةُ عَمَلٌ، يَجُوزُهُ الْبَيِّنَاتُ وَيُلْغُو أَعْيَالُهُمْ
- ٢٥٨ - الْمُطَاعَةُ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ وِلَاةِ أَسْرَابِهِمْ، وَغُلَّتَانِهِمْ
- ١٥٥ - الْقُرْآنُ قَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمُخَلَّقٍ قَبِيضٍ، وَلَا بِمَعْلُومٍ بِمُخَلَّقِي تَقْدِيرِهِ
- ١٧٤ - تَعْلَى أَنْ يَكُونَ لِحَالٍ يَشْرِي إِلَّا حُرٌّ، وَثُ الْبَيِّنَاتُ وَوُثُ أَعْيَالُهُمْ
- ١٧٤ - تَعْلَى أَنْ يَكُونَ فِي مَلِكِهِ عَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَعْدَائِهِ عَقْدٌ يَنْصُرُ
- ٢٠٩ - تَوْضِيعُ التَّوَانِينِ لِيَوْمِهِ أَعْمَالِي الْبَيِّنَاتِ

- ١٦٨ - خَدَنَ اللَّهُ عَنْ عَصَاءٍ وَخَفَرٍ بِهِ، فَاسْلَمَتْ وَبَشَرَتْ بِذَلِكَ فَصَبَتْ وَاضْلَةً
١٦٦ - عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ تَوَلُّدِهِ، فَخَرَجَ عَلَى قَدَرِهِ
٢٤٧ - كُلُّ مَنْ صَبَتْ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ وَكَلَتْ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الثَّابِتِينَ
٢٦١ - كُلُّ مَنْ وَلَّى أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ حِلٍّ، فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ
١٦٧ - كُلُّ مَيْمَنٍ وَتَسْوِيمٍ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ جُلُوبٍ وَتَقَرُّبٍ، مِنْ شَيْءٍ أَوْ سَبِيحٍ
١٦٨ - كُلُّ يَتِيمٍ إِلَى سَابِقٍ وَلِيٍّ، لَا تَجِيئُ لِأَخِيهِ عَنْهُ
١٣٧ - كُلُّهُمُ مُوسَى بِكَلَابِدٍ الْيَدِ لَمْ يَمُتْ كَابِدٌ، لَا لَخْلُفٍ مِنْ خَلْفِهِ
٢٣٣ - لَا يَخْفَرُ أَحَدٌ يَطْلُبُ مِنَ أَهْلِ الْيَقَاتِ
١٦٦ - لَا يَكُونُ مِنْ بَيَادِهِ نَوَالٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ كَفَّاهُ، وَسَبَقَ يَلَنَّهُ بِهِ
١٥٦ - تَلَاوِيهِ الْأُمُورِ يَكِيدُ، وَتَضَلُّوْهَا عَنْ قَضَائِهِ
٢٥٠ - وَالْأَفْضَلُ الْمُصْحَفِيُّ: الْخُلُقَاءُ الْإِسْمَاعِيلِيُّونَ الْمُتَهَيِّبُونَ
٢٥٤ - وَالْأَلَا يُلَاحِظُ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَعْيُنٍ دَهْرٍ
٢٤٠ - يُحْلِقُ النَّاسَ وَيَكُونُ، وَكَثَبَ اللَّهُ مَنَاجِلَ مَنْ أَحَبَّ تَلِيَّةً
١٦٧ - يُحِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُحِلُّهُ بِعِلَّةٍ، وَيَنْهَى مَنْ يَشَاءُ فَيُرَفِّقُهُ بِفَضْلِهِ
٢٣٨ - يُقَرِّبُ الْمُلُوكَ فِي مُبَارَاهِمٍ وَيَسْأَلُونَ

ابن أبي القبرواتي

- ٢٤١ - عَلَى الْوَبَادِ عِلْقَةً يَتَخَبَّرُونَ أَغْصَانَهُمْ، وَلَا يَنْتَلِظُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ جِلْمٍ وَتَهْمٍ

ابن حزم المالكى النوسى

- ١٠٨ - اللَّهُ مَسْبُوعٌ عَلَى عَرِيضِهِ، بَاقٍ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِجَلْبِهِ

ابن قزوح القاضي القيروانى

- ٢٦٠ - اسْتَهْلَكُوا أَنَّى رَجَعْتَ عَمَّا كُنْتَ أَقُولُ بِهِ مِنْ الْخُرُوجِ عَلَى أَتَى الْخُرُوجِ

- ٢٦٠ - رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى التَّحْقِيقِ

أبو الحسن السبكي

- ١٥٣ - فِي التَّوَلَّى مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

أبو العباس الفلاسى

- ١٤٤ - تَأَلَّغَ فِي إِبَابِ الْحَرْفِ وَالصُّوَرِ

المذاهب / الأقوال	الصفحة
أبو العباس بن طالب	
- إثبات رؤية الله في الآخرة	٢٠٠
أبو القاسم المغربي	
- الله مستقر على عرشه، بائن بين خلقه، قريب لهم بجلوه	١٠٨
أبو المطرف المناذمي القرطبي	
- الله مستقر على عرشه، بائن بين خلقه، قريب لهم بجلوه	١٠٨
أبو عبد الله الصالح	
- نازح في إثبات الحروف والصوت	١٤٤
أحمد بن أبي بكر، أبو مصعب	
- الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر	٢٦٦
أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي	
- حيز عن الاستواء بالجلوس	١٢٤
أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي	
- إثبات أعمال الله الاختيارية على وجوب الحقيقة	٢٠٧
- الإيمان بالويزان من أصول السنن	٢٠٩
- التفرقة بين قتال الخوارج لإمام تجزئ وبين قتالهم لإمام غلظ	٢٢٢
- القرآن عرج من الله	١٥٥
- الله بذاته فوق العرش، ومجلته في كل مكان	١١٣
- الله يتكلم بصوت	١٤٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يخطب ويرأس ويتكلم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
- النبي من علم الكلام عمومًا بلا استثناء	٥٨
- إن الله تكلم بالصوت والغزل	١٤٤
- بل تكلم بصوت؛ هذه الأحاديث تروى كما جاءت	١٤٤
- توقف في تكفير الخوارج	٢١٩

- ٢٠٥ - جزم بكفر منكر علي الجبوت والكفر
- ١٢٤ - غير عن الاستواء بالجلوس
- ١٣٦ - قول التابعي لهن شجة مقطوعة في الفروع والأصول
- ٢٥٥ - كان يعزل مجلس عبد الرزاق إذا حدث بأحاديث الخلاف بين الصحابة،،
- ٢٠٦ - كفر من قال بفناء الجبوت خاصة
- ١٥٦ - كلام الله منه، وليس بماقي منه، وليس منه شيء مخلوق
- ٢٥٥ - لا أجب لأحد أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبي
- ٢٣٠ - لا يكفر من يجفل الإيمان قولاً واعتقاداً بلا عمل
- ١٤٨ - لا يكون من أهل السنة، ولا كرامة (الواقعة)
- ٢٣٦ - مسخر أرواح المؤمنين بعد الموت في الجبوت
- ٢٣٠ - من ترك المعتدل ثمة حتى يموت كافراً في رواية
- ١٤٤ - في الصور والحرف هو قول الجبهة
- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلي للعسل وبين الترك الجزئي
- أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر الطلمنكي
- ٤٧ - إثبات الجنب هو
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس نعلب
- ٦٥ - السنة تنفي عن التثنية، والثقة لا تنفي عن السنة
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راهويه
- ١١٣ - الله يداي فوق العرش، وجلته في كل مكان
- ١١٣ - الله يري يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يفضي ويغشي ويكلم بما شاء
- ١١٣ - الله يترى إلى سماء الدنيا
- ١٤٨ - الواقعة شر عني من يقول: القرآن مخلوق؛ لأنه يقتضي به غيره
- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلي للعسل وبين الترك الجزئي
- أفلاطون
- ١٥٩ - الشر من الجبل

المصاحف

المصاحف / الأقوال

الأشعار

- أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله ولتترو وحشة، لا باختيار العبد ولا لتترو ١٧٢

الجهنم بن صفوان بن محرز السمرقندي، رأس الجهمية

- أفعال الله لها آية، ومنها الجنة والنار ٢٠٥

- الجنة والنار فكيف ٢٠٥

الجهمية

- أظهروا أسماء الله مخلوقة ١٣٣

- نفي الأسماء المحسوسة ١٣٣

الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري

- الكرسي هو القوس ١٢٠

- عثر عن الاستواء بالجلوس ١٢٤

- ميزان الأعمال له لسان ٢١١

الخليل بن أحمد بن عمرو بن نعيم، أبو عبد الرحمن الفراءدي

- تفسير الاستواء بالاستيلاء لا لمعرفة العرب في كلامها ١٢٧

الغولج

- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ٢٣٤

- حكم تكفيرهم ٢١٨

- سلب الإيمان بن صاحب الكبيرة ٢٣٤ ، ١٩٩

- لا شفاعاة لعصاة المسلمين ١٩٩

- لا يدخل النار إلا نفس كافرة ١٩٩

- لا يزود صاحب الكبيرة مؤبدا ١٩٩

- لا يؤمنون في إثرة على المسلمين ٢١٨

الرافضة

- لا يؤمنون في إثرة على المسلمين ٢١٨

السلف

- إتياء الضمة لا يعني تنسيقا، وتقرن الكيف لا يعني تعطيل ٦١

- ١٠٠ - إثبات حقائق الصفات وتعاليلها الصحيحة
- ٩٢ - إثبات حقيقة الصفات، والفرق بين كبريائها
- ١٣٠ - إثبات ما أتته الله لنفسه، وما أتته له نبيه
- ١٢٦ - استواء الله على العرش يليق بجلاله، وتكرره عما يليق بالمخلوق
- ٢٠٥ - الجنة والنار لا تلتقيان
- ٢١٢ - الصراط على
- ١٣٨ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق
- ١١٢ - الله سبحانه بليته فوق العرش، وأن يلقنه في كل مكان
- ٦١ - الثمن من الجلال في الله وصفاته وأسمائه
- ٢٢٧ - صفة الاستواء في الإيمان
- ١٢٢ - نزهة كبرية الاستواء
- ٦٣ - كانوا يرفعون فهم مسائل الثمن إلى ما تواضع عليه أهل الصدر الأول
- ١٥٥ - كلام الله هو هذا الخارج من السموات والمفرد، والمكتوب والمحفوظ
- ١٣٤ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات الثنية
- ١٢٢ - لم يكن أحد منهم أن الله استوى على عرشه حقيقة
- ٢٨١ - نهى عن مخالطة أهل الأهواء وشجائهم
- ٧١ - يندلون كتبتهم بالسلمة قبل الشروع في المقصود
- ٦١ - يثبتون الحقيقة للمنفعة اللاحقة بالله
- ١٣٠ - يثبتون في الأسماء والصفات كما أتته الله لنفسه
- ١٥٢ - يزلون ركباً ويكملون وجهه بلا كبر
- الصحابة
- ١٥٥ - القرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود
- ١٥٥ - الله الخالق، وما سواه مخلوق
- ١٣٠ - ليست العاقل من موارد النزاع
- الضمك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني
- ١٢٠ - الكرمي هو التزم
- التفصيل بن عباس بن مسعود، أبو علي الزاهد الخراساني

المصنف/القول	الصفحة
- الله بلذاته فوق العرش، وجلسه في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
- لا يكفر أحدًا بذهب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة	٢٣٤
المفلاحة	
- تقوا العُلُو	١٠٧
المقام بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبد القاسم	
- لا نجد بدا من اتباع أهل الحديث من أجل السماع	٦٥
المعانيون	
- إنكار الخوض	٢١٥
- إنكار ضيق القبر	٢٤١
- المالكية	
- القرآن كلام الله، ليس بمخلوق	١٣٨
- أهل الأهواء هم أهل الكلام	٥٥
المتكلمون	
- تقوا العُلُو	١٠٧
- يتأولون القول والمجبة وغيرهما	١٥٤
- يقدمون بين الطوائف ما يوافق أصولهم الكلامية	٦٤
المرجئة	
- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ	٢٣٤
- لا تُفسر النبوة مع التوحيد	٢٣١
- لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه	١٩٦
- لا يدخل النار إلا نفس كاذبة	١٩٩
- لا يدخلون النار بالمعاصي أصلاً	١٩٩

الصفحة	المصنف / القول
١٩٩	- لا يَرْوُونَ الشفاعة للمعصاة
٢٣٤	- لا يُوَكَّرُ الذَّنْبُ عَلَى الْإِيمَانِ
٢٦٤	- يَوْمَئِذٍ مَنْ كَانَ شَدِيدَ الزَّلَاةِ لِلسُّلْطَانِ
	المعصية
١٣٣	- إثبات الأسماء الحسنَى مجرَّدة عن سماتها
١٣٣	- أَطْهَرُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةً
٢٣٤	- الْإِيمَانُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا يَجْزَأُ
٢١٥	- إِتْكَارُ الْخَوْضِ
٢٣٤ ، ١٩٦	- سَلَبُ الْإِيمَانِ مِنْ صَاحِبِ الْكِبَرَةِ
١٩٩	- لَا شَفَاعَةَ لِعَصَاوِي الْمَسْلُومِينَ
١٩٩	- لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا نَفْسٌ كَاذِبَةٌ
١٩٩	- لَا يَرْوُونَ صَاحِبَ الْكِبَرَةِ مَوْبِقًا
١٢٧	- نَفَرًا الْأَسْرَاعِ، وَفُسْرَةً بِالْإِسْتِغْلَاوِ
	النَّجَاةُ
١٣٧	- إِذَا أَتَى الْقَوْمَ بِالْمَصْغَرِ، لَمْ يُحْتَمَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ
	اليهود
١٤٠	- التَّوْرَةُ مَخْلُوقَةٌ
	أهل الحديث
٢٥٣	- تَرْتِيبُ الْخُطَايَا الرَّائِبِينَ فِي الْفَضْلِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخُلَاقَةِ
	أهل السنة والجماعة
٤٦	- الْإِتْرَافُ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْمُرَكَّبِ وَالشُّكُّ
٢٦٥	- الزَّلَاةُ لِلْإِسْلَامِ تَحْتَ الْوَلَاةِ لَهُ
٢٧٨	- لَا يُقَلِّدُ مَنْ أَكَّاهُ أَجْنِهَاتُهُ إِلَى بِلَاقَةٍ
٢٢٩	- لَا يَكْفُرُونَ أَحَدًا بِرُكٍّ شَيْءٍ مَعَيْنٍ مِنَ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ
١٣٢	- مِنْ أَسْوَاقِ الشُّكِّ التَّمَسُّكُ بِمَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ

المذهب/ القول	الصفحة
- يفرقون بين الترك الكَلْبِي للعَمَل وبين الترك الجَزَائِي	٢٢٩
- يفرقون بين النُّبَيِّ والرَّأْي، ومواهب القطع ومواهب الاجتهاد	٢٢٢
أهل المدينة	
- كانوا يَنْهَوْنَ عن المغوصي في علم الكلام	٥٤
أهل المغرب	
- إثبات العلل على الحقيقة	١٠٨
بشر بن الحارث النحلي	
- تشهد أن الله بقول ويخلق، وقوله قول، وخلقته خلق، ..	١٥٦
بعض الفلاسفة	
- نفى علم الله بالجزيئات	١٦٧ ، ١٦١
بعض المتكلمين	
- نفى علم الله بالجزيئات	١٦٧ ، ١٦١
حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرمانى	
- إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكليف ولا تعطيل	١٥٣
حماد بن زيد بن مريم، أبو إسماعيل الأزرق الجهمي البصري الضرير	
- الله بلائذ فوق العرش، وجلته في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويغضب ويحكم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣
حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري	
- الله بلائذ فوق العرش، وجلته في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش	١١٣
- الله يغضب ويغضب ويحكم بما شاء	١١٣
- الله ينزل إلى سماء الدنيا	١١٣

- خارجة بن مصعب
١٢٤ - حُرِّجَ عن الاستواء بالجلوس
- سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد القنوي القنوي
٢٥٣ - اُقْبِلْ هذه الآية بعد نبيها أبو بكر وعمر
٢٦٠ - أَلَا تَخْرُجُ عَلَى الْآيَةِ بِالشَّيْبِ، وَإِنْ جَارُوا
٢٠٠ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ
١٢٦ - إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
٨٨ ، ٦١ ، ٤٤ - مِنَ الْجِلْمِ بِالْهَوَى: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخْبِرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ
٢٢٩ - سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي، أبو محمد الكوفي
- يَفْرَقُونَ بَيْنَ التُّرُكِ الْمُكَلَّفِ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التُّرُكِ الْمُجْتَزِئِ
سعيد بن عبد العزيز
٢٢٩ - لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ
٢٢٩ - يُكْبِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بَلَا عَمَلٍ
- سعيد بن محمد بن صبيح الفسافي، أبو عثمان بن الحنفية
١٤٢ - كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ
- صفهان بن سعيد بن مسروق القنوي، أبو عبد الله الكوفي
١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَجَلَسَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ
١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ التَّرَاضِي
١١٣ - اللَّهُ يَنْفَضُّ وَيَرْتَضِي وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
١١٣ - اللَّهُ يُنَزِّلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي
٢١٧ - الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ
١٥٥ - التَّوَرَاتُ خُرِجَ مِنَ اللَّهِ
١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَجَلَسَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ
١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ التَّرَاضِي
١١٣ - اللَّهُ يَنْفَضُّ وَيَرْتَضِي وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ

الصفحة	المصنف / القول
١١٣	- الله يَهْدِي إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
٢٣٤	- لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بَلْسَبٍ، وَلَا يَنْهَى لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
٢٢٩	- يَهْدُون بَيْنَ التُّرُكِ الْكُفْلَى لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التُّرُكِ الشُّرَاقِ سقراط
١٥٩	- يَهْدِي الْقَدَرُ كُلَّهُ
	سليمان الفارسي، أبو عبد الله
٢١١	- وَيَزَانُ الْأَعْمَالُ لَهُ لِسَانٌ
	سليمان الفراء
١٤٠	- الْقَوْلُ بِخَلْقِي الْفَرَقَانِ فِي الْمَغْرِبِ
	سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجي
٤٨	- اعْتَصَدَ تَقَرُّرَ الْمَقَادِرِ عَلَى طَرِيقَةِ أَعْلَى الْكَلَامِ
	عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن الهمداني قاضي المعتزلة
٦٦	- تَأْوِيلُ الْيَدِ بِالْتَّعَمُّدِ
٦٦	- تَأْوِيلُ صِفَةِ الْكَلَامِ
٦٦	- طَرِيقَتُنَا فِي الْمُنَاسِبَةِ: أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ، يُخْرِجُ عَلَى مَلَقِ الْعَرَبِ
	عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم السهيلي الأندلسي
١٣٦	- صِفَةُ الْيَدِ تَأْبَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا تَوَرُّدٌ
١٣٦	- إِنَّهُ لَوْ يَتَّبَعْنِ وَوَجْهَهَا وَحَيْثُ
	عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي القلقية
٢٢٩	- لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِإِيمَانٍ
٢٢٩	- يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ
	عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٩٩	- قَدْ هَلَكَ قَوْمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
	عبد العزيز بن أبي سلمة، العماشيون
٢٠٢	- مَنْ دَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُزِي بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ اسْتَشْبِهَ

- عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميري، أبو بكر المكي
٢٣٠ - من ترك العقل فله حتى يموت كافر في رواية
- ٢٣٩ - يفرقون بين الترك الكُلِّي للمسلم وبين الترك الجزئي
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبد الرحمن العمري
١١٣ - الله بطايع فوق العرش، وجلت في كل مكان
- ١١٣ - الله يرى يوم القيامة بالابصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يرضى ويرضى ويكلم بما شاء
- ١١٣ - الله ينزل إلى سما الدنيا
- ٢٣٤ - لا يكفر أحداً بقلب، ولا يهتد لأحد أنه في الجنة
- عبد الله بن سعيد، أبو محمد القطان البصري، ابن كلاب
١٤١ - أثبت الكلام النفس
- خلق ما عدا الكلام النفس من المسموع والمفروق والمحفوظ، والمكتوب
١٤١ والمتنبر
- ١٤٤ - تازع في إجابات الحرف والصوت
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
١٣١ - إجابات القلتين هـ
- ١١٩ - الكرسي ولم الله
- ١٢٠ - الكرسي قدوة الله
- ٩٤ - كيات الصفات بين المتكلمات
- ٢١١ - يبرأ الأعمال له لسان
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن المدني
٢٦٠ - رجيع عن قتال تجلدة الحرودي
- عبد الله بن ليس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
١٣١ - إجابات القلتين هـ
- عبد الله بن محمد الضعيف
١٤٨ - فهد الخوارج أعنت الخوارج، ولقد جهمة هم الواقة

الصفحة

المطبع/ القول

- عبد الله بن مسعود بن خاتل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن
١٣١ - إثبات القدمين له
- ١٢٠ - الكرسي غير العرش
- ١٢٠ - بين السماء الدنيا والتي تليها غشس وبق خام، وبين كل سماء غشس وبق خام
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين
٤٣ - استحل إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله
- ٤٣ - القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها بعقده
- ٤٣ - فعل العبد واقع بقدره قطعاً
- ٤٣ - قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله
- ٥٢ - نفي صفوة الوجه
- ٥٢ - نفي صفوة اليد
- ٥٢ - نفي صفتي العلو والاستواء
- عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري
١٣٣ - إذا سيقط الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاحكم عليه بالزندقة
- عبد الوهاب الوراق
١٢٤ - غير عن الاستواء بالعمود
- عبد الوهاب بن علي بن نصر، القاضي عبد الوهاب
١١٤ - نص على ذكر استواء الله على العرش بإدائه
- عثمان بن جني، أبو الفتح
٦٧ - أكثر اللغو مجازاً، لا حقيقة
- عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي
١٥٣ - إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكيف ولا تعطيل
- عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الغساني
٤٧ - له ميل إلى بعض كلام البلاغين
- عكرمة مولى ابن عباس
١٢٤ - غير عن الاستواء بالعمود

- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي
٢٢٢ - التفرقة بين قتال الخوارج لإمام جَوْر وبين قتالهم لإمام عَدْل
٢٢٢ - عَدَم قتال الخوارج حتَّى يَهْلِكُوا السَّيِّئِينَ بِالْقِتَالِ
٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَعَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري
٢١١ - أَبْكَرُ الْكَلْبَيْنِ لِي بِيَزَانِ الْأَعْمَالِ
٢١٢ - بِأَخَذِ الْمَعَادِ كُتُبَهُمْ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِأَيْمَانِهِمْ، وَالْكَفَّارُ بِشِقَاتِهِمْ
- علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري البصري
١٣٧ - إثبات اليد والوجه حَقِيقَتَيْنِ حَقِيقَتَيْنِ زَائِلَتَيْنِ عَلَى الثَّابِتِ
٩٤ - حَضُورُ مَقَالَةِ التَّفْوِيزِ فِي مُتَعَلِّقِيهِ
٢٠٨ - لَيْسَ سَجْدَةُ خَرَكَةً، وَلَا زَوَالًا، وَلَا انْقِلَابًا
١٤٤ - نَازِعٌ فِي إِثْبَاتِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ
١١٤ - نَقَضَ عَلَى ذِكْرِ اسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ بِلَايِهِ
- علي بن محمد بن خلف، أبو الحسن بن القابسي القيرواني
٤٨ - الْأَعْتِمَادُ عَلَى السَّمْعِ
٤٨ - الْإِيمَانُ هُوَ التَّصَدُّقُ فَقَطْ
٤٨ - الْجَدَلُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ
٤٨ - هُوَ يَهْلِكُوا كَمَا يَقُولُ أَعْلَى الْحَدِيثِ وَالْآخِرُ
٤٨ - نَقَضَ عَلَى إِخْرَاجِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِيمَانِ
- علي بن مهدي، أبو الحسن الطبري
٥٢ - إِثْبَاتُ الْعِلْمِ وَالْإِسْتَوَاءِ
٥٢ - إِثْبَاتُ الْوُجُودِ
٥٢ - إِثْبَاتُ الْيَدِ
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم الأموي
٢٧٢ - يُقَالُ الْخُلَفَاءُ التَّرَائِدِيُّونَ مِنَ التَّصَلُّقِ بِكِتَابِ اللَّهِ

المصنف القول	الصفحة
عياض بن موسى بن عياض، القاضي أبو الفضل البجلي	
- اعتنق تقرير العقائد على طريقة أعلى الكلام	٤٨
عيسى بن يونس	
- لا يكفر أحدنا بذنب، ولا ينهك لأحد أنه في الجنة	٢٣٤
عليوم الثاني	
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده	٢١٧
عبدان الدمشقي	
- تصرف المخلوق منكراً كتصرف الخالق	١٦٨
لؤيس الخامس عشر	
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده	٢١٧
لؤيس الرابع عشر	
- الملكية وكالة إلهية	٢١٧
- الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده	٢١٧
- سلطة الملوك مستندة من الله	٢١٧
مالك بن انس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني	
- الإيمان قول وعمل	٢١٧
- التعريف بين قتال الموارج لإمام مجزئ وبين قتالهم لإمام عدل	٢٢٢
- القرآن كان يصف من قال بخلفي كلام الله بالزندقة، وأمر بقتله	١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلام الله مت، وليس من الله شيء مخلوق	١٣٨
- القرآن كلام الله، وكلامه لا يبدل ولا يتعد، وليس بمخلوق	١٣٨، ١٤٥
- الله يداوي فوق العرش، وجلسته في كل مكان	١١٣
- الله سبحانه يداوي فوق العرش، وأن جلسته في كل مكان	١١٣
- الله يرى يوم القيامة بالابصار فوق العرش	١١٣
- الله يمتص ويترضى ويكتلم بما شاء	١١٣
- الله يترى إلى سماء الدنيا	١١٣
- الميزان حق	٢٠٩

- ٥٨ - انتهى من علم الكلام صوماً بلا استثناء
- ٢٥٢ - أمسك عن التفصيل بين عثمان وعلي
- ٥٥ - أهل الأهواء هم أهل الكلام
- ٢٣٤ - أهل الذنوب مؤيدون لمليون
- ٢١٩ - تولف في تكفير الخوارج
- ١٣٢ - قول التابعي ليس حجة مقطوعة في الفروع والاصول
- ٥٤ - كان يحدّث أصحابه من علم الكلام
- ٢٠١ - كان يشدّد على منكر رؤية الله
- ٢٥١ - كان يفتلّ لها بكر ويحتمز على غيرها من الصحابة
- ٢٢٩ - لا إيمان إلا بعقل، ولا عقل إلا بإيمان
- ٥٥ - لا نجوى شهادة أهل البدع وأهل الأهواء
- ٢٥٩ - لا نصيب في القيرو لمن سب الصحابة والتابعين
- ٢٣٤ - لا يكفر أحداً بالنسب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
- ١٣٦ - إن هو يذنب ووجهاً وعصياً
- ٢٦٦ - ليس للإيمان شقها هو في زيادة أبنا
- ٥٤ - ما قلت الأكل في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء
- ٥٤ - من طلب الدين بالكلام، كزندق
- ١٢٧ - نبي مالك معرفة كيفية الصفات وفوضها، ولم يفوض الحقيقة
- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكلي للعقل وبين الترك الجزئي
- ٢٢٩ - يذكرون قول من يقول: إن الإيمان قول بلا عقل
- منظوم الأشاعرة
- ١٣٦ - إثبات الوجود واليد هو تعالى على الحقيقة
- ٥٢ - إثباتهم الصفات الخيرية، ولا يتأولونها
- منظوم المالكية
- ٢٠١ - كانوا يُشَقِّقون على منكر رؤية الله
- ١٤٦ - كلام متقدمي المالكية يجري مجرى كلام السلف

المصنف

المذهب/ القول

- محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر بن حنبل ومثله
 ٥٥ - أهل الأهواء هم أهل الكلام
 ٥٥ - كان ينتهي من قول شهادي أهل الكلام كاذبة
 محمد بن أحمد بن مجاهد، أبو عبد الله الطائي البصري
 ٥٢ - إثبات العلز والامتناء
 ٥٢ - إثبات الوجود
 ٥٢ - إثبات اليد
 محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي
 ٤٤ - القيلة في الكلام الجليل به
 ٥٨ - انتهى من علم الكلام عمومًا بلا استثناء
 ٢٢٢ - عذم قتال الخوارج حتى يقتلوا المصلين بالقتال
 ٢٣٦ - منظر أرواح المؤمنين بعد الموت في الجنة
 ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكثر للعسل وبين الترك النجس
 محمد بن أسعد الصديق، جلال الدين الدوالي
 ٤٣ - الحواشي لا أول لها
 ٤٣ - الصفات عند غير الذات
 ٤٣ - يقول بتبعية الصفات
 محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
 ١٤٣ - الله يتكلم بصوت
 محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلائي
 ٥٢ - إثبات العلز والامتناء
 ٥٢ - إثبات الوجود
 ١٣٦ - إثبات الوجود واليد هو تعالى على الحقيقة
 ٥٢ - إثبات اليد
 ١٧٣ - لا يقول بالكسب
 ١١٤ - نفس على ذكر استواء الله على العرش بلا يد

الصلحة

المطلب: القول

- ١٣٦ - ففي الموجد واليد هو تعالى بن تكاوي المحتوا
محمد بن الكلاعي
- ١٤٠ - القول بخلق القرآن في المغرب
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ابن جرير الطبري
- ١١٤ - نفس على ذكر استواء الله على العرش بلاني
محمد بن رشد، أبو الوليد بن رشد الجند
- ١٢٨ - أسماء الله وصفاته إنما تفهم من جهة السمع
الجلوس والتحيز والعمالة مستحيلة في صفات الله
- ١٢٥ - إن هو يفتي ووجهها وحيتن
لم يمتنع أن يكون الاستواء من صفات الله القمعة
- ١٢٨ - ما وصف الله به نفسه لا يتجلى للعقل فيه
محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله السرخي القيرواني
- ١٣٧ - الله سمي نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسنى
محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زمنين
- ١٠٨ - الله مستر على حربه، يائن من خلقه، قرب لهم بوليه
بن العلم بالهو: الجهل بما لم يحكي الله به عن نفسه
- ٦١ - محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي
اعتقد تقرير المفاهيم على طريقة أهل الكلام
- ٤٨ - أكثر على ابن شوزر وثلاثه، وابن أبي زيد طريقتهما في إثبات المقام
محمد بن علي بن محمد، أبو أحمد الكرجي النصاب
- ٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
لازم في الصفات السطيل
- ٩٣ - محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي
إثبات الأشعري اليد والوجه إثبات لا توفقت فيه
- ١٣٧ - الصفات ينسب وإضافات بين الذات وبين المعلوم والمقدوم والمراد

المصنفات

المصنفات/ الأقوال

- محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي
٥٢ - نفى صفوة الوجود
٥٢ - نفى صفوة اليد
٥٢ - نفى صفتي العلو والاسواء
محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي
٩٤ - حضور مفالة الطير في شطرنج
عبد الجبتي
١٦٨ - تصرف المخلوق تصرفاً كتصرف الخالق
مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي القيرواني
٤٩ - أكثر كلامه التصريح بإثبات الاسواء
٤٩ - تأويل الاسواء بالفقارة
٤٩ - تأويل صفة اليد بالفقارة
١٥٣ - نفى النزول عن الله تعالى
وكيع بن الجراح بن طريح، أبو سليمان الرواسي الكوفي
١٢٤ - حذر عن الاسواء بالجلوس
٣٣٤ - لا يحكم أحداً بطلب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
محبوب بن إبراهيم بن حبيب، القاضي أبو يوسف
٥٥ - من طلب الدين بالكلام، ترك الحق
يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
٤٧ - أبطل قول المتكلمين بتفسير الاسواء بالاستيلاء
٤٧ - إثبات علو الذات، واستواء الله على عرشه
٤٧ - إثبات نزول الله على الحقيقة على ما يليق به
٤٧ - الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة
٢٠٨ - الله ليس يتدخل للمزككات، ولا فيه شيء من علامات المخلوقات
٥٦ - لا تجوز المناقضة في مباحث النيات ومسائل الصفات
٥٦ - لا تقرر مباحث النيات ومسائل الصفات بالنظر

الصفحة

المطبع / القول

- ١٦٤ - لا نسبه، ولا نبيته، ولا نطوئ عليه، إلا ما سقى به نلسه
- ٥٦ - ليس في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء في الكتاب أو السنة
- ٢٠٨ - ليس بجية حركة، ولا زوالاً، ولا انقلا
- ٢٣٦ - تستقر أرواح المؤمنين بعد الموت في أئمة القبور
- ١٥٣ - هي التزوي عن الله تعالى
- ١٦٤ - تقول: استوى من لا تتكافئ إلى تتكافئ، ولا تقول: انقل
- ١٦٤ - تقول: خليل إبراهيم، ولا تقول: خليل إبراهيم
- ٨٧ ، ٦١ - نهيًا عن التفكر في الله، وأمرنا بالتفكر في خلقه الدال عليه
- ٢٠٩ - هو على طريقه السلف في الصفات
- ٢٠٩ - يثبت الاستواء على ظاهره

٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة

الصفحة

٢٨٠

الحكمة / المقصد

- التَّهَنُّيُّ عَنْ مَخَالَطَةِ الْيَاثِلِ

١٠ - فهرس الحكم والأمثال وماثور الأقوال

الصفحة	الحكمة/المثل/وماثور الأقوال
٧٧	- أزعجى القلوب لمختبر ما ألم بشيئ الشر إلا
٢١	- التوسع بالمعنى العاجل يضيي النعيم الآجل
٥٩	- الذين لم يزلوا الله للأذى، بل أنزل الله للأسوء
٦٠	- العلم الصحيح يؤت غشياً الله
٧٣	- الغاية من العلم: العزل بالمأمور، وترك المحذور
١٦٢	- القدر لا يدرك بجهالة، ولا يخفي منه سنان
١٠	- القرآن كلام الله، ليس يشعروني كَيْفَ، ولا يملؤني لَيْسَ
١٢١	- الله تعالى على الغرضي استوى، وعلى الملك استوى
٢٦٧	- الناس في حاجة إلى عالم متجرد
١٥٧	- إن الخلط لا ينجي من القدر
٧٧	- تعليم الشغار لكتاب الله، يظهر غضب الله
٧٧	- تعليم شرد في العشر، غلبت في العجز
١٦٨	- خذل الله من قضاء وخلفه، فأسلت وسنة إليك فسيته وأخلت
٧٧، ١٦	- خسر القلوب أوزارها ولم يخسر
٩٠	- كل عظيم له آيات
١٠	- كل منسج يتسبب، إلى ما سبق من جلوه وقدره، من شقي أو سعيد
١٦٨	- كل يتقوى إلى سابق جلوه، لا يجيئ لأعدائه
١٩	- كمال التوفيق إسابة الحق من علم به
٢٧٥	- لا تقارن السن برأي، ولا تذايق بقتاس
٢٧٥	- لا تشتر البع إلا عند من عطل الأثر
٧٦	- لا يصرف الحق عن الحق وهو برهنة

الصفحة

الحكمة / المثل / والأمور / الأقوال

- لَا يَتَكُنُّ قَوْلَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالسَّمَلِ، وَلَا قَوْلَ وَغَمَلٍ إِلَّا بِشَرٍّ، وَلَا قَوْلَ وَغَمَلٍ
وَيْتَةٍ إِلَّا بِمَوَاقِفِ الشُّكِّ ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ١٢
- مَا قَلَّتِ الْأَتَارُ فِي نَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْأَعْرَاءُ، وَلَا قَلَّتِ الْعُلَمَاءُ إِلَّا ظَهَرَ
فِي النَّاسِ الْبُهَاءُ ٥٤
- تَقَابُرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَتَضَرُّعُهَا عَنْ قَضَائِهِ ١٠
- مَنْ جَهَلَ الْأَمْرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ ٢٧٥
- مَنْ عَمِلَ الْعَمَلَ، فَشَدَّ دَبَاهُ، وَمَنْ عَمِلَ الْعَمَلَ، فَشَدَّ وَبَتَهُ ٢٠
- وَاجِبُ الْعُلَمَاءِ تَجَرُّدُ الْحَيِّ حَسَبِ الطَّاقَةِ، وَاعْتِمَادُ كَثِيرٍ عَلَى طَهَارَةِ ٤٥
- نَجِيءُ اللَّهِ نَوْمُ الْفَيَاقَةِ لِمَرْحَى الْأَمْرِ وَجَسَابَتِهَا، وَتَعَفُّفُهَا وَتَوَاضُعُهَا ١١
- يُبْهِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ لِيُخَلِّقَ بَعْلَةً، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيَرْفَعَهُ بِمُضِلَّةِ ١٦٧
- يُبْهِلُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَلِّقَ بَعْلَةً ١٠
- يَغْتَبِرُ الْمُتَعَبَّرُونَ بِكَلَامِهِ، وَلَا يَتَعَبَّرُونَ فِي تَأْوِيلِهِ نَافِيَةً ٨٩ ، ٩
- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيَرْفَعَهُ بِمُضِلَّةِ

١١ - فهرس الفوائد

الصفحة	المادة
١٤١	- ابنُ ثُلَّابٍ أول من تَرَفَّقَ بَيْنَ الكلامِ الفُصِيِّ وَبَيْنَ الكلامِ اللَّفْظِيِّ
٢٤	- إذا أُطْلِقَ بِرُفْقَةٍ، فالمراد بها: القِيَرَانُ
٢٩	- أَكْثَرُ دُروسِ الاعتزالِ حَقِيقَةٌ فِي القُرُوعِ
٣١	- إِنَّمَا قُبِلَتْ شَوْكَةُ أَهْلِ الظَّاهِرِ فِي السَّخَرِ الْأَقْصَى بِعَدِّ ابْنِ حَزَمٍ
٤٢	- أَهْلُ الْحَدِيثِ يَزَاغُهُمْ فِي القُرُوعِ، وَأَهْلُ الْكَلَامِ يَزَاغُهُمْ فِي الْأَصُولِ وَالْقُرُوعِ
٣٠	- أَوَّلُ مَنْ ادَّخَلَ اللَّفْظَ الظَّاهِرِيَّ بِلَاةِ الْأَعْنَسِيِّ تَلَامِيذُ دَاوُدَ الْأَصْفَهَانِيِّ
١٦١	- أَوَّلُ مَنْ شَهَرَ نَقْيَ الْقَلَمِ
٤٥	- تحريفُ المعتزلةِ القرآنَ عَلَى وَشَوِّ الْكُفَّةِ
١٣٧	- لِسْمِ الْعَرَبِ مَا يَصِلُ مِنَ الْقَوْلِ إِلَى الْإِنْسَانِ كَلَامًا
	- كَانَ ابْنُ الْحَالِثِ نَاقِلَ حَقِيقَةِ ابْنِ حَنْبَلٍ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ شَيْخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ
٢٦	الْقِيَرَانِيَّ
٢٣	- كَانَ السَّلَفُ يَسْتَوْدِعُ الْقِيَرَانِيَّ: بِرُفْقَةٍ
٣٠	- كَانَ الْمُتَخَابِرَةُ يَسْتَوْدِعُ دَاوُدَ الظَّاهِرِيَّ: الْفَيَّاسِيَّ
٢٨	- كَثِيرٌ مِنْ أُمَرَاءِ الْأَعْيَالِيَةِ كَانُوا عَلَى الْفِكْرِ الْاِعْتَزَالِيِّ
٢٧	- لَا يُوجَدُ مَالِكِيٌّ مُعْتَزَلِيٌّ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيَّ
٢٦	- لَا يَمِنُ مُتَحَدِّثُونَ كِتَابَ فِي أَكْبَرِ الْمُتَنَاجِرِينَ
٢٣٩	- لَمَّاذَا مُتَّحَتِ حَيَاةُ الْجُرُوحِ بِهَذَا الْأَسْمِ
١٤٠	- هُمُ الْمَغَارِيَةُ بِقَتْلِ سُلَيْمَانَ الْفَرَّاءِ حِينَما قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ

١٢ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
التَّقْدِيمَةُ التَّحْقِيقِيَّةُ، لِلرَّسَالَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ	٥
فصلُ العلمِ وأفضله	١٩
حفظُ العقلِ والعقل	٢٠
فصلُ قُرْبِ الزَّمانِ والمكانِ الأوَّلِ	٢١
التَّغْرِبُ في ذَمِّ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ	٢٢
السُّنَّةُ والأَكْثَرُ وعِلْمُ الْكَلَامِ في التَّغْرِبِ	٢٤
أَثَرُ التَّشْرِيقِ عَلَى التَّغْرِبِ	٢٥
فلسفةُ الْيُونَانِ وأَثَرُهَا عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ	٢٥
اعتقادُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ	٢٦
وجوهُ الاعتزالِ في الْمَغْرِبِ، وموقفُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُ	٢٧
بدايةُ رَدِّ الْمَذَاهِبِ عَلَى الْمَشَارِقَةِ في الْفُرُوعِ لَا في الْأَصُولِ	٢٩
أَسْبَابُ تَأْخُرِ ذِيْعِ عِلْمِ الْكَلَامِ في التَّغْرِبِ	٣١
أَسْبَابُ انْتِشَارِ عِلْمِ الْكَلَامِ في التَّغْرِبِ	٣٣
أَثَرُ الاعتزالِ في قَبُولِ عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَشْجَاعِيَّةِ	٣٧
مَرَاتِبُ الْمُخَالَفَةِ لِقَضَائِي مَذْهَبِ الْأَقْرَبِ وَالْقُرْبِ مَعَهُ	٣٧
كُتَابَةُ أَهْلِ التَّغْرِبِ في الْعَقَائِدِ	٣٩
أَصُولُ مَالِكٍ وَفُرُوعُهُ، وَأَحْوَالُ أَصْحَابِهِ في التَّغْرِبِ	٤٠
الْحَدِيثُ وَالْكَلَامُ، وَأَثَرُهُمَا في الْخِلَافِ	٤٢
تَبَاثُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَاسْتِحْلَافُهُمْ بِعِلْمِ الْكَلَامِ	٤٣
التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيقُ في كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ	٤٦
عِلْمُ الْكَلَامِ وَالْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ	٥٣
الرَّأْيُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ	٥٤
نَهْيُ مَالِكٍ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَرَاتِبُهُ	٥٥

الصفحة	الموضوع
٥٩	الاستمرار في علم الكلام وأثره
٦٠	التعرف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة
٦١	اعتقاد السلب في الصفات
٦٢	اللفظ وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
٦٤	خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
٦٩	الشرح
٧٣	سنة الحلال، وحيث الحرام
٧٤	بيان المؤلف لموجب التأليف
٨١	فضل الصلاة على النبي، ومراعيته
٨٤	حكم الصلاة على غير النبي
٨٥	مجتنب اعتقاد أهل الشرك في الله تعالى
٨٦	حكم التفتيح في نكاح الله
٨٨	أنواع ظاهري الصفات
٩٠	معرفة الله بأياته الكونية
٩٠	سبب الوقوع في الشرك
٩٢	طبيعة التوفيق
٩٣	تاريخ تلقيه التوفيق
٩٥	نسبة التوفيق للسلف
٩٨	توهم التعظيم يؤدي إلى التوفيق والتعطيل
١٠٠	رواية الأئمة لأحاديث الصفات، واحترامهم من سوء فهمها
١٠٥	توهم اللوازم الباطلة يقضي إلى التوفيق والتأويل والتعطيل
١٠٥	علم الله
١٠٧	العلم والتميز
١١١	فني بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق
١١٣	الاستواء على العرش
١١٨	الكرسي
١٢٠	إحاطة علم الله بكل شيء
١٢١	عودة إلى الكلام على استواء الله على العرش
١٢٢	الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام

الموضوع	الصفحة
الأسماء والصفات	١٢٩
ما وَدَّ من الأسماء والصفات من الصحابة والتابعين	١٣٠
أسماء الله	١٣٢
حقيقة الصفات	١٣٣
الإقرار باليات الصفة يُبطلُ الظروف	١٣٥
كلامُ الله	١٣٧
ثبوتُ مالك وأصحابه على القول بخلق القرآن	١٣٨
ظهورُ القول بخلق القرآن في المغرب	١٤٠
أصلُ بينة خلق القرآن، والكلام القسري	١٤١
الكثرة والصوت	١٤٣
من احتجَّ بقاَء الصوت والحرف لله	١٤٤
الرافضة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم	١٤٨
من أدلة القائلين بخلق القرآن	١٤٩
صفةُ التَّجَلَّى هو تعالى	١٥٢
صفةُ تَرَوِيهِ الله تعالى	١٥٣
القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق	١٥٥
الإيمانُ بالقدر	١٥٦
تقديرُ الخيرِ والشرِّ	١٥٨
لا يُنسَبُ الشرُّ إلى الله	١٦٠
الجدالُ في القدر	١٦١
أعمالُ اليقارِ وعملُها	١٦٢
أمرُ الله ونهيُّه وقدرته، وتوهمُ بعضِ النفوسِ القَلَم	١٦٣
العلمُ بالأسباب لا يُخرجُ صاحبه من قدرِ الله	١٦٥
جَلَمُ الله بخلق شيء	١٦٦
مشيئةُ الله وقدرته على خلق أعمالِ اليقارِ	١٦٧
المُخالفون في القدر	١٦٨
الاحتجاجُ السَّيِّئ	١٧٣
نهيُّ القدر يُلزِمُ منه العجز	١٧٤

الموضوع	الصفحة
رسالة النبي، وكتابه	١٧٦
جنتهم رسالة النبي ﷺ للرسالات	١٧٧
حكم التاج ومن غير الإسلام	١٧٩
والكفر حيثما جاء من جهات أعظمها	١٧٩
الإسلام وحرية الدين	١٨١
شبهات في حرية ترك الإسلام	١٨٢
الإيمان بالكتب السماوية، والجمعة من إرسال الرسل	١٨٥
مصدر تفسير القرآن	١٨٦
الإيمان بالقيامة وما فيها	١٨٨
التفخ في الصور	١٨٩
واختلفت في التفخيم	١٩٠
بمستأ الأجساد وجزأها	١٩٠
أشراط الساعة	١٩١
تنزيل أشراط الساعة على الواقع	١٩١
الحساب والعقاب	١٩٢
حكم من مات ولم يؤمن بالله	١٩٤
مصر من دخل النار من حصاة المسلمين	١٩٥
وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة	١٩٦
الشفاعة وأحكامها	١٩٦
روية الله في الآخرة	١٩٩
النبي والنار، ولعن أعظمها الله	٢٠٣
خلق النجس والنار	٢٠٤
خلق النجس والنار	٢٠٥
صفاء المجردة لله	٢٠٦
الحيوان والوزن	٢٠٩
صالحات الأعمال، وكيف استلزامها يوم القيامة	٢١١
الصراط والحرمان الناس فيه	٢١٢
التزويج المبرور	٢١٤
حقيقة الإيمان	٢١٥

الموضوع	الصفحة
والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمالي طائفتان	٢١٦
أسباب الاختلاف برأي الخوارج	٢١٩
العقيدة الجامعة للخوارج	٢٢٠
الموقف عند اجتماع الفلوات	٢٢٢
الموازنة بين المرحلة والخوارج	٢٢٣
زيادة الإيمان وتقصده	٢٢٣
زوال الإيمان وكسبه	٢٢٦
نقصان الإيمان عند مالك	٢٢٦
الاستثناء في الإيمان	٢٢٧
الإيمان قول وعمل	٢٢٨
حكم تارك العمل كله	٢٢٩
أثر إخراج العمل من الإيمان	٢٣١
التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف	٢٣٢
لأرواح التوحي وأحوالها	٢٣٥
القبر وقيته	٢٣٨
كتابة الأعمال على المكلفين	٢٤١
الأرواح وقبورها	٢٤٣
فضل خير القرون	٢٤٥
معنى القرن	٢٤٦
فضل الصحابة، وتفاضلهم	٢٤٧
الوقوف في الصحابة	٢٤٨
التفاضل بين الصحابة	٢٥٠
التوسع في التفصيل بين الصحابة	٢٥٢
ظهور الظعن في الصحابة في المغرب	٢٥٣
ما شجر بين الصحابة	٢٥٤
استعداد أهل المغرب بالصحابة	٢٥٦
فتنة الرافضة إذا تمكثوا	٢٥٧
الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف	٢٥٨
الخرج على الأئمة وأحوالهم	٢٥٩

الموضوع	الصفحة
نصح الأئمة	٢٦٢
وَجُوزُ أَهْلِ السُّلَيْمِ وَعَلَمُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ	٢٦٢
الخطأ في نصوص الشئخ والطاعة	٢٦٤
ابتلاء التصحيح	٢٦٨
تجرد التصحيح	٢٦٨
فضل الشئخ وأبائهم	٢٦٩
سب تفصيل السلف	٢٧٠
تعظيم منه الصحابة	٢٧١
الاستدلال بحديث يخالف الصحابة	٢٧٢
حليقة العمل الذي يقدم على الحديث	٢٧٣
ترك الجواز والجدال	٢٧٦
تَرْكُ مَعْرِفَةِ حَقِّ اللَّهِ	٢٧٦
المجهول بيضة	٢٧٧
التحليل بين الجدال والجواز في الدين	٢٧٨
حصن التصديق وسوءه، والثرة على فهم القرآن	٢٧٩
تَجَرُّدُ الْجِدَالِ وَالْجَوَازِ وَأَهْلُوهُ	٢٨٠
التفهرس العامة	٢٨٣
١ - فهرس الآيات	٢٨٥
٢ - فهرس الأحاديث	٣٠٤
٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء	٣١٠
٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات	٣٢٣
٥ - فهرس المصطلحات	٣٢٤
٦ - فهرس الفوائد والكليات	٣٢٥
٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل	٣٣١
٨ - فهرس الملحاح والأقوال	٣٥٥
٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة	٣٧٥
١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال	٣٧٦
١١ - فهرس الفوائد	٣٧٨
١٢ - فهرس الموضوعات	٣٧٩

المَغْرِبِيَّةُ

شَرْحُ الْعَفِيكَةِ الْقَمَرَوَانِيَّةِ

(وهو ما تغلّد القمرواني من قول مَالِك، والمغلوط من سَكَنِيَّة، وما

عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَيُّمَةُ النَّاسِ فِي الْعَفِيَّةِ وَالْحَبِيبَةِ)

تأليف

عبد العزيز بن مرزوق الصريحي

مكتبة طائر المستنقاع بالرياض